انتظار



رواية

تأليف: ها جين

ترجمة: منى الدروبي

789

انتظار

المشروع القومى للترجمة

انتظـــار

(روايـــة)

تأليـــف : هـــا جين

ترجـمـة : منى الدروبى



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٧٨٩
- انتظار
- هاجين
- منى الدروبى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax :** 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تمهيد

يعود "لين كونج" إلى قريته "جوس" كل صيف ، عازمًا على طلاق زوجته "شويو"؛ يصحبها إلى مدينة "يوجيا" حيث يمثلان إلى قاعة المحكمة للنظر فى إجراءات الطلاق. تمضى السنوات سنة بعد الأخرى والحال على ما هو عليه؛ ففى اللحظة الأخيرة تلتزم "شويو" بالصمت رافضة الرد على القاضى حين يسألها عن رغبتها فى الطلاق من "لين". وهكذا كانا يعودان إلى قريتهما ومعهما وثيقة زواجهما ، الصادرة من مكتب توثيق الزواج منذ عشرين سنة خلت تثبت استمرار ارتباطهما.

فى هذا الصيف عاد "لين كونج" ومعه رسالة توصية أمدته بها إدارة المستشفى العسكرى ، حيث يعمل فى مدينة "موجى". لعلها ستساعده على إتمام إجراءات طلاقه. كعادته كل سنة ، اصطحب زوجته إلى المحكمة علَّه يُوفق بالحصول على حكم بالطلاق منها ، كما وعد صديقته "مانا يو" قبل مغادرته المستشفى إلى منزله بالقرية. كان قد أكد لها أنه ، وفى هذه المرة بالذات ، سيبذل قصارى جهده ليقنع زوجته بالرضوخ للطلاق.

كضابط فى الجيش ، كانت إجازته السنوية لا تزيد عن اثنتى عشرة يومًا. يمضى منها يومين فى رحلتى الذهاب والعودة متنقلاً بين المحطات بواسطة القطار والعديد من الحافلات ، فلم يبق أمامه فى الواقع سوى عشرة أيام يمضيها مع عائلته فى منزله بالريف. كان يظن أن أمامه متسعًا من الوقت لتنفيذ خطته، ولكن ها هو ذا مضى أسبوعًا كاملاً على وصوله ولم يفصح بعد بكلمة عمًّا يجول فى خاطره. ما أن تتجمع الكلمات على لسانه حتى يبتلعها مؤجلاً فتح الموضوع لليوم التالى.

بيتهم المتواضع ، كما هو منذ عقدين من الزمان ، عن أربعة غُرف واسعة مسقوفة بقش القصب. هناك ثلاث نوافذ مربعة ، أطرها مدهونة باللون الأزرق ، تطل جميعها على جهة الجنوب. وقف "لين" فى الفناء الأمامي للمنزل يزيل العفن عن دستة من الكتب كان قد تركها لتجف تحت أشعة الشمس فوق حزمة من الحطب. ازداد يقينه بأن "شويو" لا تحسن الاعتناء بالكتب ، ومن الأفضل إهدائها لأولاد أخيه ، فلم يعد بحاجة إليها بعد الآن.

جالت الدجاجات من حوله تتبخترن متهاديات ، ومال الأوز مختالاً وتراكضت الكتاكيت من خلال الممرات الضيقة بين أوتاد السياج الذى يحيط بسور حديقة صغيرة للخضروات جيئة وذهابا. فى هذه الحديقة ارتكزت عرائش الفاصوليا على قصبيات منصوبة ، وكذلك الخيار الطويل ، وتقوست ثمار الباذنجان فبدت كقرون الثيران. وأينعت رؤوس الخس وازدهرت حتى إنها غطت الأخدود كله. بالإضافة للطيور الداجنة تقوم الزوجة بتربية زوجين من الخنازير ، ومعزة للاستفادة من لبنها . انطلق صوت الخنزيرة من داخل الحظيرة المتاخمة لحديقة الخضروات تؤكد وجودها . وهناك بجانب حائط الحظيرة تكوّم السماد منتظراً نقله إلى الحقل حتى يتخمر تحت درجة الحرارة العالية لمدة شهرين قبل أن يُرش فى الحقل.

عبق الهواء برائحة البذور المتخمرة والممزوجة برائحة غذاء الخنازير. يكره "لين" هذه الرائحة الحمضية الكريهة؛ وإن كانت فى، الحقيقة، الشىء الوحيد الذى لا يستسيغه فى هذا المكان.

من المطبخ ، حيث تنهمك "شويو" فى إعداد الطعام ، علاَ صوت هدير المنفاخ (الكير) . من الناحية الجنوبية وعلى البعد انتصبت أشجار الووار وغابات أشجار الخيرزان تظلل أسقف الجيران المكسية بالقش والقرميد. بين آن وآخر كان يتردد عواء كلب من داخل سور تلك المنازل.

بعد أن أنهى تقليب كافة الكتب ، خرج "لين" من الفناء الأمامي المرتفع بطول ثلاث أقدام والمحاط بأغصان شجرة العناب الشائكة ، حاملاً فى إحدى يديه قاموس

اللغة الروسية ذا الأوراق المفتولة الزوايا. استعان "لين" بهذا القاموس أثناء دراسته الثانوية. لم يجد ما يقوم به فجلس على حجر الطاحونة يقلب أوراق القاموس القديم. ما زال يذكر بعض الكلمات الروسية. حاول تركيب بعض الجمل القصيرة ولاحظ أنه نسى قواعد النحو اللازمة ، فكفَّ عن المحاولة تاركًا الكتاب على حجره لتحرك نسمة ريح أوراقه بخفة.

جال بعينيه يراقب الفلاحين يقومون بجنى محصول البطاطس من حقل بعيد. كان الحقل من السعة لدرجة أنهم اضطروا لغرز علم أحمر فى منتصفه لأخذ قسط من الراحة عند الوصول إليه. فُتِن "لين" بالمشهد وبسحر الريف، ولكنه أقرّ بجهله بالزراعة. كان قد ترك القرية ليلتحق بالمدرسة الثانوية فى مدينة "يوجا" وهو فى السادسة عشرة من عمره.

ظهرت على الطريق عربة نقل يجرها ثور محملةً لذروتها. كانت تتأرجح بحملها من حزم الذرة البيضاء. مع اقترابها اكتشف "لين" أن الحيوان لم يكن سوى عجلة صغيرة تعانى من إعاقة فى قائمتها الخلفية. لمح "لين" ابنته "هويا" بصحبة فتاة أخرى على قمة هذا الحمل ، كانتا محشورتين بين شعث الحزم تغنيان وتضحكان. بينما غطى السائق العجوز رأسه بقبعة زرقاء وأمسك غليونه بأسنانه وأخذ ينغذ بسوطه القصير مؤخرة جزع العجلة. بدد الصمت صوت إيقاعى رتيب وعجلات العربة ذات الأطر الحديدية تدور على الطريق المرجرج. ما أن توقفت العربة أمام الباب الرئيسى للبيت حتى قذفت "هويا" بكيس ضخم إلى الأرض وقفزت وراءه صارخة : " شكرًا لكَ يا عم يانج".

ثم لوحت بيديها للفتاة البدينة المحشورة بين الركام قائلة:"سأراكِ هذا المساء" ونفضت القش العالق بقميصها وسروالها.

نظر الرجل العجوز والفتاة البدينة إلى "لين" وابتسما دون أن يوجها إليه التحية. لم يتذكر "لين" السائق كما أنه لم يتمكن من تحديد نسب الفتاة، ولكنه لاحظ أنهما تجنبا الترحيب به كعادة أهل الريف. فالرجل لم يُسلِم عليه قائلاً:"كيف حالك أيها

الرفيق؟" والفتاة لم تسألْه:"كيف صحتك يا عمى؟" . وآثر أن يعزُ السبب لارتدائه الثياب الرسمية للجيش.

نهض من على حجر الطاحونة واتجه نحو ابنته متسائلاً:

-"ما الذى تحملينه فى هذا الكيس؟" .

ردت عليه باقتضاب:

-"أوراق شجرة التوت" .

-"هل قطفتيه من أجل دودة القز؟" .

-"نعم" .

بدا واضحًا رفضها الاسترسال فى الحديث معه. كانت تربى دودة القز فى خص وراء المنزل داخل ثلاث سلال مجدولة. سألها من جديد:

-"هذا الكيس ، هل هو ثقيل الوزن؟" .

-"كلا" .

-"سأساعدك على حمله" .

-"كلا. سأحمله ب[illegible]ى" .

وقذفت الكيس الضخم بكلتا يديها إلى كتفها. حدقت فى وجهه لبرهة بعينيها المدورتين ، ومضت فى طريقها غير عابئة. لاحظ "لين" اسمرار ساعديها من طول عملها تحت أشعة الشمس الحارقة وتبرقعهما ببقع بيضاء. تسير منتصبة القوام رشيقة قوية البنيان. فمن الواضح أنها فلاحة متمرسة. كان هناك فى نظراتها ما يبعث بالضيق والحرج فى نفسه. هل نزقها وغضبها الواضحان بسبب محاولاته المتكررة لتطليق أمها؟ ولكن لا مبرر لها الآن، فهو لم يتطرق للموضوع بعد هذه السنة. انقبض صدره لتباعد ابنته الواضح ، على عكس ما كانت عليه فى طفولتها شديدة الارتباط به تنتظر عودته

فى الإجازة السنوية ليتبادلا اللعب، وها هى الآن لا تنطق إلا بالضرورى. وتمن عليه بابتسامة مغتصبة. وعنّ له السؤال: تُرى هل تكرهه فعلاً؟. لقد بلغت سن الرشد وفى غضون سنوات معدودة ستستقل بعائلتها الخاصة، ولن تكون حينذاك بحاجة لعجوز مثله.

يبدو "لين" أصغر من عمره الحقيقى. فهو فى أواخر الأربعينيات. شكله أقرب لموظف منه لضابط فى الجيش. يتصف وجهه الوسيم ببشرة شاحبة ملساء. وترتكز نظارته ذات الإطار الأسود على أنفه المستقيم. على العكس منه كانت "شويو" بقامتها القصيرة ونحافتها وذبول بشرتها تبدو أكبر بكثير من عمرها الحقيقى. تُظهر ثيابها الفضفاضة شدة نحافة ذراعيها وساقيها، ومما يزيدها قبحًا قدميها المربوطتين والتى كانت تكسوهما أحيانًا بمشدات سوداء ، وتسريحة شعرها الثابتة. كانت تعقص شعرها الداكن ، تشده بقسوة وتثبته فى مؤخرة رأسها على شكل كعكة ، مما يبرز هزال وجهها وتقعر فمها. لم تكن عيناها الداكنتان قبيحتين كانتا كزوج من صغار الضفادع. باختصار كان الزوجان فعلاً غير متناسبين شكلاً وموضوعًا بأى حال من الأحوال.

بعد الغذاء سأل "لين" زوجته:"شويو هل يمكننا الحديث ثانية عن الطلاق؟". كانت "هويا" قد غادرت المنزل للدراسة مع زميلاتها. فهى تحضر لامتحان القبول فى المعهد التجارى فى "هارين". ردت الزوجة بهدوء:

كما تريد"

-"هل يمكننا الذهاب إلى المدينة غدًا؟".

-"كما تريد".

-"دائمًا ما تجيبينى (كما تريد) ولكنك وفى اللحظة الأخيرة تخلفين وعدك. هل بالامكان الالتزام بوعدك هذه المرة؟".

لم ترد عليه "شويو" ، فهى حريصة على إرضائه واستجابة كافة طلباته. لم تختلف معه قط. استرسل "لين" وقال:

-"أنا بأمسّ الحاجة إلى بيت فى مدينة "موجى" حيث أعمل فى الجيش. الوحدة شعور قاس. وأنا لم أعد شابًا وبحاجة لمن يؤنسنى".

هزت رأسها دون أن تنطق بكلمة . سألها:

-"هل ستجيبين القاضى حين يسألك عن موافقتك على الطلاق بكلمة 'نعم'؟".

-"كما تريد".

خيَّم الصمت ثانية على الغرفة. عاد "لين" لقراءة الصحيفة المحلية "بناء الريف" وأصابعه تنقر بخفة على سطح المنضدة. انهمكت "شويو" فى خياطة سترة لابنتهما. تقص قطعة قماش من القطيفة المضلعة بالمقص، وتحددها بالطبشور الفرنسى. حامت حشرتان صغيرتان من العثة حول لمبة الكهرباء ، قوة ٥ وات ، المعلقة من السقف الورقى. قسَّم ظل خيط اللمبة صورة الطفل الممتلئ والعارى إلا من وشاح أحمر لُف حول رقبته. صُور الطفل وهو يمتطى ظهر درفيل عملاق وسط أمواج متلاطمة. كانت الصورة الشىء الوحيد الذى يزين الجدار الأبيض المغسول. انتصب السرير على الحصير ، ومُدَّ فوقه زوجين من الأغطية المكسية وثلاث من المخدات الطويلة ذات الغطاء الغامق فبدت أشبه ما تكون بأرغفة عيش طويلة وممتلئة. انساب صوت نقيق الضفادع أسفل الجسر من الجهة الجنوبية للقرية مختلطًا بطنين الدبور من خلال ستارة النافذة ، وبصوت جرس يرن من مكتب الجمعية التعاونية لأولية الجيش يدعو أعضاء الحزب لاجتماع فى مجلس البلدية.

فى سنة ١٩٦٢ منذ إحدى وعشرين سنة مضت ، كان "لين" آنذاك طالبًا فى كلية الطب فى مدينة "شينيانج" ، وفى أحد أيام الصيف تلقى رسالة من والده ينبئه فيها باشتداد المرض على والدته وعجزها عن القيام بتدبير أمور المنزل. كما يشكو أنه مجبر مع كبر سنه على العمل الشاق فى حقول الجمعية التعاونية معظم الوقت فلم يبق له متسعًا من الوقت للعناية بزوجته المريضة وبشؤون المنزل المهملة، ولذا فهما يرجوان "لين" أن يسرع بالزواج لتقوم الزوجة المقبلة برعاية أمه والعناية بالمنزل. رضخ "لين" لشعور قوى بالواجب والولاء واستجاب لطلبهما ووافق أن يبحثا له عن زوجة مناسبة.

بعد مضى شهر مضت فى محاورات مع منسقة للزواج ، استقر الرأى على الابنة البكر لعائلة "ليوس" ، عائلة انتقلت مؤخراً لقرية "جوس" قادمة من منطقة "لوكو". كانت مواصفات "لين" مغرية فهو طالب فى الجامعة سيعين قريبًا ضابطًا وطبيبًا. لم تطلب عائلة "شويو" هدايا أو مال، وأبدوا سعادتهم فى إتمام الزواج. أرسل له أهله بالبريد صورة فوتوغرافية غير واضحة بالأبيض والأسود "لشويو" . لم يجد "لين" مانعًا من الموافقة على الارتباط ، راجيًا أن تكون الفتاة رقيقة وطبيعية. كانت فى السادسة والعشرين أى أنها تصغره بسنة واحدة فقط.

عاد إلى قريته فى الشتاء ليتعرف على خطيبته وأُصيب بصدمة شديدة. ففى الحقيقة بدت العروس كعجوز شمطاء فى الأربعين من العمر ، متغضنة الوجه ترهل جلد يديها، والأدهى من ذلك أن طول قدميها كان لا يزيد عن أربع بوصات. كيف له أن يرض بهذا الأمر ، وهو يعيش فى عصر الصين الحديثة!! من ذا الذى سينظر إلى امرأة بقدمين مكبلتين؟. حاول بشتى الأساليب أن يُقنع والديه بوجهة نظره لفك هذا الارتباط. دون جدوى. كانا صارمين وتشبثا برأيهما ونعتاه بالبله وضيق الأفق. كيف لهما أن يفسخا الخطوبة دون أن يثبتا أن "شويو" لن تكون زوجة صالحة، وهذا غير صحيح. وستنقلب القرية بأسرها عليهم.

سأله أبوه متجهمًا:

-"هل يمكن للوجه الحسن أن يطعم عائلة؟".

وترجته أمه من سرير مرضها قائلة:

-"يذبل الوجه الجميل يا بنى بعد فترة. والأخلاق الحميدة هى التى تبقى. ستكون "شويو" لك أحسن زوجة وخير معين".

سألها "لين":

-"وكيف لكِ أن تتأكدى من هذا؟".

وأجابته الأم:

-"قلبى يحدثنى"

وقال الأب:

-"أين ستجد فتاة مثلها بمثل هذا القلب الرحيم؟".

واستعطفته أمه قائلة:

-"أرجوك. سأموت سعيدة إذا وافقت على الزواج من هذه الفتاة".

وهكذا رضخ "لين" لرغبة والديه، ووافق على الزواج منها ولكنه ظل على اعتقاده، أنها قطعًا ليست بالزوجة التى سيرحب بوجودها خارج نطاق قريته. وهكذا وبعد أن تزوجا فى الصيف اللاحق، ولمدة عقدين من الزمان، لم يسمح لها إطلاقا بزيارته فى المستشفى حيث يعمل. إضافة لذلك، فهو منذ مولد ابنتهما أى منذ سبعة عشر عامًا ابتعد تمامًا عن معاشرتها. كلما عاد إلى بيته، نام بمفرده فى غرفة منفصلة. صحيح لم يكن يحبها ولكنه أيضا لا يكرهها. يشعر كما لو أنها ابنة عمه أو ما شابه ذلك.

والآن بعد أن توفى والداه منذ زمان طويل وتخرجت ابنتهما من المدرسة الإعدادية لم تعودا بحاجة إليه. وآن الأوان ليستقل بحياته. لا يدرى إن كان هذا القرار للأفضل أو للأسوأ بالنسبة إليه. ولكنه بات على يقين أن عليه أن يخلص نفسه من ورطة زواج بلا حب.

باكرًا، فى صباح اليوم التالى، ركب الزوجان جرار زراعى كان فى طريقه إلى مدينة "يوجيا" لينقل محركًا كهربائى للطاحونة الجديدة للقرية. ركب معهما أخو "شويو" الصغير "بنشنج" المحاسب فى مكتب الأولية للجيش، الذى سمع بعزمهما الذهاب للمحكمة لطلب الطلاق. هذا ما التزم به لأكثر من عشر سنوات مضت. يذهب معهما كل صيف ليساند أخته. وبالرغم من التزام "بنشنج" بالصمت إلا أن "لين" كان متيقنا أنه

وراء فشله فى الحصول على الطلاق ، فهو الذى يحرض أخته على الإصرار فى رفض الطلاق. جلس الرجلان متجاورين على مقعد الجرار ، لم يبد أن بينهما أى عداء ، يدخنان سجائر "لين" الفاخرة.

تقع مدينة "يوجيا" على بعد ثمانية عشرة ميلا غرب قرية "جوس". على جانبى الطريق ، تكومت فى الحقول رزم القمح والشعير بعد حصادها، وبدت وكأنها آلاف من القبور الصغيرة. كان هناك العديد من عربات النقل التى تجرها الأحصنة والبغال ، حمّلها عمال من أعضاء الحزب الاشتراكى وبدت مغارز مذراتهم لامعة تحت أشعة الشمس الساطعة. عُبِرَ الجرار التل حيث انتشرت العشرات من الأبقار ترعى بينما انطلقت بعض العجول تركض فى كل اتجاه. فى الشمال امتد نهر "سونجهوا" واسعا كالبحيرة. زحفت على سطحه باخرة تجارية باتجاه الشرق تاركة ورائها شرائط سوداء من الدخان، وطار زوجان من البجع يتمايلان فى الأفق.

انطلق الجرار متأرجحا ببطء على الطريق الوعر. وفى منتصف الطريق بدأ "لين" يشعر بآلام فى ظهره لم تكن تصيبه فى السنوات الماضية. حدّث نفسه قائلا:

-"لابد وأننى كبرت فى السن. ليس من المعقول أن تستمر هذه القضية إلى الأبد. علىّ أن أتشبث برأى وأقنع القاضى بإنهاء المهمة هذه المرة".

كان الطريق المؤدى إلى المحكمة الابتدائية مسدودا بقافلة من عربات النقل المحملة بالطوب الآجرّي وكان على الجرار أن يتبع مسيرتهم. نفذ صبر كل من "بنشنج" وسائق الجرار ، الملقب بالتنين الطائر. لم يتمكنا من كبت غيظهما وانطلقا فى السباب. لم يصلوا إلى مركز المدينة إلا بعد مضى نصف ساعة. كان هذا يوم السوق ، ازدحم البائعون على جانبى الرصيف بالشارع الرئيسى للمدينة يبيعون الدواجن والخضار والفاكهة والبيض والأسماك الحية ، وصغار الخنازير والثياب. انتشرت السلال المجدولة فى كل مكان ، وأقفاص الكتاكيت ، وأوانى الزيت ، ودلاء الأسماك. كان هناك رجل أصلع ، ينفخ بصفارة نحاسية ، تخرق آذان المارة ، ليلفت الأنظار إلى بضاعته فى

السوق. وقفت مجموعة من الفتيات أمام كشك بطيخ يدخنَّ سجائر ملفوفة باليد ينادين على بضاعتهن للفت أنظار الزبائن ويلوحنَّ بريش الإوز لكش الذباب بعيداً.

أنزل سائق الجرار ركّابه أمام مبنى المحكمة ذى الطوب الأسود؛ إلى الجهة الغربية من الطريق الرئيسى؛ مقابل مكتبة الصين الحديثة؛ ثم مضى فى طريقه ليتسلم المحرك من ورشة التصليح.

كانت قضايا الطلاق فى المنطقة نادرة. تنظر المحكمة فى دستة من القضايا طوال السنة ، ولا تحكم بالطلاق فى أكثر من حالتين أو ثلاث على الأكثر. تحاول المحكمة ، فى معظم الأحيان ، التوفيق بين الزوجين ومساعدتهما على الصلح.

كان القاضى رجل بدين فى الخمسين من العمر يرتدى زى الشرطة. ما أن رأى "لين" و"شوبو" حتى تعكر مزاجه وهز رأسه غاضبا وهو يقول:

-"مرة أخرى؟".

ثم أشار إلى شاب من رجال الشرطة يقف فى مؤخرة قاعة المحكمة ليتقدم إلى الأمام ويتسلم منه بعض المذكرات. بعد أن جلس الجميع ، مضى "لين" نحو القاضى وسلمه رسالة التوصية التى جاء بها من إدارة المستشفى. طلب منه القاضى تبعا للإجراءات الرسمية أن يعرض قضيته من جديد أمام المحكمة. بدأ "لين" فى عرض قضيته من مكانه قائلا:

-"منذ بدء زواجنا لا تربطنى بزوجتى أى علاقة حب، ولذا فنحن نتوجه إلى المحكمة الموقرة بطلب الطلاق. أرجوك يا سيادة الرفيق القاضى لا تحكم على بالقسوة وعدم الإحساس بالواجب ، فنحن منفصلان فعلاً لما يزيد على سبعة عشر عاماً. لقد أحسنت معاملتها طوال هذه الفترة و....".

قاطعه القاضى:

-"فلنكن واضحين فى عرضنا. أنتَ تقول إنكما تطلبان الطلاق ولكن خطاب التوصية يذكر اسمك أنت فقط. هل تقدمت زوجتك بطلب الطلاق أيضا؟".

-"كلا ، مع الأسف ، فأنا أتقدم بالطلب فقط منفرداً".

كان القاضى على دراية بهذه القضية ويعلم أن "لين" متورط فى علاقة مع امرأة أخرى فى مدينة "موجى". ولذا لم يكلف نفسه عناء أسئلة إضافية والتفت نحو "شويو" وسألها إن كان تقرير زوجها صحيحاً. هزت برأسها ونطقت بنعم بصوت هامس بالكاد يكون مسموعاً.

-"هل هذا صحيح أنه لم تتم أى معاشرة زوجية خلال سبعة عشر سنة مضت؟".

وهزت "شويو" رأسها ثانية دون أن تنطق.

-"نعم أم لا؟".

-"لا".

-"هل أنت موافقة على الطلاق منه؟".

لم ترد على السؤال وركزت عينيها على ألواح الخشب المائلة التى تكسو الأرض. حدق "لين" بها وزمجر بينه وبين نفسه:

-"انطقى ، قولى نعم".

ظلت لدقيقة أو أكثر صامتة. والقاضى ينتظر بصبر محركا مروحة ورقية ضخمة مرسوم عليها نمر فاغر فمه حتى شدقيه. التفت القاضى نحو "شويو" وقال:

-"فكرى جيداً ، لا تتسرعى فى اتخاذ قرارك".

رفع أخوها يده طالبا الإذن بالحديث. سمح له القاضى فوقف "بنشنج" يقول:

-"يا قاضى الشمس. أختى ربة بيت جاهلة لا تحسن التعبير عن قضيتها ولكنى أعلم الناس بمشاعرها".

-"حدثنا إذن بما عندك".

-"إن طلب لين كونج غير عادل، فلقد عاشت أختى مع آل كونج لمدة تزيد عن عشرين عاما تقوم على خدمتهم وتحمل أعبائهم كبهيمة غبية إلى أن ماتت السيدة العجوز. تلى ذلك مرض الأب فقامت بالاعتناء به ورعايته ، حتى إنه ولمدة ثلاث سنوات لم يصب يوما بقرح الفراش. كانت تقوم بالعمل داخل المنزل وخارجه فى الحقل كما لو كانت أرملة ، مع أن زوجها ما زال على قيد الحياة. كانت حياتها معهم قاسية ، وهذا بشهادة كافة أهل القرية، ومن جانبه وخلال هذه السنوات اتخذ "لين كونج" فى مدينة "موجى" لنفسه عشيقة. هذا ليس عدلاً وتصرف غير إنسانى. فلا يمكن أن يعامل الرجل زوجته كما لو أنها معطف بالى يتخلص منه ويرميه كالقمامة".

جلس "بنشنج" وقد احمر وجهه وتورم من شدة الانفعال واغرورقت عيناه بالدموع.ملأ هذا الدفاع "لين" بالخزى. لم يحاول المناقشة وخصوصًا بعد أن شاهد زوجته وهى تمسح دموعها. فآثر الصمت.

حرك القاضى يده مقفلا مروحة النمر وضاربا بها على كف يده الأخرى. ثم أنزل بقبضته على المكتب ناشرا الغبار الذى كان يغطيه؛ فبدت زراته متذبذبة تحت أشعة الشمس . ثم أشار باتجاه "لين" وقال:

-" أيها الرفيق لين كونج. أنتَ ضابط من رجال الثورة. عليك أن تكون قدوة ومثلا يحتذى لنا ، نحن المواطنون المدنيون. أى قدوة أصبحت؟ رجل غير مسئول أمام عائلته ، يحب الجديدة وينفر من القديمة. متقلب فى عواطفه ، وغير أمين وخائن فى أقواله وأفعاله. قامت زوجتك بخدمة عائلتك كحمار دائر فى حجر الطاحونة، وبعد كل هذه السنين من الانسحاق والكدح تريد الخلاص منها. هذا عمل غير أخلاقى وغير شريف. وغير مقبول إطلاقا. قل لى هل لديك أى ضمير؟ هل تستحق شرف زيك العسكرى الأخضر الذى تلبسه؟ والنجمة الحمراء التى على قبعتك؟".

-"حاولتُ جاهدًا الاهتمام بعائلتى. فأنا أعطيها أربعين ينًا شهريًا. لا تستطيع القول...".

-"هذه المحكمة ترفض طلبك. القضية أُقفلت".

وقبل أن يتمكن "لين" من الاعتراض ثانية نهض القاضى القصير والممتلئ ومشى نحو البهو الجانبى باتجاه الحمام. كانت أردافه الممتلئة تتأرجح بينما خشب البهو يئن تحت أقدامه وظلت قبعته جاثمة على المكتب. وجهت الشرطية نظراتها الثاقبة إلى ظهر القاضى وقد ارتسمت على شفتيها ظل ابتسامة شاحبة.

كان الوقت ظهراً والشمس خارج قاعة المحكمة حارقة ترك العديد من المارة سوق المعرض فخف ازدحام الطريق. على البعد سُمعت أصوات الأجراس تدوى بخمول. وانطلقت مجموعة من بنات المدارس يرقصن ويقفزن على رزمة من الحبال البلاستيكية ، على جانب الطريق ، ويصحن بأغانى أطفال الحضانة. بدا الشارع المسفلت كاحتًا من تأثير أشعة الشمس الحارقة ، تلوثه برك صغيرة موحلة تجمعت من مياه أمطار الصيف هنا وهناك. حينما رأى "لين" امرأة شابة تبيع شرائط ملونة لجدائل الشعر توقف عندها ليشترى زوجًا "لهويا". لم يعلم اللون المفضل لابنته. أكدت له "شويو" أنها تحب اللون الزهرى. دفع نصف ين ثمنًا لشريطين من الحرير. مضوا جميعا نحو " بيت الشمس المشرقة" مطعم مختص بصنع المعجنات. جلسوا إلى منضدة بقرب النافذة. بدا سطحها الخشبى مزيتًا ومبقعًا من الوسط ببقع داكنة. رُص عليها إبريق زجاجى مملوء برزمة من العصا الخشبية الرفيعة. زحفت على حافته خنفسة بدت أجنحتها وهى تحك ببعضها بتلقائية ثم تدور كشفرتين منمنمتين لآلة كهربائية. حضرت النادلة وحييتهم مرحبة كمن سبق لها معرفتهم وقالت:

-"ماذا تريدون لغذائكم اليوم؟ لدينا (مكرونة) ، فطيرة باللحم ، عجين الكرات ، أقراص بالسكر ، أصابع العجائن المقلية".

طلب "لين" طبق من شرائح قلب وكبد الخنزير الباردة. وأربع قصع من (المكرونة). اثنان لصهره وواحد "لشويو" وآخر له. وفى لمح البصر حضرت الأطباق ، وبعدها (المكرونة) المسلوقة المغمورة بمرقة ملئ بمفروم لحم الخنزير المدهن واللوبيا والكزبرة ، وقطع من البيض تزين الوجه. وبينما كانت "شويو" تحرك (المكرونة) بزوج من العصا الخشبية ، لوثّت معصمها الأيسر بالمرق المدهن فما كان منها إلا أن رفعت يدها ولحستها بلسانها لتنظفها.

أكلوا بهدوء. لم يرغب "لين" بالحديث. ملأه شعور بعدم المبالاة. حاول أن يكره صهره بعد مغادرتهم المحكمة ولكنه لم يتمكن من استجلاب مشاعر الكراهية نحوه. بعد أن أنتهى "بنشنج" من تناول أول معلقة من المكرونة ، كسر حاجز الصمت موجهًا حديثه "للين":

-"أرجوك يا أخى الكبير لا تحمل ضغينة ضدى لما ذكرته فى المحكمة. "فشويو" أختى ومن واجبى أن أحميها".

ولمعت عيناه الغائرتان وهو يمضغ قطعة من لحم الخنزير. أجابه "لين":

-"هذا مفهوم".

-"إذن فأنتَ لستَ غاضبا؟".

-"كلا".

-"هل ما زلنا عائلة واحدة؟".

-"نعم".

ابتسمت "شويو" ومضت تمتص حبال المكرونة بعزم. هز "لين" رأسه متنهداً.

كان سائق الجرار التنين الطائر قد وعدهم بانتظارهم على زاوية مكتب البريد ، ولكنهم عندما وصلوا بعد الغذاء لم يجدوا له أثراً. كان عليهم السير مسافة ميل حتى موقف الحافلة أمام فندق"إن". وطوال الطريق لم يتوقف "بنشنج" عن قذف التنين الطائر بسيل من الشتائم.

* * *

ظلت "مانا يو" على حبها "للين كونج" سنين عديدة. وانتظرت بفارغ الصبر إجراءات طلاقه من زوجته ليعقدا قرانهما.صيف بعد صيف يمضى "لين" إلى قريته محاولاً إنهاء إجراءات الطلاق ليعود بخفى حنين. ولذا لم تعقد الآمال على نجاحه هذه السنة.

كان القائد "يونج" قد أصدر قانونًا فى شتاء سنة ١٩٥٨ يمنع الضباط من طلاق زوجاتهم بدون موافقتهن إلا بعد انفصال بينهما لمدة ثمانية عشرة سنة. مات القائد مصابا بالتهاب الكبد الوبائى فى الصيف التالى لإصدار القانون. وظل القانون ساريًا يُنفذ بحذافيره لمدة خمسة وعشرين عامًا بعد وفاته.

وفى سنة ١٩٨٣ كان قد مضى على انفصال "لين" وزوجته سبعة عشر عامًا ، وهكذا برضاها أو بدونه سيتمكن من تطليقها فى السنة القادمة. وهذا ما جعل "مانا" شبه واثقة أن "لين" لن يبذل مجهودًا كبيرًا . فهى أعلم بطريقة تفكيره يلجأ دائما لأسهل الطرق وأبعدها عن المشاكل لتصريف أمور حياته.

بعد عودته بيوم ذهب إلى غرفتها فى المستشفى وأخبرها برفض المحكمة قضية طلاقه. أجابته دون أن يبدو عليها أى انفعال:

-"كنت على يقين حتى قبل أن تسافر من فشل القضية".

ضم كفيه حول ركبتيه وقال:

-"لا تغضبى بهذا الشكل. لقد بذلت قصارى جهدى".

-"لست غاضبة".

-"تفاءلى. سأطلقها السنة القادمة شاءت أم أبت. لم يبق أمامنا سوى سنة أخرى من الانتظار. هل يرضيك هذا؟".

-"سنة أخرى؟!".

ردت بنبرة حادة وأضافت:

-"لم يعد لدينا سنوات كثيرة نعيشها".

استسلم للصمت وهو يسند ذقنه على كفه ثم قال:

-"انتظرنا طويلاً ولم يبق سوى سنة واحدة من الانتظار".

رفعت وجهها إليه وحدقت فى وجهه قائلة:

-"أنظر إلى يا لين تمعّن فى وجهى. ألا ترى إننى أصبحت امرأة عجوز؟".

-"كلا يا عزيزتى. لا تتذمرى هكذا. فأنتِ لستِ بعجوز".

فعلا لم تكن "مانا" عجوزا ، ولكنها لم تعد شابة. فهى فى أوائل الأربعين من عمرها. ظهرت بعض الغضون على وجهها وإن ظلت عيناها محتفظة بالحيوية والبريق. وبالرغم من ظهور خصل من الشعر الأبيض إلا إن وجهها ظل ناعمًا وجذابًا. ومن السهل لمن ينظر إلى قامتها المشوقة من الخلف أن يظن أنها فى الثلاثين من عمرها فقط. فُتح باب غرفة النوم ودخلت زميلة "مانا" الى الغرفة تترنم بلحن أغنية شعبية. وحينما رأت "لين" وهو يجلس على طرف سريرها المقابل لسرير "مانا" بدت محرجة. عضت على شفتيها وقالت:

-"آسفة للإزعاج".

ورد "لين":

-"أرجو المعذرة. فهاأنذا أجلس على سريرك".

-"لا بأس".

ومضت المرضة "هو" إلى خزانتها ، أخذت منها ثمرة طماطم وخرجت مسرعة ، وهى تدندن الأغنية من جديد.

نهض "لين" وأغلق الباب وراءها. خيم السكون على الغرفة بعد أن التزما كليهما بالصمت. غسل يديه ورطب وجهه بماء الحوض الأصفر الموجود فى زاوية الغرفة ثم قام بتجفيف وجهه بمنشفتها البيضاء وقال:

-"على أن أمضى للعمل. سأراكِ هذا المساء".

كانا كلاهما يعمل فى القسم الطبى فى المستشفى؛ هو كطبيب و"مانا" كرئيسة للممرضات. كان ارتباطهما معروفًا للجميع ولكن كان عليهما الالتزام بالأنظمة. فمثلاً

من الممكن لهما تناول طعام الغذاء على نفس الطاولة فى غرفة الطعام بالمستشفى ، والتجول بين حدائق وممرات المستشفى ، ولكن من المحظور السير خارج نطاق المجمع الطبى إلا إذا كانا مخطوبين أو متزوجين. صدر هذا القانون سنة ١٩٦٤ عندما اكتشف حمل ممرضة من صديقها الذى كان يعمل كمساعد طبيب. اعترف الحبيبان أنهما كانا يلتقيان بالغابة التى تقع شرق المستشفى. طُردوا من الجيش؛ أُبعد الشاب ليعمل طبيبًا فى قريته فى منطقة "جيلن" ، بينما رُحِّلت الفتاة إلى مدينة "بنجكو" لتعمل فى مصنع لتعبئة الأسماك المعلبة. بعد هذه الحادثة أصدر الحزب الشيوعى فى المستشفى هذا القانون:"يحظر وجود رفيقين من جنسين مختلفين سويًا خارج نطاق مجمع المستشفى".

هذا القانون كان مدمرًا للعديد من الممرضات فى ذلك الحين. ابتعد الأطباء الضباط عنهن خوفًا من العقاب واتجهت أنظارهم نحو النساء فى المدينة والقرى المجاورة. ظل هذا القانون ساريًا لمدة تسعة عشر عامًا. وتعرض كل من خالفه للنقد اللاذع والعقاب. وهكذا لم يكن مسموحًا "للين"؛ لأنه رجل متزوج ، بالسير أو التجوال مع "مانا" خارج نطاق مبانى المستشفى. واستسلم كلاهما للأمر الواقع.

الجزء الأول

الفصل الأول

تخرج "لين كونج" من كلية الطب وعُين طبيبًا فى الجيش فى نهاية سنة ١٩٦٣, فى تلك الآونة أُلحق ، بكلية الطب التابعة للجيش ، معهد صغير لدراسة التمريض للبنات؛ تعيَّن بعد التخرج للعمل فى "منشوريا" و"وسط منغوليا". وكانت البرامج الدراسية مكثفة لا تتعدى الستة عشرة شهراً.

حينما التحقت "مانا يو" للدراسة فى أوائل سنة ١٩٦٤ كان "لين" يعمل أستاذاً فى علم التشريح فى المعهد. كانت شابة مليئة بالحيوية والنشاط تشارك فى لعبة الكرة الطائرة مع فريق المستشفى ، وإن كانت أكبر سنًا من زميلاتها فى الفصل لأنها لم تدخل المعهد مثلهن فور الانتهاء من الدراسة الإعدادية؛ بل عملت لمدة ثلاث سنوات كعاملة تليفون. جذبت بنات المعهد العديد من الضباط الشباب الملحقين بالوحدات العسكرية فى "موجى". رغب معظمهم فى التعرف على صديقة أو خطيبة من الطالبات ، مع أن القانون كان صارمًا ويمنع المجندات من اتخاذ صديق فى الجيش، ولكن كان هناك سببًا واضحًا وسريًا لهذه الرغبة ، لا يصرح به الضباط علانية ويحتفظون به فى أعماقهم ، ألا وهو أنهن باعتراف الجميع كن طالبات محترمات: أى عذارى. وإلا لما سمح لهن بالالتحاق بالجيش. كن قبل القبول للمعهد يخضعن لفحص دقيق للكشف والتأكد من عذريتهن، وترفض من يثبت عليها العكس .

فى مساء صيف من أحد أيام الأحد ذهبت "مانا" إلى المغسلة الملحقة بغرفة سكن الطالبات لتغسل ثيابها، وبينما هى منهمكة فى عملها دخل إلى المغسلة جندى برتبة ملازم أول عارى الرأس ، نحيف البنية ، ومتوسط الطول ، تبقَّع وجهه بالنمش. كانت أزرار ياقته المفكوكة تظهر بوضوح بروز تفاحة آدم عند رقبته. وقف بالقرب منها ورفع

قدمه إلى حوض الغسيل الطويل وفتح صنبور المياه لتتدفق المياه بقوة تغسل وتغّرق صندله البلاستيكى الأسود. وانتشرت المياه كمروحة فضية جذبت أنظار "مانا". بعد أن انتهى من القدم اليسرى رفع اليمنى. وهكذا دواليك أعاد الكرة وغسل قدميه مرات عديدة، وفاحت أنفاسه برائحة الخمر. التفت نحوها مبتسما كاشفا عن أسنانه. ردت له ابتسامته السخية بمثلها، وما لبثا حتى انساقا فى الحديث تدريجيا. أخبرها أنه يعمل فى محطة البث الإذاعى الرئيسية فى "موجى" وأنه صديق للمعلم "بنج". لاحظت "مانا" اهتزاز يديه أثناء حديثه. سألها عن اسم بلدتها وأجابته أنها من مقاطعة "شاننونج" وأخفت عنه واقعها المأساوى ، فهى وحيدة يتيمة الوالدين لا ملجأ لها ، بعد أن فقدت أسرتها إثر حادثة قطار التيبت ، ولم تكن تعدت الثالثة من عمرها ، وسألها:

-"ما اسمك؟".

-"مانا يو".

-"و أنا ماى دونج ، من شنغهاى".

شعرت بالراحة والسكينة وبدماء حارة تغمر وجهها الشاب ، استدارت لتخفى ارتباكها الواضح وانهمكت ثانية بغسل ثيابها. وإذ به يفاجئها قائلا وهو يمد يده محييًا:

-"سعيد بلقاؤك أيها الرفيقة مانا يو".

رفعت يدها مشيرة إلى ابتلال كفيها بالصابون وبسمة عابثة على شفتيها:

-"آسفة".

سألها وهو يمسح يديه المبتلتين بجانبى سرواله:

-"أود أن أعرف رأيك ببلدة موجى".

-"لا بأس بها. لماذا؟".

-"حقًا؟ وطقسها ألا يزعجك؟".

-"كلا. فهو لا يزعجنى".

-"ألا تجدينه شديد البرودة فى الشتاء؟".

ودون أن يترك لها مجالا للتعليق أكمل:

-"بالطبع ، الطقس جميل فى الصيف. وأنتِ ما رأيك؟".

قاطعته مقهقهة:

-"لماذا تغسل قدميك ثمانى أو تسعة مرات؟".

نظر إلى رجليه مرتبكًا وقال:

-"ياه! هل فعلت ذلك حقًا؟".

-"صندلك جميل".

أجابها وابتسامة عريضة على وجهه:

-"أرسله لى ابن عمى من شنغهاى. على فكرة كم عمرك؟".

فاجأها سؤاله. نظرت إليه طويلاً ثم استدارت لتغادر المكان وقد كست الحمرة وجنتيها. ابتسم وقال محاولاً تصحيح عفويته:

-"أعنى....هل لديك صديق؟".

ازداد إحساسها بالحرج والخجل واحتارت بما ترد عليه. أنقذها من هذا الموقف دخول طالبة جاءت لتملئ دلواً بالماء وتقطع عليهما الحديث.

بعد مضى أسبوع على هذا اللقاء ، تلقت "مانا" رسالة من "ماى دونج" يعتذر لما سببه من إزعاج شديد فى المغسلة. فهو قطعا لم يكن فى أحسن حالاته فى ذلك اليوم بزيه غير اللائق كملازم فى الجيش. لا شك أنه بدا فى نظرها كمعتوه أو أبله ولذا هو يرجوها أن تغفر له سوء تصرفه وقلة هندامه.

ردت "مانا" على رسالته فى الحال ، ذاكرة أن عفويته لم تزعجها إطلاقا ، بل إنها على العكس بعثت السرور والبهجة فى نفسها. وإنها مُعجبة بصراحته وعفوية تصرفاته.

كانا كلاهما فى منتصف العشرينيات من العمر ولم يسبق لهما الوقوع فى الحب ، استمرا فى المراسلة ، عدة رسائل فى الأسبوع. وبعد مرور شهرين على تعارفهما بدءا اللقاء فى المسارح ودور السينما والحدائق العامة وعلى ضفاف النهر. كان "ماى يونج" يكره مدينة "موجى" فلم يستطيع التأقلم معها ، يراها واسعة ومزدحمة بأكثر من ربع مليون شخص. يخاف شتاءها القارص البرودة وهواءها الشمالى المحمل بالغيوم الثلجية القادمة من "سيبريا" ، والضباب الكثيف الذى يحجب السماء عندما يشتد الصقيع. كل هذا يزيد من آلام احتقان الحنجرة المزمن الذى يعانى منه. كما أن عمله ككاتب وموظف فى التلغراف أضعف نظره. باختصار لم يكن سعيداً بحاله ولا يكف عن الشكوى. حاولت "مانا" تطيب خاطره وإزاحة كآبته وتشاؤمه بكلامها العذب الرقيق ولكن مزاجه السوداوىِ تغلب عليه . شعرت أحيانا كما لو أنه ولد صغير يحتاج لرعاية أخت كبيرة أو أم حنون.

فى مساء أحد أيام السبت الخريفية تقابلا فى حديقة النصر. جلسا تحت ظلال شجرة الصفصاف المتدلية على ضفاف البحيرة يشاهدان مجموعة من الأطفال على الضفة المواجهة وهم يطيِّرون طائرة ورقية من الورق الثقيل ، لا يساعد على طيرانها عاليًا عن سطح الأرض.

إلى اليمين ، على بعد مائة قدم رُبط حمار إلى ساق شجرة يهز ذيله بين الفنية والأخرى لطرد الحشرات. يتمدد صاحبه على العشب بقربه يأخذ غفوة ، وقد غطى وجهه بقبعته الخضراء اتقاء للذباب. وطيرت نسمة فجائية ثمرات توت العليق المتساقطة لتطفو وتدور فوق مياه البحيرة. مدَّ "ماى دونج" يده محيطًا كتفى "مانا" يشدها إليه مختلسًا قبلة من شفتيها .–

قفزت "مانا" على قدميها صارخة:

-"ما هذا الذى تفعله؟!".

ذعر البط البرى والإوز من حركتها الفجائية ففروا يسبحون بعيداً. ظنت "مانا" أنه يحاول اغتصابها ، فلم يسبق أن حاول أحد تقبيلها. وظهرت الحيرة والارتباك على "ماى" وقال متعثراً:

-"لم يكن بنيتى أن أزعجك بهذا الشكل".

-"لا تحاول أبداً أن تعيد الكرة".

-"كما تشائين. لن أفعل هذا أبداً".

ابتعد عنها غاضباً مستاءً وبصق على الحشيش. من يومها قاومت إغراءاته ومداعباته بتصميم ولكن بلطف ودون إحراج. كان شعورها القوى بالفضيلة والشرف يمنعاها من الاستجابة لرغباته. ونجحت مقاومتها فى تهدئة جموح عواطفه مع أنه صارحها أنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من التفكير بها ليلاً ونهاراً كما لو أنها ظله ، حتى إنه يلجأ أحياناً للسير حول المجمع العسكرى لساعات طوال فى الليل متسلحّا بمسدسه، ولا تعلم سوى السماء كم يفتقدها وكم من الليالى أمضاها أرقاً يتقلب على جمرٍ يفكر بها. وأخيراً بعد أن استبد به اليأس طلب الزواج منها قبل موعد تخرجها بشهرين فقط ، مُصراً على اتمام الزواج فى الحال. بات الآن يشغل تفكيرها ساعة أو ساعتين ليلاً إلا أنها رأت أنه ولا شك فقد صوابه بطلبه هذا. أمسك الصداع بها لا يفارقها طيلة يومها ، وتأخرت درجاتها الدراسية ، وأصبحت خائفة متوترة ينتابها الغضب وتفقد أعصابها لأسباب تافهة وبدون مبرر واضح ، وتُغرق الدموع عينيها كُلما انفردت بنفسها. فهى تعلم تماماً أنه ، وبالرغم من حبهما الشديد ، إلا أن زواجهما السريع سيكون وبالاً عليهما وتهوراً لا مبرر منه. فهى لا تعلم أبداً إلى أى مكان سيتم نقلها بعد التخرج. على الأرجح إلى مكان بعيد ، فى وحدة من وحدات الجيش ما بين "منشوريا" أو داخل "منغوليا". إضافة أن سرعة الزواج ستبعث الشكوك فى ارتباطهما العاطفى مما يترتب عليه معاقبتهما بعقاب ، أقل ما فيه إصدار أمر بإبعاد

الطرفين عن بعضهما إلى أبعد مكان ممكن. كما حدث فى السنوات الماضية ، ففى ظروف مُتشابهة قام الرؤساء بإبعاد الحبيبين الخارجين عن القانون إلى أماكن متفرقة وعلى الفور.

لم تكشف "مانا" عن عرض الزواج الذى تقدم به "ماى" لأحد سوى لأستاذها "لين كونج" الذى كان معروفًا بطيبة قلبه ورجاحة عقله وحسن معاملته للطلبة كما لو أنه أخ كبير. شعرت أنها بحاجة لرأى سديد ولمشورة صادقة. وافقها "لين" أن زواجهما الفورى قرار غير حكيم. وأنه من الأفضل لهما الانتظار لبعد تخرجها وتعيينها. كما وعدها بأن يكتم سرهما ، وسيحاول مساعدتها فى انتقاء مكان مناسب لعملها إن صدف وكان فى لجنة التعيين.

أقنعت "مانا" "ماى دونج" ليصرف النظر عن زواجهما الفورى ، وأكدت له أنها ستكون له نعم الزوجة عاجلاً أم آجلاً. ولكن هذا لم يصرفهما عن القلق والترقب آملين أن تعيَّن "مانا" فى مدينة "موجى". ظهر الإحباط واليأس على « ماى » واضحًا مما جعلها تزداد له حبًا وشفقة.

بعد التخرج عُينت كممرضة فى المستشفى الملحق بالمعهد برتبة ضابطة مبتدأة فى التصنيف الرابع والعشرين. ولكن فرحة "مانا" و"ماى" لم تكتمل لأنه بعد أسبوع من تعيينها أُعلن أن محطة الإذاعة التى يعمل بها "ماى" ستنتقل إلى مقاطعة "فيوان" على بُعد حوالى ثمانين ميلاً إلى الشمال من "موجى" بالقرب من الحدود الروسية. هدأّت "مانا" من روعه بعد أن لمست توتره وضيقه وقالت له مطمئنة:

-"لا تقلق يا ماى. اعمل واجتهد على الجبهة وسأظل بانتظارك".

وعلى الرغم من انكسار قلبها إلا أنها شعرت أنه أكثر منها إثارة للشفقة. وتمنت لو أنه أصلب عودًا ، رجل يمكن الاعتماد عليه وقت الشدة ، فالحياة مليئة بالمصائب والمفاجئات. سألها:

-"متى سنتزوج يا مانا؟".

-"قريباً. وهذا وعد".

نطقت بهذا بالرغم أنها غير متأكدة من موعد عودته ثانية إلى "موجى". مع اقتراب موعد الرحيل ازداد شعور "ماى" بالمرارة وصارحها عدة مرات برغبته بالاستقالة من العمل والعودة إلى بلدته "شنغهاى" ولكنها وفى كل مرة كانت تنجح فى إقناعه بالثبات والانتظار، لأن قرار التسريح ربما قذف به إلى أماكن نائية للعمل فى التنقيب عن البترول أو للمشاركة فى بناء سكة حديد فى عمق الصين. كانت ترى أن وجودهما على مقربة من بعضهما نسبياً هو الحل الأفضل فى الوقت الحاضر.

ساعة الرحيل، وقفت "مانا" عند المدخل الأمامى للمبنى الرئيسى وكفّيها على فمها تنفخ أنفاساً متلاحقة علّها تدفئ أصابعها المجمدة. جاءت مسرعة لتلحق به قبل الرحيل ونسيت قفازيها. رفضت أن تلبس قفازاه المبطنان بالفراء حينما عرضهما عليها. فهو أحوج لهما منها فى المنطقة النائية فى الشمال. وقف "ماى" أمام الباب الخلفى للشاحنة التابعة لمحطة الإذاعة، والتى بدا لونها الأخضر رمادياً بعد أن تغطت بالثلج والجليد. وأخذ الهوائى فى أعلى الشاحنة بالاهتزاز والميل باتجاه ريح عاصفة، تطلق صفيراً متواصلاً تكاد تقتلعه من صاريته. ازداد الثلج تساقطاً والجليد كثافة مع هبوب الرياح العاصفة المثلجة الخارقة للعظام.

علقت أنفاس "ماى دونج" متجمدة حول وجهه وهو يصدر أوامره إلى كتيبة جنوده الذين تجمعوا حول النافذة الخلفية فى الشاحنة لمشاهدة "مانا" ساعة الوداع. يغلبهم الفضول للتعرف عليها. خارج الشاحنة، انهمك مساعد السائق فى تخزين قطع خشب عريضة، تساعدهم لوضعها تحت العجلات أثناء تسلق الطرقات الجبلية المنزلقة، فى صندوق التخزين بالشاحنة. لفّ السائق حول العجلات الخلفية ليتأكد من صحة تركيبها ونفخها، تغطت قبعته المصنوعة من الفراء بالثلج الأبيض فبدت كعش لطائر الثلج. لوّح "ماى دونج" "لمانا" والشاحنة تمضى فى طريقها. فتح يديه على سعتها من وراء الزجاج الخلفى كما لو أنه يريد جذبها وضمها إليه. ودّ لو يصرخ "انتظرينى يا مانا" ولكنه لم يتجاسر أن ينطق فى حضور رجاله. ترقرقت دموع "مانا" وهى تشاهد وجهه مُتقلصاً من الألم، وعضت على شفتها السفلى لتكبح دموعها.

كان الشتاء فى "موجى" طويلاً وشديد البرودة. لا يختفى الثلج حتى أوائل مايو. ولكن منذ منتصف أبريل ، حينما تبدأ مياه نهر "سونجهوا" المجمدة فى الذوبان إلى قطع جليدية ضخمة طافية على سطح النهر ، يتجمع الناس على ضفتى النهر لمشاهدتها وهى تطفو على مياه النهر الخضراء الداكنة المجمدة. حيث يحلو للشباب المراهق أن يقفزوا فوق هذه الجزر الصغيرة الطافية ، والسلال فى أيديهم ليتصيدوا عند الحواجز الأسماك البيضاء ، وسمك الشبوط ، وصغار الأسماك التى قتلتها كُتل الجليد وجرفتها التيارات الربيعية. رست القوارب البخارية فى المرفأ ، تطلق صفارات أبواقها بين الحين والآخر منتظرة حتى يخلو المجرى من الجليد لتعود إلى رحلاتها العادية ذهابًا وإيابًا محيية المتفرجين بصفارات طويلة. فيرد الأطفال التحية بالتلويح والتهليل.

حلَّ الربيع فجأة ، وطارت زهور الطلع من علي أشجار الحور منتشرة بكثرة فى الجو لدرجة أن المتنزهين اضطروا لإبعادها عن وجوههم بأيديهم ، وتنفسوا هواء مُشبعًا برائحتها ، مختلطًا برائحة نفاذة لاسعة ، مسكرة لبراعم زهرة الليلاك. ومع هذا ظل كبار السن من أهل "موجى" متدثرين بثياب الفراء أو بطبقات كثيفة من الملابس القطنية. وانتشرت الحقول الواسعة بطينتها الصلصالية الداكنة السخية مزدانة بباقات منثورة من العشب الأخضر المصفر تبث بخاراً دافئًا يبدو تحت أشعة الشمس كغمامة وردية. تفتحت فجأة براعم أشجار المشمش والخوخ ، تخصبت وحملت بعد أن داوم النحل على ملامستها. لم يبق سوى أسبوعين ويأتى الصيف ، ففصل الربيع قصير جدًا ، حتى إن الناس فى "موجى" يقولون:"فصول السنة فى موجى ثلاث فقط".

هذا كل ما أخبرت به "مانا" "ماى دونج" فى رسالتها عن تبدل الفصول ، كما لو أنه لم يعش فى هذه المدينة لسنين عديدة. وكالعادة امتلأت رسائله بالشكوى من قسوة الحياة على الجبهة ، ومن أن الجنود يعانون من العمى الليلى لأنهم لا يأكلون ما يكفيهم من الخضروات، ومن القمل فى شعورهم لأنهم لا يغتسلون فى الثكنات، وأنه لم يتمكن من مشاهدة سوى فيلمى سينما طوال فصلى الشتاء والربيع. والأدهى أنه فقد

سبعة كيلوغرامات وأصبح كالهيكل العظمى، ولكى تخفف عنه الكآبة وتغذيه واظبت "مانا" على إرسال كيساً من الفول السودانى المقشور كل شهر .

فى ليلة من ليالى يونيه ، كانت "مانا" تتحضر هى وزميلاتها بالغرفة للذهاب إلى ملاعب الكرة الطائرة وراء المستشفى ، حين تقدم منها الجندى المسئول عن البريد وأعطاها رسالة من "ماى دونج" فبادرتها صديقتاها مازحات ، قالت أحداهما:

-"أهى رسالة من الحبيب؟".

فتحت الرسالة وبدأت القراءة. لاحظت الزميلتان امتقاع وجهها. كان "ماى دونج" يخبرها أنه لم يعد يحتمل الحياة القاسية على الحدود وأنه طلب الاستقالة ، ومُنحت له. وهو فى طريقه إلى "شنغهاى" ، فالطقس هناك أكثر اعتدالاً ، والطعام أفضل مذاقًا ، أضاف لأوجاع قلبها قوله إنه قرر أن يتزوج من ابنة عمه التى تعمل بائعة فى متجر كبير فى "شنغهاى". هذا الزواج سيعطيه الحق فى الحصول على بطاقة للإقامة تساعده بالبحث عن عمل فى المدينة. وأنه لن يخفى عنها أنه قام بخطبة الفتاة قبل أن يقدم استقالته وإلا لما سُمح له بالانتقال إلى "شنغهاى" ، لأنه لم يكن من سكان المدينة بل من ضواحيها.

وأخيرًا فهو يبدى أسفه واعتذاره ويسألها أن تكرهه وتنساه. أصيبت "مانا" بصدمة شديدة بعد أن فرغت من قراءة صفحتين من الرسالة. وكان رد فعلها الفورى السكوت المطبق. سألتها الممرضة "شين":

-"هل هناك ما يسئ يا مانا؟".

هزت "مانا" رأسها بالنفى ولم ترد، ومضت مع زميلاتها نحو الملاعب للمشاركة فى اللعب. لعبت كما لم تلعب أبدًا؛ بحماس وإصرار على الفوز ، كانت تهجم على الكرة باستبسال مما دعا اللاعبات للهتاف لها استحسانًا. تلطخ وجهها بالعرق والدموع ، وحينما قفزت فى الهواء لتنقذ الكرة وقعت منبطحة على أرض الملعب وكشطت مرفقها

الأيمن. صفق المتفرجون إعجابا لإحرازها هدفًا بينما أخذت تلملم نفسها من وقعتها ببطء وتتفحص الدماء السائلة عن جلد مرفقها المكشوط.

خلال الاستراحة نصحتها زميلاتها بالذهاب إلى العيادة لتنظيف الجرح. غادرت وبنيّتها العودة للعب فى الدور الثانى. ولكنها وفى الطريق أعادت النظر وأسرعت الخطى نحو غرفة إقامتها. غسلت مرفقها بالماء البارد فقط ولم تضمده.

منفردة بنفسها ، أعادت "مانا" قراءة الخطاب ، لتنساب دموعها بغزارة. رمت الخطاب على المكتب ، وارتمت على السرير منتحبة ، تتلوى من الألم وتعض على مخدتها لتكتم صرخاتها. حامت ناموسة حول رأسها وحطت على رقبتها ، لم تحاول إزاحتها ، وانتابها انقباض كما لو أن هناك من يعتصر قلبها.

حينما عادت زميلاتها الثلاث إلى الحجرة وجدن "مانا" كما هى مستلقية على سريرها تنوح. التقطن الرسالة وقرأنها ، حاولن مواساتها بصب لعناتهن واتهامهن للرجل الجبان ، قاسى القلب ، عديم المسؤولية. ولكن كلماتهن أثارت المزيد من النحيب والتشنج.

فى تلك الليلة لم تغسل «مانا» ووجهها أو تفرّش أسنانها أو حتى تنزع ثيابها عنها. كانت تصحو بين الحين والآخر جزعة لتعاود البكاء بينما استسلمت زميلاتها فى الغرفة إلى نوم عميق كانت تستمع مؤرقة إلى أصوات شخيرهن وحركة اصطكاك أسنانهن أو همهمتهن أثناء نومهن ، وهكذا مضت الليلة دون أن نتمكن «مانا» من إيقاف سيل دموعها ، أو تخفيف الألم الذى يعتصر قلبها.

بدت "مانا" بعدها سقيمة الروح والجسد ، وانتابها إحساس بالتقدم بالسن والزهد بالحياة ، واليأس لدرجة اللامبالاة مع شعور بالحرقة والتأنيب لذاتها لتمنُّعها من الزواج من "ماى" قبل سفره . وبالرغم من اعتراض زميلاتها انسحبت من فريق الكرة الطائرة لأنها عاجزة عن اللعب بسبب آلام فى أعضاء جسدها. أصبحت انطوائية وانعزالية كما لو أنها تنتمى إلى الجيل الأكبر وأهملت الاهتمام بمظهرها وثيابها وغلبت

عليها الرزانة. كانت قد بلغت السادسة والعشرين من العمر ، وأصبحت على حافة العنوسة. التى تبدأ كما هو متعارف به من سن السابعة والعشرين. فالمستشفى تضم ثلاث عوانس وأوشكت "مانا" على الانضمام إليهن.

لم تكن "مانا" بارعة الجمال ولكنها كانت ممشوقة القوام طبيعية بالإضافة لصوت جميل. فى الأحوال العادية لم يكن من الصعب لمن تتحلى بمواصفتها أن تلتقى بصديق يتزوجها. ولكن المشكلة أن عدد العاملات فى المستشفى يزيد عن المائة من الشابات المتعافيات اللاتى لا تتجاوز أعمارهن العشرين ربيعًا مما جعل . والعرض أمام الشباب لاختيار الصديقات كبيرًا ومغريًا. ولم يبق أمام "مانا" من يلتفت إليها سوى جندى متطوع يعمل كطباخ يغرف لها وجبة سخية حينما تذهب لشراء طعامها، ولكنها لا تريد أن تخرق القانون الذى يمنع الضباط من الارتباط بمن يقل عنهم مرتبة. إضافة أن هذا الرجل كريه الشكل كالبوم ، محتال وغير أمين فى عمله، ولذا تجنبت الوقوف فى أى صف يقود إلى شباك بيعه.



الفصل الثانى

فى منتصف سنة ١٩٦٠ لم يكن يعمل فى المستشفى سوى أربعة أطباء من خريجيها ، وكان "لين كونج" واحدا منهم . وأما بقية السبعين فكانوا مبعوثين لفترة محددة لأماكن متفرقة للقيام بالتدريب العسكرى والمناورات الحربية مع فرق الجيش الأصلية. إضافة لشهادته كطبيب حمل "لين" على كل كتف من كتفيه شرطة وثلاث نجوم تثبت رتبته كنقيب ضابط فى الجيش ومرتب شهرى يصل إلى تسعة وأربعين ينا. وهذا ما أوضح انجذاب الممرضات الجديدات إليه قبل أن يصبن بخيبة الأمل لعلمهن بأن لديه عائلة يحتفظ بها بالريف. تضاربت الشائعات حول زوجته ، ادعى البعض أنها تكبره بثمانى سنوات ، وأنها ألحقت بعائلته تخدمهم وتصبح زوجة لطفلهم ، الذى كان فى السابعة ، حين يبلغ . قال فريق آخر إنها كانت تعمل كمربية له لعدة سنوات قبل أن يتزوجها، ولكن لم يكن هناك من استطاع أن يجزم أنه رأى الزوجة.

تمكنت الصداقة بين "لين" و"مانا" منذ كانت طالبة فى معهد التمريض. لم يكن أستاذا متكبرا كغيره من المدرسين. وهذا ما جعله أكثر احتراما بنظرها. والآن بعد أن عملا سويا فى نفس القسم ازداد تعلقها بهذا الرجل الطويل الوسيم والهادئ الذى يتكلم بدماثة ويراعى الجميع. ينصت بصبر إلى محدثه ويهتم بآرائه. على العكس من الضباط الشباب ، بدا أكثر نضوجا من عمره الذى لا يتعدى الثلاثين؛ كما أن نظارته الطبية أضفت عليه مظهر المهذب والمتحضر والمثقف.

أحبه الجميع ولُقب بالعالم وأحيانا "بالدودة التى تلتهم الكتب" وانتخب بعد عام بالإجماع كضابط مثالى. عندما أخبرت "مانا" "لين" أن "ماى" فسخ خطوبتهما نصحها أن تنساه وأن تهتم بنفسها مؤكدا أنها ستجد قريبا من هو أفضل منه. أحست "مانا"

بالامتنان لكلماته المشجعة ، وكانت على ثقة أنه على عكس الآخرين لن ينعى حظها العاثر من وراء ظهرها.

وفى أحد أيام الصيف جاءت إلى حجرته لتعطيه صحيفة الدراسات فى علوم الطب العسكرية وبعض الحبوب لعلاج التهاب المفاصل. كان "لين" وحيدا فى الغرفة التى يشاركه بها طبيبان آخران. لاحظت "مانا" أرفف خشبية طويلة وراء سريره بطول الجدار رصّ عليها حوالى مئتى كتاب. معظم العناوين غير معروفة لها مثل:"أغنية الشباب" ، "الليالى البيضاء" ، "لينين" ، "القوة النووية الأولى لتفتيت الجليد" ، "اندلاع حرب العصابات على طريق السكك الحديدية" ، وغيرها. وامتلأت الأرفف السفلى بكتب طبية باللغة الروسية. وهذا ما ترك لديها انطباعا مميزا ، فهى لم تتعرف فى حياتها على من يستطيع قراءة كتاب بلغة أجنبية. بدا واضحا أن زميلى "لين" فى الغرفة على النقيض منه تماما ، غير مثقفين ، فهما لا يقتنيان أى كتب ، وُضع على مكتب أحدهما قذيفة مدفع نحاسية بطول قدم إلى جانب المصباح. ولكن على سريرهما مُدت لحف ومخدات مكسوة بأكياس مشجرة. بينما فُرش سرير "لين" بالمفارش البيضاء والخضراء التى يستعملها الجيش. وناموسيته أصفر لونها وبُليت أطرافها. وهذا ما جعلها تتذكر همسات النميمة التى تطلقها الممرضات عن بخل "لين" وتقتيره على طعامه. لم تستطع أن تجزم بصحة هذا الكلام ، ولكنها لاحظت أنه على عكس غيره من الرجال لم يكن يزدرد طعامه بنهم بل يتناوله ببطء وكياسة كما تطرز النساء أشغالهن اليدوية.

دهشت "مانا" عندما انحنى "لين" وسحب إناء غسيل من تحت سرير زميله "مينج شين" قائلا:

-"لدينا بعض الفاكهة ها هنا".

كان هناك حوالى عشرون حبة من الكمثرى الصفراء اشترك الأطباء الثلاثة فى شراءها. وردت "مانا":

-"أوه..لا تحتفل بى كما لو أنى ضيفة غريبة".

ورد:

-"كلا. ولكنك محظوظة ، فلو حضرتِ فى الغد ما وجدت شيئا منها".

انتقى حبة كبيرة ودفع الإناء بقدمه ثانية تحت السرير. صوت احتكاك معدن الإناء بالأرضية الأسمنتية أزعج "مانا" قليلا. خرج "لين" ليغسل الكمثرى قائلا:

-"سأعود على الفور".

أمسكت "مانا" بكتاب من على سريره وقرأت العنوان "المشكلة اللينينية" بقلم "ستالين". فتحت الكتاب فوجدت بعد الغلاف الخارجى على الصفحة الأولى حفر بأحرف أجنبية وهى: **Ex.Libris** وفوقها رسم لكوخ مسقوف بالقش ومحاط بسور تظلله أوراق شجرتين كبيرتين. وبدا فى الأفق خمسة طيور ه حلقة فوق رأس التل. وشمس غاربة ترسل على المكان أشعتها الأخيرة. سُحرت "مانا" بالمنظر وإتقان الرسم ، وحينما عاد "لين" سألته عن معنى الكلمة الأجنبية التى رأتها محفورة على الكتاب. وأجابها أنها كلمة لاتينية تعنى "مقتنياتى" أو "مجموعتى". وقدم لها الكمثرى. لاحظت "مانا" طول عظم كفيه ، ورشاقة أصابعه ، كان المفروض أن يكون جراحا بدلا من طبيب باطنى. سألته:

-"هل بإمكانى الإطلاع على بعض كتبك؟".

-"بالطبع ، هذا يسرنى".

أخذت قضمة من الكمثرى الغنية بالعصير المعطر. شىء ما أعاد لها ذكرى موزة أكلتها منذ سنين عديدة. بدأت فى البحث بين الكتب. كانوا جميعا يحملون نفس الحفر المطبوع وبنفس الكلمات خلف الغلاف الأمامى. بعض الكتب الضخمة حملت ختم "لين" على مقدمة الكتاب. انبهرت بعنايته الفائقة بالكتب وودت لو ترى المزيد ، ولكن كان عليها أن تقوم بتوصيل أمانة لطبيب آخر.

بعد هذه الزيارة بدأت "مانا" باستعارة الكتب من "لين". لم يكن بالمستشفى سوى مكتبة صغيرة تحوى عددا محدودا من كتب سياسية وطبية وعلمية، أما العدد القليل من المسرحيات والروايات الأدبية فقد سُلمت إلى الحرس الأحمر لحرقها أمام مبنى البلدية منذ شهرين تقريبا. بدا غريبا أن كتب "لين" ما زالت موجودة ، يبدو أنه لم يُبلغ عنها بعد ولم يقترح أى من الثائرين ضبطها ومصادرتها. كما لاحظت أن العديد من الضباط يستعيرون الكتب من "لين" لقراءتها فى السر ، مما يتطلب انتظارها أحيانا لاستعارة الرواية التى تود قراءتها.

لم تكن قارئة جادة ، ونادرا ما واصلت قراءة كتاب من الغلاف إلى الغلاف ، ولكنها بدت متلهفة لمعرفة ما يقرأ "لين" وزملائه ، وكأنهم شكلوا ناديا سريا يتشاركون فيه نهم القراءة وترغب فى اكتشافه.

فى الواحد من أكتوبر ، يوم العيد الوطنى ، قابلت "مانا" "لين" أمام مخزن المصور الفوتوغرافى العجوز والُمقعد. طلب "لين" من "مانا" مساعدته فى تغليف كتبه لأنه وجد أن تركها ، كما هى بعناوينها الواضحة على الأرفف ، مثيرا للشبهات وقال إنه قام بالفعل بتجليد نصف المجموعة وأردف مفسرا:

-"ليس من الصواب الاحتفاظ بها بالشكل الحالى لأنه بإمكان أى شخص قراءة العناوين. قمت بتجليد نصف المجموعة".

وقاطعته قائلة:

-"سأقوم بمساعدتك بتغليف النصف الآخر. كان المفروض أن تطلب المساعدة منذ البداية".

وحينما وصلت إلى غرفته فى المساء ، كان زميلاه فى الغرفة "مينج شين" و"جين تيان" منحنيان أمام لوحة شطرنج يتنافسان ويحتسيان البيرة. كان "مينج" طبيبا فى الإبر الصينية و"جين" مساعد جراح. كلاهما يقضى فترة تدريبه فى المستشفى. أخرج "لين" لفة سميكة من ورق التجليد ، وزَوجًا من المقصات ، وربطة من الشريط اللاصق ، وبدءا العمل وأصوات صراع الزميلين تملئ الغرفة. صرخ "مينج شين":

-"ضربة ضعيفة. عقيدى قتل ضابطك".

كانت رائحة الزناخة تفوح من أنفاسه ، شمتها "مانا" وهى على بعد ثلاث ياردات منه. وتوسل "جين تيان":

-"اتركنى ألعب من جديد. هذه المرة فقط. سبق وتساهلت معك. هل توافق؟".

صرخ "مينج شين" وهو يحاول الإمساك بقبضة "جين" الممسكة بحجر الشطرنج:

-"أعطنى هذا الحجر يا ابن العاهرة".

حاول "جين تيان" الإفلات من قبضة "مينج" القوية ورد عليه:

-"انتبه لألفاظك البذيئة".

-"سأراقب...أمك".

-"التزم الأدب يا رجل. معنا فى الغرفة الآنسة الرقيقة".

-"إذن اتفقنا. لن أتسامح فى اللعب.أكمل الدور".

-"اتفقنا".

ظل "لين" و"مانا" أثناء المشادة يعملان بهدوء بدون تعليق. يأخذان الكتب المرصوصة على سرير "لين" يغلفانها ويعيدانها إلى رفوف المكتبة. . تلامس كفاهما عدة مرات وهما يحاولان أخذ المقص سويا. تبسمت «مانا» لكنها شعرت بالحرج وبحمرة تكسو وجهها فغضت بصرها وواصلت العمل. حضور الزميلين الصاخبين أفقدها توازنها الطبيعى ، ولولاه لاسترسلت فى حديث ودى مع "لين" كما كانت تود. بعد مرور ساعتين انتهى التغليف وارتصت المجلدات بعناية ورُتبت على الأرفف، وبدت الكتب متشابهة وغير مميزة بالنسبة "لمانا" فتساءلت:

-"كيف سيمكنك التعرف على الكتب؟".

قالت هذا وهى ترتشف زجاجة من المياه الغازية قدمها لها "لين". فأجابها متبسما وقد تبقع وجهه بحمرة الخجل:

-"هذا لا يشكل مشكلة ، أستطيع التمييز بينهم بمنتهى السهولة".

ولاحظت "مانا" أنه يتجنب النظر فى عينيها. وضع ستارة من القماش الأبيض وغطى المكتبة ، كما لو أنه قرر إقفالها إلى الأبد.

تساءلت بينها وبين نفسها كيف يمكنه تحمل زميليه المشاغبين. ظهر الاختلاف بينهم واضحا. مما أكد لها سمو أخلاقه. بعد مرور يومين ، أصدر القسم السياسى بالمستشفى أمرا للموظفين جميعا بتسليم كافة الكتب التى تحتوى على أيديولوجيات بورجوازية ، أو روايات عاطفية ، خاصة لكُتاب أجانب أخبر "لين" "مانا" أنه قدَّم لهم عشرات الكتب معظمها نسخ متكررة فهو يحتفظ بالأصل. أصابتها الدهشة لأن القادة لم يطلبوا منه تسليم المكتبة بالكامل. بدا كما لو أنه سبق له العلم بالقرارات الوشيكة. وهذا ما جعله يطلب مساعدتها فى سرعة التغليف وإسدال ستارة على مكتبته قبل صدور القانون بأيام، ولكن لمَ يخاطر بالاحتفاظ بهم؟ ليس من المستبعد الوشاية به. فالجميع يعلمون أن "لين" يحتفظ بروايات أجنبية. لِمَ لم يصادرها القادة؟ لم تجرؤ على السؤال ولكنها توقفت عن استعارة كتبه.

. . .

الفصل الثالث

فى شتاء سنة ١٩٦٦ فُرض على المستشفى المشاركة فى تدريبات حربية عسكرية وميدانية ، لسبب ما ، أصدر القائد الأعلى للقسم الشمالى الشرقى للجيش أوامره أن تقوم فرق الجيش بالكامل بالتمرين على المعارك بدون استعمال وسائل النقل الحديثة. ليس فقط لأنه لا يمكن الاعتماد عليها دائما ، بل لأن الارتكاز عليها يضعف من صلابة المجندين. بدت الأوامر واضحة وقاطعة:

-"علينا استكمال روح المسيرة الطويلة. وسنستعيد التقليد القديم بالعودة لاستعمال الأحصنة والبغال والسير على الأقدام".

ولمدة شهر ، سار ثلث موظفى المستشفى أربعمائة ميل يعبرون الأرياف ، والحقول ، والقرى ، والمدن الصغيرة. يتدربون طول المسيرة على كيفية معالجة الجرحى وإنقاذ المصابين فى ساحات الحرب. انضم كل من "لين" و"مانا" إلى هذه التدريبات. عُين "لين" على رأس فريق طبى مؤلف من ثمانية وعشرين شخصا. لأول مرة فى حياته وجد "لين" نفسه فى مركز قيادى ، فعمل بجد ووجدان ليثبت لقادته حسن اختيارهم.

مضت المسيرة فى الأيام الأولى بشكل جيد. فالطرق معبدة ومستوية والفرق لم تستهلك طاقتها بعد. ولكن مع الأيام ازدادت الطرق وعورة ، خاصة أنهم اقتربوا من منطقة جبلية لم تترك السيول والجليد فيها أثراللطريق. بدأ العديد من الرجال والنساء يعانون من العرج مما لفت أنظار المدنيين من عامة الشعب الذين كانوا يراقبون المسيرة بحماس، وكثيرا ما أستُقبلوها بالتصفيق والترحيب الحار المشجع مما أحرج العارجون الذين أدلوا برأسهم خجلا لأنهم لم يجدوا فى معاناتهم ما يستدعى كل هذا التهليل

بل هو أكثر مدعاة للسخرية. سارت النساء جنبا الى جنب الرجال فهم متساوون يجرجرن أقدامهن ويمشين متثاقلات بدون سلاح يحملن العتاد كالرجال. وإن سُمح لهن أحيانا بحمل قطع عتاد أخف .

وفى يوم سكنت ريحه مشوا خلال غابة باتجاه قرية فى الشمال . ساروا اليوم بطوله إلا من استراحة واحدة لتناول الغذاء. فى السابعة مساء كانوا قد قطعوا ثمانية وعشرين ميلا ، ولكن رغم إحساسهم الشديد بالجوع والارهاق إلا أنهم كانوا ملزمين بالسير خمسة أميال باقية للوصول إلى القرية ولو على مهلٍ.

ولكن فجأة تغيرت الأوامر وصدرت التعليمات بأن عليهم قطع المسافة الباقية فى غضون الساعة: "قبل أن تحتدم المعركة المفترضة"، وفى الحال التزمت الفرق بالسير بأقصى سرعة.

امتلأت قدمى "مانا" بالبثور والفقاعات المؤلمة لحملها ناقلة لمدة ستة ساعات متواصلة. كان الجندى الجريح عبارة عن نصف خنزير يزن مائة وعشرون بوندا ، ولم تعد "مانا" قادرة على مواصلة السير ، أخذ "لين" صندوقها الطبى ليخفف عنها وأمر جنديين بجرها من تحت إبطيها لتلحق بالركب.

مشى الجنود يحثون الخطا تقذف أحذيتهم العريضة والعالية نتفا من الثلج والجليد. ينطلق كل حين صوتا ، آمرا:"تراصوا ، تجمعوا" أو "لا تخلعوا خوذاتكم" ، عاليا فى السماء ، بدت مجموعة الدب الأكبر متعرجة وانطلقت من أعلى الأشجار من أعلى الأشجار أسراب الغربان الهاربة من هذا الغزو الفجائى ، تخفق بأجنحتها طائرة بكل اتجاه زاعقة كأشباح جائعة مرعوبة. مرة بعد أخرى تدحرجت الأوانى والأوعية على الجليد مصدرة أصوات حادة وفجائية. تعثر الرجل الطويل الذى يحمل على ظهره آلة التلغراف الثقيلة ، والتى يزيد وزنها على سبعين بوندا فوقع على الأرض بحمله صادما جزع شجرة ضخمة فقطعه. ركض نحوه مذعورا "جين تيان" المسؤول عن الاتصالات ساعده على النهوض وهو يكظم غيظه متمتما بين أسنانه:

-"اللعنة. لو أنك كسرت الألة ستُسرح وتعود إلى قريتك لتأكل البطاطا الحلوة حتى آخر يوم فى حياتك".

كانت "مانا" طوال الطريق تتأوه وترجو من الرجال الذين يجرجرونها قائلة:

-"اتركونى مكانى...لا أستطيع مواصلة الطريق. اتركونى أموت هنا على الثلج".

ولكنهم استمروا فى جرها. فالأوامر كانت صارمة وقاطعة بعدم السماح لأحد بالتخلف.

بعد مضى ستة وخمسين دقيقة وصلوا الى القرية. التى كانت تضم حوالى ثمانين منزلا. تمركز فريق "لين كونج" فى ثلاثة أكواخ. الكوخان الأكبران ضما الأطباء والجنود والكوخ الصغير خصص للنساء من الضباط والممرضات السبع.

تحت ظلال القمر الشاحب انطلق الدخان وومضات شرر من خلال المدخنتين اللتين تعلوان مكتب ثكنة اللواء. انشغلت فصيلة من الجنود بطبخ الطعام للفرق الجائعة. يحرقون قشور أكواز الذرة والحطب وقودا للطبيخ. كما انهمك زوج من الفيالق فى تقطيع الكرنب بمهارة ليقوم الطباخون بتحضير الحساء وخبز كعكات الدقيق. من آن لأخر قام جندى بتطرية المرجل بقطعتين سميكتين من جلد الخنزير. استراحت البغال والأحصنة فى الحقل تشرب الماء وتلوك العلف. ما زال العرق ينضح غزيرا من ظهورهم وخواصرهم المنهكة. وخرج فريق من صف الضباط ليبحث عن إسطبل للأحصنة. بعد أن استقر الرجال فى أكواخهم مضى "لين" نحو المطبخ مع المسئول ليأتى بالطعام لرجاله. ولكنه لم يشاهد أى ممرضة من فريقه لتأخذ الطعام لزميلاتها. حدس أنهن ولا شك مرهقات لدرجة ولن يغادرن الكوخ. فما كان إلا أن أمر من المسئول ذى الوجه الطفولى أن يأخذ كعك القمح والكرنب وحساء الخنزير إلى الرجال. وطالبًا من الطباخ أن يقرضه وعاء من ألمنيوم لصب الحساء وكيس للكعك ، أخذهما ومضى باتجاه كوخ الممرضات. عصفت الرياح عاليا ولكن بخار حلة الحساء انطلق كالدوامة يدفئ صدر "لين". خلا المكان إلا من كلاب نابحة تجول بصحبة حرس المخافر وهم

يقومون بدورية حراسة ، يحملون المصابيح والبنادق الرشاشة فى حين. امتلأت السماء بنجوم لامعة تتألق كشذرات ذهب نحاسية أعلى غابات الصنوبر المتمايلة موجة إثر موجة بفعل الرياح. عند وصوله الكوخ وجد "لين" "مانا يو" و"هيان نيو" تنقعان قدميهما فى وعاء خشبى واسع مملوء بماء ساخن. بينما وقفت امرأة عجوز أنهك البرد القارس وجهها وزاد من تغضنه تسخن المزيد من الماء فى دلو حديدى من أجل بقية المرضات ، فسألهن "لين":

-"لماذا لم تذهبن لإحضار الطعام؟".

أجابت المرضة "شين":

-"ما زلنا ننضح عرقا".

وقالت "مانا":

-"أشعر كما لو أنى كلبة من شدة التعب".

واستمرت فى دعك قدميها ببعضهما مطلقة بين الفنية والفنية صرخة حادة قصيرة. رد "لين":

-"مهما كان تعبكن شديدا يجب أن تأكلن وإلا فكيف ستتمكن من السير فى الغد؟".

وضع حلَّة الحساء وكيس الحلوى على خزانة الأدراج وقال:

-"و الآن تناولن طعامكن ، واخلدن إلى نوم عميق ، ففى الغد أمامنا مسيرة طويلة".

قالت "مانا" وهى على وشك البكاء من الألم مشيرة إلى قدميها:

-"دكتور لين كونج لن...لن أستطيع مواصلة السير".

وقاطعتها "هيان" ذات العينين الواسعتين:

-"و أنا أيضا لن أستطيع السير. قدماى ملأى بالبثور".

أجاب "لين":

-"دعونى ألقى نظرة".

قربت العجوز فانوسا زيتيا مضيئا ، وانحنى "لين" ليتفحص زوجى الأقدام المستندة على حافة الحوض الخشبى. كان هناك ثلاث فقافيع صغيرة فى قدمى "هيان" ، واحدة فى باطن قدمها اليمنى ، واثنتان على كاحلها الأيسر. بينما كان نعلا "مانا" ممتلئين بالفقاقيع اللامعة مثل بالونات صغيرة. ضغط "لين" بأصابعه على الجلد المحمر حول أكبر الفقاعات فأطلقت "مانا" صرخة ألم. قال "لين" للممرضات الواقفات بقربه:

-"علينا أن ننزح القيح من هذه البثور والقروح. هل تعرفن كيف؟".

لوحن برأسهن وأجبن:

-"كلا".

تنهد "لين" ، ثم قام برفع أكمام قميصه وهن يراقبنه مندهشات ثم قال "لمانا":

-"يا مانا أنا بحاجة إلى شعرتين أو ثلاثة من شعرك. شعرات طويلة".

والتفت نحو المرأة العجوز وسألها:

-"هل لديك إبرة خياطة يا جدتى؟".

-"طبعا عندى".

ومضت العجوز خارج الغرفة ونادت على زوجة ابنها التى كانت فى الجانب الأخر من المنزل قائلة:

-"أنت ، يا رونج. هات لى بعض إبر الخياطة".

قدمت "مانا" الشعرات "للين". أخذ شعرة ووضع الباقى على ركبته. دخلت الغرفة امرأة فى الثلاثينيات من عمرها تحمل ثمرة قرع مفرغة ملأى بقصاصات من القماش

وشلل من الخيوط البيضاء والزرقاء والسوداء ومخدة صغيرة من الحرير. قالت وهى تشير إلى المخدة:

-"كل الإبر مغروزة عليها يا أماه. أى واحدة تريدين؟".

أجابها "لين":

-"إبرة صغيرة تفى بالغرض".

أعطته إبرة صغيرة. وضع الشعرة فى ثقبها ثم قال "لمانا":

-"لا تخافى. لن أسبب لك ألما ولن أؤذيك".

أظهرت استسلامها بهز رأسها. نظف "لين" يديه والإبرة بقطعة قطن مبللة بالكحول ، ثم حمل قطعة قطن أخرى بملقاط ومسح الفقاعة الكبيرة على كعب "مانا" الأيمن. وبعد أن ربَتَ عليها برءوس أصابعه بلطف لبضع ثوانى ثقبها بالإبرة. صرخت "مانا": "أوه!". وأقفلت عيناها بشدة. وفى الحال كان كعبها ممتلئا بسائل لزج دافئ متدفقا من الجلد المثقوب. قص "لين" الشعرة بالمقص وترك قطعة منها داخل الفقاعة قائلا:

-"اتركى الشعرة كما هى ليبقى الجرح مفتوحا وهكذا سيجف القيح".

قال هذا للممرضات اللاتى تجمعن حوله ليشاهدنه وهو يعمل. قالت المرأة العجوز متأتأة:

-"أيها الشاب تات تات تات. من كان يظن أنك ستتخلص من الفقاعة بهذه السهولة".

وهزت وجهها المتغضن وتشنج حاجب من حواجبها البيضاء مرتفعا إلى أعلى. مضى "لين" فى عمله يثقب ويجفف بقية البثور من قدم "مانا" الأيمن ، بينما انشغلت بقية الممرضات بعلاج قدمى "هيان" وقدم "مانا" الأيسر. تسلقت المرأة العجوز السرير الآجرّى الساخن وأخذت فى تقليب قبعات الفراء السبع التى كانت ترتديها

الممرضات من الداخل إلى الخارج ثم قامت بنشرهم على أسخن مكان فى نهاية السرير لتجف. بعد أن أنتهى "لين" من معالجة قروح "مانا" غسل يديه فى الحوض قائلا "لهيان":

-"لا تقلقى ، سيمكنك السير فى الغد. ولكنى لست متأكدا بالنسبة لمانا. لربما سيلزمها عدة أيام حتى تشفى".

عبس وجه "هيان" لسماع هذا. بينما قامت بقية الممرضات بشكر "لين" لأنه علمهن كيفية معالجة الفقاقيع والبثور. وعلى تقديرهن لاهتمامه بإحضار الطعام لهن . ورد قائلا:

-"كلوا وخذوا قسطا من الراحة. ولا تنسّينى أن تعيدوا الحلة إلى المطبخ فى صباح الغد".

وردت واحدة منهن:

-"لن ننسى".

سألته الممرضة "شين":

-"دكتور كونج ، لم لا تتناول العشاء معنا؟".

وردت الباقيات بصوت واحد:

-"نعم. كل معنا من فضلك".

-"سبق وتناولت طعامى".

كانت هذه كذبة صغيرة ، ولكنه مع هذا شعر فجأة ببهجة ، بشعور غامر دافئ يملئ صدره. أدهشته الدعوة وأسعدته ، ولكنه خاف لو أنه استجاب لهن وشاركهن العشاء من ثرثرة الآخرين. لربما وصل الخبر لرؤسائه ، سيكون موضع انتقاد وتأنيب. تغاضى عن رغبته وأجبر نفسه على القول:

-"تصبحن على خير جميعا. تصبحين على خير يا جدتى".

رفع ستارة الباب السميكة المصنوعة من الخيش ومضى إلى الخارج. سمع من وراء الباب صوت المرأة العجوز تتهته قائلة:

-"من حسن حظكن أنه رجل لطيف. تمنيت لو كان لدى بثور فى قدمى".

ورنت الضحكات تملأ أرجاء الكوخ وانطلقت إحدى الممرضات تغنى أغنية أوبرالية:

-"على البحيرة الواسعة تتأرجح الأمواج موجة بعد موجة

هناك ، على الضفة الأخرى تقع بلدتنا الحلوة.

فى الصباح نجدف ونطرح الشباك

ونعود فى المساء ومراكبنا ملأى بالأسماك".

تلفت "لين" حوله فرأى الثلج يكسو كل شئ. وأطلق ناظريه نحو الكوخ الريفى المنخفض وقد انبعث من وراء نوافذه نور برونزى دافئ من شعاع المصباح الزيتى. تمنى لو ظل داخل الكوخ ينعم بالدفء وبالصحبة الحلوة والعشاء الشهى هناك مع الممرضات. لو تسنى له ذلك!! حتى لو كلفه هذا ، السير لمدة عشرين ميلا إضافة لما سار اليوم. وتساءل فيما بينه إن كان سبب الزيارة رغبة كامنة فى اللاوعى وليس فقط مجرد واجب لتوصيل الطعام إليهن. ثم خطر له حلم يقظة غريب: تصور نفسه جالسا على رأس طاولة طويلة يتناول طعامه مع الشابات السبع ومعهن المرأة العجوز ، كلا المرأة العجوز استبدلها بزوجته "شويو" التى كانت تلف حولهن وهى تحمل سلة ملأى بالخبز الطازج والساخن. كن جميعا يتناولن الطعام ويبدون سعيدات مبتسمات يتبادلن الحديث بحميمة وود ، ويستمتعن بوجودهن سويا كزوجات له تحت سقف واحد. خامرته فكرة ، أنه فى الصين ، فى الزمن القديم ، اتخذ الرجال الأغنياء من الاقطاعيين والرأسماليين عدة نساء كزوجات لهم وعاشوا معهن يرفلون بلذة تعدد الزوجات وينعمون بالسعادة ، وتمنى لو كان واحد من هؤلاء المحظوظين. صفَّر الهواء مرسلا ريحا صرصرا أعادت "لين" إلى واقع حقول الثلج. هز رأسه وانزاح الحلم. وحدَّث نفسه:

-"لا بد وأنك مريض".

وأعقبه شعور بالقرف والاشمئزاز من نفسه لحسده هؤلاء الرجال الرجعين والاقطاعيين. كان أولى له أن يحكم عليهم بأنهم متطفلون وعالة على المجتمع. ما هذه التخاريف البشعة!! ثم عاوده شعور جميل ، شعوره للمس قدم "مانا" بين أصابعه الذى على ما يبدو تغلغل داخل جلده وما زال يتمدد وينتشر ليغمر كفيه ثم كيانه كله. التف ومضى نحو الكوخ حيث يتجمع رجاله. ولكن مشيته لم تعد منتصبة كما كانت من ساعة مضت.

لم تتمكن "مانا" من السير فى اليوم التالى. رتَّب لها "لين" عربة جر بحصان لنقلها. وحُمل معها أيضا العتاد والمؤن. مشت العربة فى مقدمة الفرق العسكرية. أعطاها "لين" معطفه ومعطف "هيان" الطويلان المصنوعان من جلد الخراف حتى يتخففا منهما. قامت "مانا" بلف ساقيها بهما. ظلت فى العربة لمدة يومين كاملين ثم توقف الركب عند مدينة كبيرة تضم مجموعة من القرى لمدة أسبوع ، مما أعطى "لمانا" فرصة لشفاء قروحها ، لتعود إلى تدريباتها. وفى أثناء العودة حمل "لين" عنها صندوقها الطبى معظم الوقت. وحين كانت توجه له الشكر كان يرد:

-"لا تشكرينى. فأنا أقوم بواجبى فقط".



الفصل الرابع

بعد انتهاء التدريبات وعودة القوات إلى "موجى" أخذت مشاعر "مانا" نحو "لين" تتحول تدريجيا من إحساس قوى بالامتنان والتقدير إلى فضول شديد لسبر غوره ، والغوص فى أعماقه؛ لذا فكثيرا ما تعمدت المرور إلى مكتبه لتناقش معه موضوعا أو تحدثه عن مشكلة، وفى المساء وبعد أن تهدأ الأصوات ويعم السكون تبقى يقظة تمعن الفكر فى هذا الرجل الغريب الأطوار ، تتتابع الأسئلة فى رأسها واحدا بعد الآخر: هل يحب زوجته؟ كيف تبدو؟ هل صحيح أنها تكبره بثمانى سنوات؟ لماذا يبدو بهذا الهدوء والسكينة؟ هل هو دائما بهذه الطيبة؟ هل تتملكه يوما مشاعر الغضب والثورة؟ يبدو كما لو أنه لا ينفعل أبدا. فتاة بلهاء. لِم أنت دائمة التفكير به وتشغلين ذهنك بمعرفة المزيد عنه؟ ماذا تريدين منه؟.

تعلمين جيدا. أنه رجل مثالى ، دمث الأخلاق. ولكنه متزوج. كفاكِ جنونا وحمقا. فهو ملك لعائلته، وليس لك، ولكن فلنفترض أنه لا يحب زوجته ويريد أن يتخلى عنها. إن صح هذا ، هل توافقين على الارتباط به؟ كفى عن هذا الوهم والخيال الأحمق واستسلمى للنوم. هل تتزوجينه؟.

حاولت جاهدة ولكنها لم تتمكن من انتزاعه من كيانها وتفكيرها. تغلغل فى داخلها وأقلق روحها، وباتت ليلة بعد أخرى تتتابعها أسئلة مشابهة تؤرق نومها حتى الساعات الأولى من الفجر. كثيرا ما راودتها مشاعر ملامسة أنامله لكاحلها الأيمن وهو يعالجه بمنتهى الرقة والحساسية ، فتحاول استعادة تلك الأحاسيس بتمسيد قدميها ببعضهما تحت اللحاف أو بتدليكهما وقلبها يشتعل بانفعالات الذكرى.

علمت من "هايان" أن زوجة "لين" أنجبت له طفلة. أزعجتها هذه المعلومة ، فهذا يعنى أنه مرتبط بعائلته أكثر مما خمنت وتمنت. ولذا من الأفضل لها أن تكف عن التفكير به. هذا ما دأبت تذكر نفسها به دائما. لأنها بملاحقته تسعى وراء المشاكل ، لأنه وفى جميع الأحوال سيضع الناس اللائمة عليها، لأن الشخص الثالث الدخيل بين الزوج والزوجة بعرف الجميع نصف مجرم. ولكن بالرغم من كل محاولاتها الالتزام بالحكمة والتعقل والعزم على الابتعاد عن طريقه إلا أنها ما أن يقع بصرها عليه حتى تتسمر أمامه لا تستطيع الكف عن النظر اليه. فهى تعيش حالة من النشوة والسحر ما بين الحلم واليقظة.

فى مساء يوم من أيام شهر يونية ، مضت "مانا" نحو بيت فئران التجارب لتشاهد مولودا جديدا. ثم عادت أدراجها نحو غرفة إقامتها. فى الطريق شاهدت على بعد رجلا وامرأة يتمشيان بالقرب من أيكة الحور الرجراج التى تقع إلى الغرب من قاعة الاجتماعات. لم تتبين شخصيتهما جيدا من مكانها ، وان بدا الرجل أشبه ما يكون "بلين" ، كان الجو ممطرا بعد أن أستمر الرذاذ طوال اليوم ، وبدت الأشجار كسور داكن يتوجه نحوه الشخصان بردائيهما الأبيضين. صممت "مانا" على اكتشاف أمرهما. ودون أن تترك لنفسها مجالا إعادة التفكير توجهت نحو الممر بين أشجار الحور القصيرة ومضت نحو الإيك لتتأكد من شخصية الرجل والمرأة. بدأ قلبها يخفق بشدة والرذاذ يتحول إلى نقط كبيرة تسقط على أوراق الأشجار العريضة مع أن السماء بدت صافية مرصعة بالنجوم. فاجأها ظل كلب بالممر ، فتوقفت لم تكن تدرى أهو كلب أليف أم شارد يمضى باتجاه المطبخ ليسرق طعاما؟ بعثت نظرات عينيه الخضراوين برعشة ثلج بطول ظهرها. وتذكرت قصة الكلب المسعور الذى هاجم ولدا قرب الحرش منذ عدة أسابيع مضت. كانت تعلم أن عليها أن تظل ساكنة ولا تتراجع حتى لا يهاجمها وينقض عليها. وجدت غصن شجرة ملقى ، التقطته وحركته أمام الحيوان متوعدة. راقبها الكلب لبرهة ثم تراجع متخاذلا وهو يتسلل بعيدا ، داساً أنفه بالأرض يتشمم علّه يجد رزقا.

وصلت "مانا" أخيرا إلى الجانب البعيد من الحرش وسمعت صوتا نسائيا يقول:

-"أيدّعى أنه أضاع الكتاب؟ لا أستطيع تصديقه".

تعرفت "مانا" على الصوت. صوت الشابة المسئولة عن المكتبة "بينجبينج ما".

رد صوت "لين" مهزرا:

-"سأطلب منه تأمينا فى المرة القادمة".

انطلقت أصوات ضحكاتهما. وقفت "مانا" وراء عدة أشجار تراقبهما. بدا "لين" سعيدا. وقفا تحت ضوء مصباح الشارع يتبادلان حديثا لم تتمكن "مانا" من سماعه. واتجها نحو الجسر الصغير الذى تتدفق تحته مياه الأمطار تلمع بتأثير ضوء القمر. وعلا صوت نقيق الضفادع. انحنت "بينجبينج" والتقطت حصاة صغيرة قذفت بها على مستوى منخفض فوق المياه ، تحت الجسر. تقافزت الحصاة المسطحة محركة المياه وصرخت الفتاة بصوت رنان:

-"ها أنا ذا أحرزت ثلاث قفزات".

أسكتت الحركة صوت الضفادع لفترة ولكنها ما لبثت أن استعادت نقيقها بعد تردد. قال "لين" وهو يرشق حصوة التقطها:

-"كنت فى الشباب ماهرا فى هذه اللعبة".

و صرخت الفتاة:

-"أوووه... ها أنت أحرزت خمس قفزات".

ثم انشغلا فى البحث عن حصى صغيرة مسطحة. ولم يجدا طلبهما؛ ولذا فلم يحرزا أكثر من ثلاث ضربات فى المحاولات التالية. كان واضحا استمتاعهما باللعبة. لم تجسر "مانا" على البقاء طويلا حتى لا ينكشف أمر تلصصها عليهما، فالممر كان مطروقا ، عدا خوفها من ظهور الكلب ثانية. عادت مسرعة تحمل غصن الشجرة على

كتفها وانقباض شديد يعتصر أحشاءها يمنعها من ازدراد ريقها ويقفل بلعومها ويشعرها بالعطش الشديد. حينما وصلت إلى غرفتها كان حذاؤها وأسفل أرجل سروالها غارقان بمياه الأمطار والوحل.

لم تتمكن من النوم أبدا في هذه الليلة وهي تقلب الفكر فيما رأت. ما هي حقيقة العلاقة بين "لين كونج" و"بينجبينج ما"؟. هل هما حبيبان؟. هذا غير مستبعد. وإلا لما بدت عليهما كل هذه السعادة وهما يتشاركان اللعب كالأطفال. كلا. هذا غير معقول ، فهي تصغره بما لا يقل عن عشر سنوات. كما أنها بمرتبة جندي ولا يحق لها الارتباط بضابط، ولكنها ليست من النوع الذي يعطي اعتبارا للقوانين. بالطبع لا. وإلا لما تجرأت باللعب مع رجل متزوج. تُرى هل هو معجب بها حقا؟. على الأرجح لا، فوجهها مدور ومنتفخ وقبيح تشبه القرعة. وأسنانها الأمامية ظاهرة البروز. ومع هذا يبدو أنه مستمتع بصحبتها. لم تره يوما على سجيته مع الأخريات كما رأته معها. ورأته في خيالها واقفا أمام الجسر واضعا يديه على خاصرتيه يراقب الفتاة وهي تقذف بالحصا. ازداد توتر "مانا" واضطرابها مع محاولتها عدم التفكير بالفتاة و"لين". كان أكثر ما يقلقها مركز والد "بينجبينج" الذي كان يعمل كنائب لقائد اللواء التاسع والثلاثين في مقاطعة "ليوننج". هذا السند القوي للفتاة سيعطيها جاذبية وجمالا بين الرجال حتى ولو كانت خنزيرة ممتلئة. تُرى هل ينجذب "لين" كغيره من الرجال لرفقة ذوي المراكز والأغنياء؟ هذه الخواطر زودت من تعاسة "مانا" وجعلتها تتذكر موت والديها ويتمها. لو أنهما كانا على قيد الحياة لوصلا قطعا لدرجة ضابط. حدثتها عمتها أن والدها كان صحفيا مهما يعمل لحساب صحيفة مشهورة حينما قتل في حادثة القطار. لم يكن قد أتم الواحد والثلاثين من عمره. كما كانت والدتها من خريجات الجامعة اختصاص لغة فرنسية وشيء بديهي أنها مع هذا المستوى من التعليم كانت ستصل إلى مركز مرموق في عملها. وازدادت مانا كآبة وقلقا وهي تفطن أن "بينجبينج" قارئة جيدة للأدب الكلاسيكي ، فهي المسئولة الوحيدة عن مكتبة المستشفى، ويقال إنها كثيرا ما قصت قصصا خرافية على زميلاتها في النوم ، أثارت دهشتهن وإعجابهن فكن يقدمن لها سكاكر حلوى الجيلي والصودا لتسترسل في سردها وتبل ريقها؛ لربما

هذا سر جاذبيتها "للين" ، لابد أنها فتنته بإطّلاعها. ويبدو أنهما متلائمان ، فكلاهما من الديدان الآكلة للكتب. وسيمضيان العمر يتحدثان عن الكتب. ما المطلوب من "مانا"؟. هل ستترك للفتاة فرصة لتأخذه منها؟. عليها أن تتصرف وفى الحال.

الفصل الخامس

ازداد اهتمام "لين" "بمانا" ، خصوصا بعد أن علَم أنها تربت فى ملجأ للأيتام فى مدينة "تسينجتاو" ، حتى إنها ، وفى السنتين الماضتين ، بعد التحاقها بالعمل فى المستشفى كانت تمضى أجازتها السنوية بالمستشفى. فليس لديها أهل أو أقارب تذهب إليهم خلال الأجازة السنوية باستثناء عمة تسكن بعيدا لم تشعر "مانا" يوما بأى حميمة معها. كثيرا ما نصحها "لين" بالعودة لفريق الكرة الطائرة أو أن تشارك فى الحملات الدعائية للمستشفى ، أو أن تنضم إلى نادى التمثيل فى المستشفى ، ولكنها كانت تجيب بأنها كبرت على مثل هذه النشاطات ثم تصرح له مازحة بأنها قررت الانتساب للرهبنة ، ففى الواقع كان الحرس الأحمر فى تلك الأثناء يدمر المعابد ودور العبادة على طول البلاد وعرضها ، ويقوم بطرد الرهبان والراهبات فيضطرون العودة ثانية إلى بيوتهم أو إلى أماكن قصية ليعيشوا حياة متواضعة كبقية الشعب.

لاحظ "لين" مؤخرا نظرات الاعجاب والوله فى عيون "مانا" وحاول الابتعاد عنها. لم يكن متأكدا من انجذابه إليها. تغير شكل "مانا" كثيرا بعد فك ارتباطها "بماى دونج"؛ لم يعد وجهها نضرا فتيا ، ظهرت بعض الغضون حول عينيها وفقدت بشرتها رونقها. شعر بالأسف من أجلها مدركا أن الفتاة عامة تفقد شبابها ورونقها بسرعة وهو واقع لا يمكن تبديله. أراد أن يكون متعاطفا وطيبا معها ، ولكن ابتسامتها العريضة وعيونها المعبرة عن رغبة فى استمالته أصابته بالحرج والارتباك.

فى صيف ١٩٦٧ ، كان قد مضى أربع سنوات على زواجه ، وأتمت ابنته شهرها العاشر ، ولكنه لم يكن قادرا أن يمنع نفسه من النظر والحسرة كلما شاهد زوجين يسيران على الطريق متشابكى الأيدى شاعرا بالغيرة ومتمنيا أن ينعم مثلهما. تساءل

لم يجد نفسه مجبرا على العيش كالأرمل؟ لمَ لا يستطيع أن يستمتع ,مع أنه رجل متزوج ، بدفء العائلة؟ تحسر على حاله: لو أنه رفض اختيار أهله لزوجته! لو أنها كانت بهية الطلعة! ولم تكن مربوطة القدمين! أو لو أنهما يعيشان فى زمن سابق! إذن لما شعر بالخجل والإحراج من قدميها الضامرتين ، وقبحها ، وكبر سنها. كان تعيسا ولكن شعوره بالحسد من الرجال الذين يعيشون مع زوجات لائقات كان بالحقيقة عابرا. حتى أنه لم يحمل يوما ضغينة أو كراهية "لشويو". فهو يقدر لها عنايتها الفائقة والمثابرة لوالدته إلى أن توفيت. وها هى ذى الآن تقوم بخدمة ورعاية والده طريح الفراش ، وتربية ابنتهم. لا يحق له الشكوى.

وفى الواقع كان "لين" راضيا عن عمله فى المستشفى ، يكسب ما فيه الكفاية حتى أن راتبه كان أكبر من معظم زملائه لأن شهادته الجامعية أعلى من شهاداتهم. كان يعيش حياة هادئة ، بسيطة مسالمة ، إلى أن دخلت "مانا" فى مجراها فى يوم من الأيام وبدلتها تماما. تركت على مكتبه مظروفا فيه تذكرة أوبرا ورسالة بخط يدها السيئ تقول فيه:

"تعرض الأوبرا قصة المعركة البحرية التى دارت سنة ١٨٩٤، يبدأ العرض الساعة الثامنة. أرجو أن تذهب إلى مسرح المستشفى وتستمتع بالعرض".

كان قد شاهد الفيلم ، ويعلم القصة تماما. فكّر فى إعادة التذكرة إليها، ولكنه حينما أعاد التفكير قرر الذهاب؛ فليس أمامه شيء آخر يشغله هذه الليلة. كان الممثلون من الفرق الشهيرة من مدينة "شنغشان". والتذكرة فى الصفوف الأولى.

يقع مسرح المستشفى فى الزاوية الجنوبية الشرقية للمجمع. فوجئ "لين" لرؤية "مانا" تجلس فى الصف الخامس فى المقعد المجاور لمقعده. تردد فى الدخول لبرهة. ثم قرر المضى باتجاهها. وفى اللحظة ذاتها لاحظ أن أنظار الحضور توجهت نحوهما. كان البعض يرطبون الجو بتحريك المراوح ، وإنهمك آخرون يأكلون لب زهرة عباد الشمس. بينما انطلق الأطفال يلعبون فى الممرات يحملون مسدسات بلاستيكية وسيوف

خشبية ومقاليع رماية. وضع الجميع على رؤوسهم قبعات الجيش الخضراء وتحلت صدور ستراتهم بأزرار تحمل صورة الرئيس "ماو". وأحاط البعض منهم وسطه بحزام من قماش القنب. انطلق صوت مسئول عبر مكبر الصوت يأمر المدخنون بإطفاء السجائر لأن الدخان سيحجب الرؤية عن الشرح والتفسير لمعنى الأبيات الذى سيسلط على الحائط الأبيض على يمين المسرح. انهمكت الممرضات المسؤولات عن قسم الأمراض المعدية فى البحث عن المرضى الموبئين لمنعهم من الاختلاط بالآخرين فى مثل هذا المكان العام.

لم يكن "لين" على سجيته ولم يجد مبررا لتصرف "مانا" المتهور ، وهى تجلس بقربه غير مهتمة بنظرات الآخرين ، حتى إنها مدت له يدها التى امتلأت بالسكاكر. اغتاظ لجرأتها ، ومع هذا التقط واحدة ، نزع غلافها ووضعها فى فمه. كانت بنكهة البرتقال. نظرت إليه وابتسمت وحدَّث نفسه:

-"يا لجرأة بنات المدينة!".

ظهرت المذيعة من وراء الستار ، وبصوت شجى أعطت نبذة للخلفية التاريخية للأوبرا ، ثم فتحت الستارة وظهر على المسرح ممثلان بلباسهما العسكرى المذهب وقبعاتهم السوداء ذات الأذان الطويلة المتحركة. تقدما إلى الأمام بانحراف ، يستعرضان حذائيهما بنعليهما الأبيض ويتبادلان الغناء الذى يصف الحملة العسكرية والهجوم اليابانى على شبه جزيرة كوريا. صدح صوت الأول يغنى بصوت عال:

-"جاءتنا الأخبار فى الحال من الحدود

تخبرنا عن هجوم خمسة آلاف من قطاع الطرق

قراصنه برزوا من المحيط واستمروا على الماء

منتظرين لمدة يومين آخرين

ثم رسوا على البر وهم الآن بطريقهم إلى "بيو نجبينج".

وكان الرجل الآخر يطلق بين الحين والآخر صوتا أوبراليا معبرا عن الجزع والغضب بأوووه...آآه.. أثناء استماعه إلى التقرير. لم يفهم "لين" الكلام كله، ولجأ كغيره لقراءة التعليق المسلط على الحائط، ولكنه اندمج مع العرض والغناء والقصة التى تدور حول ضابط من مدينة منشوريا يبحث عن القوات الشمالية بواسطة تلسكوب طويل يديره بين يديه. يظهر بعدها مجموعة من حملة البنادق العراة الظهور وقد تدلت ضفائر الشعر من رؤوسهم الحليقة يستعدون للمعركة مع البحرية اليابانية. رصت التروس النحاسية على سطح ما بدا كسفينة حربية حول المدفع الرئيسى، وفى خلفية المسرح علقت لوحة مرسومة للبحر على قماش أخضر بلون كالباذلاء لطخت بتموجات بيضاء تظهر اصطخاب الأمواج، وقبل أن تصل الأوبرا إلى الذروة ، فى الوقت الذى التقت فيه البارجة الحربية بالأعداء فى البحر الأصفر ، حطت يد على معصم "لين" الأيسر. ترنح قليلا ولكنه لم يسحب يده. تلفت ذات اليمين وذات اليسار ووجد أن الجمهور مبهور بحفلة الوداع على المسرح. تنفس الصعداء. والطبول ترعد وتدوى ، والأبواق تصدح ، والصنجات تقرع، وتصفيق حار ينفجر. نظر من طرف عينه نحو "مانا" ووجدها تنظر نحوه بوله وقد أضيقت عينيها ، ولامست أصابعها الرقيقة كفه تتلمسسه بلطف كما لو أنها تقتفى آثار قلبه وتقرأ خطوطه الرئيسية. لامس يدها وأحس بدفئها ونعومتها بدون أى نتوءات وخشونة. كم يختلف كفها عن كف "شويو". ضغطت على إبهامه بنعومة ، وبدوره أمسك ببنصرها يداعبه ويلويه إلى الأمام والخلف. تسللت إلى رسغه بأظافرها. دغدغته الحكة ، فأمسك بيدها ليمنعها ، فتشابكت الأصابع كلها. وتوقفت الحركة. ثم عادا ثانية للمداعبة واستغرق الكفان فى المداعبة المتبادلة لفترة لم يشعرا بطولها. وقلب "لين" يخفق بشدة ، ولم يعد مهتما بالمعركة الحربية التى دفعت الجمهور للتصفيق الحاد والتهليل، وبالرغم من غرق الأسطول الصينى بكامله بجنوده وعتاده فى اليم ، ظلت يدى "لين" و"مانا" متشابكتين حتى الفصل الأخير. وعندما أسدل الستار وأُشعلت الأنوار واستمر الجمهور فى التعبير عن الإعجاب والحماس بالصراخ:"فلتسقط الإمبريالية اليابانية" ، أمعن "لين" النظر فى عينى "مانا" فوجدهما لامعتان وبؤبؤ عينيها يشعان كطائرين طليقين. وشفتاها الرطبتان تتكوران بابتسامة سكرى. هو نفسه كان مترنحا وغير متزن. نهض وأسرع بالهرب قبل أن يلحظ الآخرون احتقان وجهه.

أمضى ليلته أرقا ، لا يغمض له جفن يهتز ويتقلب داخل ناموسيته الجديدة ، متأملا تصرف "مانا". بالرغم أنه لم يكن راضيا عما صدر منها ، ولكنه كان مقتنعا بأنها شابة رزينة ، مؤدبة وغير متبهرجة. مختلفة تماما عن عديمات الحياء اللاتى لا يتورعن عن أى فعل إرضاء الرؤساء من القادة مقابل ترقية أو عضوية فى الحزب. سأل نفسه:

-"هل هذا يعنى بداية علاقة؟". لم يحاول الإجابة. "لماذا تهتم بى بهذا الشكل؟ فهى تعلم تماما أننى متزوج. لماذا فعلت ما فعلته بالمسرح؟ كانت بمنتهى الجرأة. هل هذا يعنى أنها ستستمر فى ملاحقتى إلى الأبد؟ وما المفروض أن يكون رد فعلى؟".

انطلقت الأسئلة فى رأسه الواحد تلو الآخر، ولم يستطع التخلص منها. تضايق زميله "مينج تشين" من حركاته القلقة وصرخ:

-"أوقف يا "لين" هذه الأصوات والحركات ، فأنا لا أتمكن من النوم. وعلىّ أن ألحق بالقطار فى الصباح الباكر".

تقلب "لين" على جنبه وقال:

-"عفوا ، آسف للإزعاج".

ومن الخارج سُمع صوت الخفير صارخا:

-"من أنت؟ أُذكر كلمة السر".

ونبح صوت ذكورى يرد:

-"زوج من الإعلام".

فى مكان ما بسطح المبنى تبادل صرصاران من الصراصير الطائرة غنائهما الرتيب المعذِّب ، ونور القمر يتسلل من خلال النافذة عاكسا معينا شاحبا على الأرض الأسمنتية. أقفل "لين" عيناه بشدة وهو يردد الأرقام علَّه يأخذ غفوة. ظل على هذه الحالة حتى منتصف الليل. ثم رأى نفسه وهو بين اليقظة والنوم بصحبة امرأة.

لم يتبين وجهها بوضوح ولكن جسمها يشبه قوام "مانا". كانا يجلسان بلباسهما الأبيض وغطاء الرأس ، الطبى إلى مكتب يضعان خطة لإجراء عملية على مريض يشكو من علة فى القلب. كان يكتب على اللوح ويشرح باختصار لفريق الأطباء والممرضات خطوات العملية. ثم تعمق فى حلمه فوجد نفسه فى بيت واسع أمام مكتب ومكتبة ممتلئة بالكتب المجلدة بأغلفة سميكة على أرفف من خشب السنديان. زُينت الجدران بلوحات ذات أطر جميلة. بدت وراء البيت شرفة مغلقة بالزجاج تواجه حقلا بيضاويا أخضر. كان هذا فى مساء يوم سبت وقد اجتمع رهط من الأصدقاء والزملاء يتبادلون الآراء حول الأوبرا والسينما ، بينما انهمكت المرأة تصب لهم الشاى وتقدم الصودا وتدور عليهم بلب القرع المملح ، والفول السودانى ، والحمص المقشر. ما زال وجهها غير واضح المعالم ، يبدو أنهما سيد وسيدة المنزل. سهر الضيوف لوقت متأخر من الليل يلعبون ورق « الشدة ». بينما انهمك لين فى تدريس ولدين بصبر فى غرفة المكتب، كما لو أنه ينوى إلحاقهما بمدارس فى "بيجنج" أو "شنغهاى".

وفى اليوم التالى ، حينما صحا "لين" من نومه شعر بألم فى رأسه كما لو أنه أصيب فى حادثة، وبتشنج بلسانه وأسنانه. وبالحيرة والاستغراب من وضوح الأحداث فى الحلم ، فهو لم يكن يوما مهتما بأن يُرزق بالأطفال ولا حتى الذكور منهم. لِمَ حلم بأنه أب لولدين وأنه مهتم بتعليمهما بنفسه؟ كما أن لعب الأوراق أصبح محظورا ولم يعد يُسمح به فى أى بقعة من بقاع الصين. كيف تمكن الأصدقاء من اللعب؟ وما هو أكثر غرابة أنه لم يرغب يوما أن يكون جراحا. لِمَ كان يخطط فى منامه مع المرأة خطوات تنفيذ العملية الجراحية؟ كان أكثر ما يطمح إليه فى شبابه أن يصبح قائدا بثلاث نجمات. عندما أنهى دراسته ليلتحق بالجيش كتب له مدرس اللغة العجوز على الكراسة التى أهداها اليه

-"أرجو أن تصبح فى يوم ما قائدا لجيش يضم عشرة آلاف مقاتل".

ولكن لسوء الحظ عُين فى مجال الخدمة الطبية. وهو ما يتجنبه الطامحون للمناصب العليا فى الجيش.

وحينما التقى صدفة فى منتصف النهار "بمانا" شعر ببعض الارتباك ولكنه حيَّاها كعادته ، وتبادلا التعليق عن الوضع الخطر لأحد المرضى المصاب بسرطان الأمعاء ، كما لو أنه شيئا لم يحدث فى الليلة الماضية. وفوجئ بقدرته على التغلب على الحرج والارتباك الذى كان يمنعه من الحديث مع أى امرأة.

خارج النافذة ، انتشرت أشعة الشمس على أشجار السرو المحيطة بسور المجمع ، وتقافزت أربعة من الأرانب البرية البيضاء يقرضون الحشائش أمام لوحة ضخمة للدعاية. وحطّ ببغاء أزرق على رأس أرنب صغير ينقره برأسه ، وهو يرفرف بأجنحته. سألته "مانا":

-"ما رأيك بالسير معا بعد ظهر يوم الأحد؟".

وضعت يدها على حافة النافذة ونظرت له برجاء واستفسار ، وعلى شفتيها ذات الابتسامة الرقيقة المغرية.

-"كما ترين ، أين سنلتقى؟".

لم يستطع "لين" أن يصدق أذنيه. وهو يقول :

-"ما رأيك؟ أمام مخزن البقالة".

وبرقت عينيها:

-"أى ساعة؟".

-"هل يوافقك الساعة الثانية؟".

-"تماما. سأكون هناك بانتظارك. علىَّ أن أُسرع. فالطبيب "ليو" ينتظر نتيجة هذا التحليل".

قالت هذا وهى تلَّوح بأوراق بيدها.

-"والآن إلى اللقاء".

-"إلى اللقاء".

وفيما هى تسير متباعدة ، لاحظ "لين" لأول مرة أن لها ظهرا ممشوقا وساقين قويتين. التفتت ثانية ورشقته بابتسامة أخرى ، ثم أسرعت الخطى نحو الجناح الطبى. قال لنفسه:

-"إن كان هذا معناه بدأ علاقة غرامية..فليكن".

الفصل السادس

فى أمسية يوم الأحد ، تقابلا أمام مخزن البقالة ثم أخذا فى التمشية داخل المجمع. فى أول الأمر أحس "لين" بالحرج ، خاصة عند لقائه بالأخرين ، وملاحظته أنهم كانوا ينظرون ويثرثرون ويعيدون الالتفات للتأكد مما يشاهدون. لكنه وبعد فترة استسلم للاسترخاء بعد أن أنعكس عليه هدوءها وعدم اهتمامها بنظرات الأخرين.

تحدثا عن سقوط قادة التيار الرأسمالى من أعضاء الحزب المركزى أمثال "ليو شاوكى- دينج كزيوينج" وغيرهم من المرفوضين من الحرس الأحمر فى "بيجينج". تساءل "لين" من كان يتخيل أن هذه الكميةمن القنابل الزمنية ستنفجر حول الزعيم "ماو"؟ تحدثوا أيضا عن المعارك الدائرة فى المدن الكبرى. جاءتهم أخبارها من مصادر عدة. حدثته "مانا" عن الأحداث التى وقعت فى مدينة "شنغشان" بين عصبتين من الثوار المتمردين الذين دمروا بعضهم البعض مؤخرا بالبنادق الصاروخية والمدرعات المنقولة بعربات السكة الحديدية. وروت ما سمعته أنهم نسفوا محطة السكة الحديد فى مدينة "سايبنج" بالبنادق المدفعية.

و فيما كان يقطعان الحقول بين الكرنب والباذنجان وراء قاعة الاجتماعات ، انتقلا للحديث عن الأحداث داخل المستشفى. بعد انفجار ما سمى بالثورة الثقافية فى السنة الماضية انقسمت الهيئة الطبية إلى حزبين ، يتبادلان النقاش والاتهامات بالانحراف عن مسار الحزب والتراجع عن أفكار وتعاليم الزعيم العبقرى "ماوتس تونج". على العكس من معظم موظفى المستشفى لم ينضم "لين" و"مانا" لأى من الفريقين بالرغم من إعجاب "مانا" الضمنى بالحزب المسمى "الاتحاد الأحمر".

نصحها "لين" قائلا:

-"لا تنضمى إليهم".

فوجئت لطلبه وسألته:

-"لماذا؟".

لأن كليهما فى الحقيقة لا يفهما تعاليم وأفكار الزعيم. كل ما هناك أنهما يصرفان الوقت فى مناقشات وصراعات لا طائل منها. أكثرهم يسعى وراء المنصب والمصلحة الشخصية. والأفضل أن لا ننضم إليهم.

-"و لكن ألا تريد أن تساهم فى الثورة الثقافية؟".

-"ليس من المطلوب أن تدخلى فى صراع مع الأخرين حتى تثبتى نشاطك الثورى الفعال. ألست معى فى هذا؟".

بدا عليها الأقتناع والإعجاب بكلماته الموزونة ووعدته بأن لا تتورط بالانضمام للاتحاد الأحمر، وفى الواقع شعر "لين" بالدهشة من نفسه ومما قال. فهو فى العادة لا يتحدث علنا عن أرائه ولا يجرؤ بتقديم نصائح قد تدخله فى مشاكل لا مخرج منها، ولكن مع "مانا" لم يدر إلا والكلمات تنساب من فمه كما لو أنه يحدث نفسه، وفى طريق العودة سألته "مانا" بتردد:

-"بودى أن أسألك بأمر يحيرنى. ولا أجد له تفسيرا".

-"طبعا سأرد عليك لو كان فى حدود معرفتى".

-"ما هو الملاك؟".

انتابته الحيرة لهذا السؤال الغريب. وأجاب:

-"لست متأكدا. ولكن على قدر علمى فهو من يحمل رسالة الله. على ما أظن أنها فكرة مسيحية واعتقاد مجازى غيبى".

-"هل لديك أى فكرة كيف يبدو الملاك؟".

-"شاهدت مرة صورة له. يبدو كطفل ممتلئ بوجه مستدير. ويحمل ثلاثة أزواج من الأجنحة على كتفيه. يبدو طفلا جميلا بهى الطلعة".

-"فهمت".

-"لم تتساءلين؟".

رفعت عيناها نحوه تتأمله لبرهة ثم أجابت:

-"قال لى يوما رجل عجوز أنى أبدو كالملاك".

-"حقا؟ لم قال هذا؟".

-"ليس عندى أى فكرة. كان هذا وأنا فى الثامنة من عمرى. كنت أقدم مع مجموعة من الفتيات فى مدرستنا رقصة فى مركز للفنون من أجل أبطال الحرب الكورية. كنا فعلا نقوم بدور بطات بيضاء. نضع القبعات البيضاء على رؤوسنا ، ويحيط الريش الأبيض بخصورنا. بعد الانتهاء من الرقصة ، تركت المسرح لأذهب مسرعة نحو الحمام ، وعند المدخل اصطدمت بعجوزين يرتجفان من شدة العجز. أوقفنى أحدهما عند الباب ورسم صورة الصليب على وجهى قائلا:"أنت تشبهين الملائكة يا طفلتى". شعرت بقلبى يخفق عاليا بالرغم أننى شعرت بحسن نيته. تجمع بعض رجال الأمن وجروا الرجلين العجوزين بعيدا وهما يصرخان:"آمنى بالمسيح. آمنى بالرب". ركضت بعيدا لأبدل ثيابى ولم أذهب إلى الحمام خوفا من الاصطدام برجال الأمن. حاولت بعدها معرفة ما هو الملاك. بحثت عن الكلمة فى القاموس. لم يكن لها أثرا بأى منها. ولم أجرؤعلى توجيه السؤال إلا لك، والآن ربما بإمكانى أن أفهم سببا لتشبيه الرجل العجوز، ولكنى لم أكن يوما طفلة جميلة ممتلئة الوجه. لمَ شبهنى بالملاك؟".

قالت الجملة الأخيرة كما لو أنها تحدّث نفسها.

-"لا شك كانت تبدو عليك مظاهر البراءة والسعادة".

-"كلا ، لم أكن أبدا طفلة سعيدة. كنت أحسد الأطفال على أمهاتهم وأبائهم حتى أننى كرهت بعضا منهم. على فكرة يا "لين" ، أرجوك لا تذكر لأى كان قصة الملاك هذه. هل تعدنى؟".

-"طبعا لن أذكرها لأحد".

تفحص "لين" وجهها ، هذه النظرة البريئة فى عينيها أقنعته بصحة قصتها. تقابلا يوم الأحد التالى وتمشيا سويا، وفى غضون شهر بدأت اللقاءات تتوالى وتتكاثر لمرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع. ومع مرور الوقت ازداد تعلق "لين وتعوده على "مانا" أكثر وأكثر، وفى أحد الأيام اضطرت "مانا" للتخلف عن موعد اللقاء لأنها كلفت بالذهاب برفقة مريض إلى مستشفى حربى أخر. استبد القلق "بلين" وأخذ يزرع مكتبه جيئة وذهابا لمدة ساعتين طوال تلك الأمسية، وشعر بعدها أنها المرة الأولى التى يعانى فيها مثل هذا الشوق واللهفة للالتقاء بامرأة.

مع حلول شهر أغسطس لم تعد هناك حاجة لأى تخطيط للقاء. فهما يتناولان الطعام على طاولة واحدة فى قاعة الطعام. ويذهبان لتعبئة المياه الساخنة سويا ، كل واحد يحمل "ترمسه". يجلسان متجاورين فى أثناء الاجتماعات والدراسات السياسية. ويلعبان سويا تنس الطاولة والريشة الطائرة. ويتجولان فى الأمسيات بين ممرات المجمع كلما سمح الطقس. يتبادلان الأحاديث وأحيانا يحتد النقاش ولكن مع مضى الوقت بدأ "لين" يتوجس من ازدياد لقاءتهما التى تضفى عليهما صفةالخطيبين مع أنهما التزما بسلوك متحفظ ولم يعودا مرة أخرى لأى فعل محرج أو ملامسة بالأيدى. وظل "لين" طوال القاءات يذكر نفسه بأنه رجل متزوج وعليه الالتزام بالأخلاق والقوانين.

لم ينضم "لين" ولا "مانا" إلى أى منظمة ثورية ولكنهما رضوخا لشعور قوى بالواجب شاركا فى النشاطات السياسية فقام "لين" بالقاء ثلاث محاضرات من وحى نصوص الزعيم "ماو" وهم:"أخدم الشعب" ، "فى ذكرى نورمان بتهون" ، "أزاح الرجل العجوز الجبل". أبدا الحاضرون إعجابا شديدا بالمحاضرات حتى أن البعض طلب استعارتها لقراءتها، ونجا كل من "لين" و"مانا" من اتهامات الثوار فى المستشفى لهما

بالرجعية ، أولا لخلفية عائلتيهما النظيفة ولأنهما عضوان فى الحزب ، ومع هذا لم يأمنا شر الناس الذين بدءوا فى ليك سيرتهما واتهامهما بوجود علاقة حب آثمة بينهما. اهتم رؤساء المستشفى باللغو ولكنهم لم يجدوا دليلا يستندون إليه. "فمانا" و"لين" لم يكسرا أى قانون. لم يخرجا أبدا خارج المجمع. كما أن سلوكهما العام لا يكشف وجود أى علاقة حميمة. العشاق عادة لا يستطيعون إخفاء مشاعرهما نحو بعضهما ، كأن يتبادلا المداعبات والملامسات والنظرات والإشارات. ولكن لا شك أن العلاقة كانت أعمق من زمالة أو رفقة. لأنه ليس من الطبيعى أن يمضى رفيقان من جنسين مختلفين كل هذه الأوقات سويا دون أن تتولد بينهما مشاعر وألفة ، حتى المخطوبين لا يتسنى لهما اللقاء يوميا. ولكن "لين" و"مانا" كانا ، بالفعل ، لا يفترقان.

كلف بالنظر فى أمر "لين" و"مانا" نائب رئيس مدير القسم السياسى فى المستشفى "ران سو" ، وانضم اليه المندوب "زانج". كان "ران سو" على علاقة طيبة "بلين". كلاهما مغرم بالقراءة الأدبية وكثيرا ما تبادلا الأفكار والكتب. وفى مساء يوم شتائى طلب «ران» من «لين» أن – يحضر إلى مكتبه وقال له:

-"يا صديقى. أنا على علمٍ بأن أن زواجك كان بترتيب من أهلك ، ولربما أنك لا تميل إلى زوجتك. ولكنى أود أن أحذرك مسبقا أن علاقتك "بمانا يو" مهما كان نوعها يمكن أن تؤثر على مستقبلك وترقيتك، وأنبهك إلى أنك فى الواقع تسعى إلى المشاكل".

لم ينبذ "لين" برد. أصبح من الصعب عليه قطع علاقته "بمانا" التى صارت بالفعل حبيبة قلبه. فبالرغم أن علاقتهما ليست علاقة جسدية إلا أنهما كانا كالعاشقين. يربط بينهما تقارب روحى جميل، وأقر "لين" بعجزه عن الامتناع عن لقاء "مانا" كلما سنحت لهما الظروف.

سرَّح "ران سو" شعره الأسود الفاحم بأصابعه ، وظهرت بعض الغضون الصغيرة حول مثلث عينيه حينما ابتسم وهو يقول "للين":

-"أنظر يا "لين" ، كما ترى أنا أعاملك كصديق ، افتح لى قلبك وحدثنى بما تنوى أن تفعل بشأن هذه العلاقة".

اغتصب "لين" ابتسامة ورد:

-"سنبقى أنا و"مانا" على علاقة طيبة كرفيقين".

-"عدنى إذن ، وعد شرف أن علاقتكما لن تتطور إلى علاقة غير عادية حتى تطلق زوجتك ، وتتزوج منها".

كلمة "غير عادية" كان يعنى بها علاقة جنسية. التزم «لين» الصمت لبرهة ثم رفع رأسه وتمتم:

-"أعدك".

-"تعلم يا "لين" أننى مضطر لطلبى هذا ، ولو أنك تجاوزت القوانين لن أستطيع حمايتك. والآن بما أنك وعدت سأبلغ قادتى أن علاقتكما سليمة. لا تخلف وعدك وإلا ستدخلنى معك فى مشاكل لا أتمناها".

-"أعلم هذا جيدا".

أحس "لين" ببرودة تجتاح قلبه وأخذ يؤنب نفسه على موافقته اللقاء "بمانا" منذ ثلاثة أشهر ماضية. والآن بعد أن تعمقت علاقتهما كيف له أن ينسحب دون أن يؤذى مشاعرها ويملئ قلبه باليأس من جديد. كان عليه ، كرب عائلة أن يلتزم الحذر وألا يسمح لنفسه بالتورط واتباع هواه مع امرأة شابة. قدم "ران سو" "للين" سيجارة "بيونى" وأبلغه أنه سيعيد له رواية "كيف يقوى الفلاذ" بعد أسبوعين تأخر فى إعادتها لأن يومه كان مشحونًا بالعمل ، ولم يجد الوقت الكافى لإنهاء قراءة الكتاب ، وعلق:

-"لا أفهم كيف يستطيع الكتاب الروس القيام بهذه الأعمال الضخمة ، لابد أن لديهم متسعا من الوقت. وأنا غالبا ما أتغاضى عن قراءة الفصل الأول فهم يعمدون إلى الإسهاب فى الوصف وذكر أدق التفاصيل كما أن الأحداث تسير ببطء شديد".

كان هذا الرجل الضئيل هو من نبه "لين" السنة الماضية ليسرع فى إخفاء مكتبته دون تباطئ ليمنع الكتب من التعرض للحجز .

فى المساء ، أخبر "لين" "مانا" عما دار بينه وبين "ران سو". اكفهر وجهها وأسبلت عينيها. كانت تقف معه على أرض الملعب تسند كوعها على حاجز قفز الأحصنة وبعد فترة من الصمت رفعت رأسها وسألته:

-"خبرنى عن حقيقة مشاعرك نحوى".

-"ماذا تعنين؟".

-"من أنا بالنسبة إليك؟. هل هناك أمل فى زواجنا يوما ما؟".

قالت هذا وهى تنظر فى عينيه مباشرة. رحب "لين" بسؤالها وأجابها بهدوء:

-"لو لم أكن متزوجا لتقدمت فورا لطلب يدك للزواج، وهى فكرة راودتنى كثيرًا".

ما أن أتم جملته حتى انهارت تجهش فى البكاء وهى تمسك بخاصرتها كما لو أنها تعانى من آلام فى أحشائها. تلفت حوله مرعوبا ، أثلج صدره حينما لم يجد فى الملعب سوى حفنة من الأطفال يلعبون الاستغماية فى الظلام. لاحظ تصاعد عناقيد من الدخان تنطلق من مداخن البيوت وتتلاشى باتجاه الجنوب. لحسن الحظ لم يكن هناك أى من الرفاق حاضرين. قدم لها منديله هامسا:

-"لا تنزعجى بهذا الشكل يا "مانا" فأنا أحبك، ولكن لن يتاح لنا بعد الآن اللقاء. أشعر بالأسف الشديد".

-"أعلم أن الأمر ليس بيدك. أوه...لماذا يعاملنى رب السموات بهذه القسوة؟. سأبلغ قريبًا الثامنة والعشرين من العمر".

تنهد "لين" ولم يضف شيئا. وقال لنفسه:

-"لو أنها زوجتى لكنت الآن من أكثر الناس سعادة".

طُلب من "مانا" المثول أيضا إلى مكتب المدير "سو" بعد لقائه "لين" بعدة أيام. ألزمها بنفس الوعد الذى طلبه من "لين". وحينما حل شهر ديسمبر ، ولأول مرة منذ

تعيينه لم ينتخب "لين" كضابط مثالى. تبين أن بعض الزملاء اشتكوا من نمط حياته ، وأن احد الضباط قدم تقريرا ذكر فيه أنه تخلف يوما عن الوقوف فى طابور الحضور الصباحى كالأخرين عند إذاعة النشيد الوطنى ، ولين يتذكر جيداً أنه كان يومها واقفا فى الحمام الجماعى مع الباقين عراة فى المسبح، كما علق رئيس القسم أن على "لين" أن يقص شعره الطويل المفروق من الوسط ، فهذه التسريحة تجعله أكثر شبها بمثقف تافه ، مثل هؤلاء الممثلين. وتساءل لم لا يجتز شعره كالأخرين؟. ما الذى يجعله مميزا؟. هل هى الشهادة الجامعية؟. إذن لم لا يهتم الثلاثة الأخرون من حملة الشهادة العالية بتسريحة شعرهم مثله؟. حتى إن أحدهم يحلق رأسه تماما ليبدو أصلعا. بدون تردد ، طلب "لين" من زميله فى الغرفة "مينج تشين" أن يقص له شعره بالشكل المطلوب. انزعجت "مانا" حينما شاهدته بقصته الجديدة وعلقت قائلة:

-"تبدو مثلك مثل القطيع فلا أنت بذكر بط ، ولا ذكر وز".

ورد أن هذا غير مهم طالما أنهم فى فصل الشتاء ولن يخلع قبعة الفراء عن رأسه. أثناء الدراسات السياسية شعر "لين" أن الرفاق ينتظرون منه أن تكون آرائه أكثر تطرفا. أن يقدم لهم ما يرضى أفكارهم حتى لو تعارض هذا مع منهج تفكيره. شعر بالضيق وظل مكتئبا لأشهر عديدة.

الفصل السابع

ظلت "مانا" لأكثر من عام تحاول أن تكتشف كيف يبدو شكل "شويو". ولم يعطها "لين" أى فرصة ، كانت كلما سألته عن صورة لزوجته أجابها بأنه لا يقتنى أى صور. لم تكن واثقة من زعمه ، ولذا حاولت البحث بالسر فى أدراج مكتبه حينما كانت تساعد فى تنظيف ألواح زجاج نوافذ المكتب الذى يتقاسمه مع طبيب آخر. كثيرا ما سألتها زميلاتها عن زوجة "لين" ، وكانت تشعر بالحرج لأنها لا تستطيع إخبارهم شيئا، وهذا ما جعلهن يحذرنها ، بأنه لا يأخذ علاقتهما مأخذ الجد ، وأن عليها أن تكون أكثر حذرًا ، أو أن تبحث لنفسها عن رجل آخر.

فى أوائل سنة ١٩٦٨ نالت "مانا" الجائزة الأولى للمرة الثالثة فى تنس الطاولة ، كان هذا فى الاحتفال الرياضى السنوى للمستشفى. كانت الجائزة صابونة معطرة ملفوفة بمنشفة بيضاء. ولكى يزيد من فرحتها سألها "لين" ، حينما مرت على غرفته من بعد ظهر هذا اليوم ، أن تتمنى أمنية وردت عليه:

-"أمنيتى الوحيدة أن أرى وجه صاحبة العصمة والجلالة شويو".

قالت هذا وهى تدور بعينيها فى أرجاء الغرفة. استغل "لين" فرصة غياب زميليه من الغرفة والتقط قاموسه المعنون "غابة من الكلمات" وسحب من تحت الغلاف الخارجى صورة فوتوغرافية ناولها "لمانا". كانت صورة صغيرة ثلاث فى أربع انشات. نظرت "مانا" إلى الصورة ولم تستطع أن تكبح ضحكة مكبوتة. كانت الصورة "لشويو" و"هويا". الطفلة فى بدلة واسعة تقبع على الأرض على ركبتيها مثل كلب يحاول الوقوف على قدميه الخلفتين؛ ويداها مرفوعتان نحو المقعد الذى تجلس عليه أمها. كانت "شويو"

أقرب لآلة التصوير من "هويا". بدا وجهها هزيلاً وجبهتها متغضنة وفَمّها مترهل كما لو أنها على وشك البكاء. ظهرت حول عينيها التجاعيد واضحة. كان أكثر ما يثير الدهشة ، زيّها الذى كان يشبه لباس امرأة مسنة. كانت تلبس ثوبًا قصيرًا واسعًا ، ينسدل عند كتفيها الضامرتين وتوشحت بدثار قصير. كانت نحافة فخذيها واضحة ، وتغطت ساقاها بشرابات سميكة سوداء، وأما قدماها فكانا كزوجين من الفئران انحشرا فى حذاء أسود صغير. على اليسار من "شويو" رفرفت أوزة برية بجناحيها وظهرت فى خلفية الصورة أحواض مياه. وبيت مسقوف بقش القصب وبدت قمة شجرة الحور تبرز من وراء سطح المنزل. صرخت "مانا":

-"أوه... ياه ما أصغر قدميها!!".

نهض "لين" واقفا بينما استرسلت "مانا":

-"تبدو وكأنها صورة لأمك".

قالت هذا وهى تنحنى على نصفها ، لا تستطيع أن تتوقف عن الضحك. برقت عيناه من وراء عدسات نظارته والتقط غطاء رأسه وغادر الغرفة دون أن ينطق بكلمة.

-"عفوًا يا لين ، عد ، لم يكن بنيتى أن أؤذى مشاعرك".

وتبعته إلى الخارج ، ولكنه لم يلتفت إليها. كان يسير باتجاه البوابة الخلفية نحو ساحة المستشفى. وراء سور مجمع المستشفى كان هناك بستان أشجار مثمرة زرعه أعضاء المجلس البلدى منذ أربع سنوات مضت وبدأ الآن فى طرح ثماره. انتصبت أشجار التفاح المطعم بالكمثرى فى صفوف متراصة على طول التل. انطلق "لين" من الباب الخلفى للبستان مسرعا واختفى داخل البستان. كانت هذه هى المرة الوحيدة التى رأته فيها "مانا" غاضبًا ثائرًا، ولكنه فى اليوم التالى عاد إلى طبيعته الهادئة. وحينما حاولت الاعتذار طلب منها أن تنسى الأمر برمته.

بعثت الصورة بالطمأنينة إلى قلبها وأقنعتها أن "لين" وزوجته غير متلائمين إطلاقا وأنه لا بد سيتخلى عنها، وهكذا ازداد الأمل عندها بإمكانية زواجها منه فى يوم ما.

لم ترض "مانا" أن تفصح لزميلاتها عن رؤيتها لصورة "شويو" ، وظلت متمسكة بنكرانها لمعرفة أى شىء عن المرأة الريفية، ولكن بعد مرور شهر عجزت عن كتمان فرحتها وحدثت صديقتها "هيان نيو" عن الصورة. كانتا تعملان فى الوردية الليلية ، من السابعة مساء حتى الثامنة صباحا ، وبعد أن استسلم المرضى فى الجناح إلى النوم ، ولم يبق أمامهما سوى إعطاء بعض الأدوية وقياس حرارة بعض المرضى جلستا تتبادلان الحديث.

كانت "هيان" فتاة جميلة جريئة ، عصرية ومفعمة بالحيوية. من النوع الجاذب للرجال. ترعرعت فى مدينة "موجى" ، ولكن مسقط رأسها كان فى "هارين". كان جدها لأبيها من أبرز الرأسماليين فى المدينة ومع هذا لم تعان "هيان" من هذه الخلفية ، لأن الرجل العجوز تبرع بمبلغ ضخم من المال إلى الحكومة الاشتراكية لشراء طائرات "ميج ١٥" لمحاربة الولايات المتحدة فى الحرب الكورية. أفلست هذه المنحة شركاته «معاصر زيت ومدابغ » ولكنها أنقذت عائلته التى صنفت من الطبقة البرجوازية الواعية والمستنيرة. وهكذا حمى ذريته بمعجزة بدلاً من أن يعتدى عليهم أثناء الصراعات السياسية ، حتى إن حفيدته "هيان" تمكنت من الالتحاق بالجيش. كانت "هيان" جريئة صاخبة وكثيرا ما تصرفت برعونة وجموح مما جعل "مانا" تشبهها بنمر لامع. كان هذا على الأرجح تأثير روح التمرد الذى ما زال مسيطرا على سكان تلك المنطقة ، وكان باعثا لإعجاب "مانا" الكبير "بهيان". وفيما كانت "هيان" منهمكة فى حياكة دثار صوفى واجهت "مانا" قائلة:

-"لو كنت مكانك لما ترددت فى النوم مع لين كونج".

صرخت "مانا" وهى تنتشل بالملقط حقن وإبر معقمة من وعاء فولاذى ظل يغلى ليعقم الأدوات لما يزيد عن نصف الساعة:

-"ماذا تقولين يا فتاة؟! لابد وأنك جننت".

ثابرت "هيان على حياكتها للدثار وبدون أن ترفع رأسها أجابت:

-"لا...فأنا لست مجنونة أبدا. عليك أن تجدى وسيلة عملية لتطورى علاقتك به".

-"فكرة. ولكنى أخاف لو حاولت ، أن يخاف منى ويهرب".

وتبادلا الضحك. عطست "مانا" ، كان الجو رطبا فى المكتب ، تجمعت نقط صغيرة من الندى على الغطاء المعدنى لعلبة النفايات الموضوعة بقرب المكتب. وضعت "هيان" شغل الإبرة فى حجرها وقالت:

-"استمعى لى يا أختى الكبيرة ، يكفى أن تفعليها ولو مرة واحدة ولن يتخلى عنك بعدها أبدا. هذا إن كان فعلا يحبك. إن كان رجل محب سيتبعك أينما ذهبت. وإن لم يفعل فهو إذن ليس الرجل الذى يلائمك. ألست معى؟".

-"كلا لست معك".

-"تفكرين كفتاة مراهقة صغيرة. لا يوجد حب بهذه الرومانسية".

-"يبدو وكأنك تعرفين كل شىء".

-"بالطع أعرف".

-"إذن أخبرينى بعدد الرجال الذين عبروا فى حياتك؟".

غمزت "مانا" بعينيها "لهيان" ، وهى تسألها ، كانت تشك دائما أن "هيان" لم تعد عذراء. انتشرت الإشاعات تتحدث عن علاقة بين "هيان" ونائب مدير المستشفى "نشنيو". على الأرجح ، هذه الإشاعة صحيحة وإلا لسرحت "هيان" من وظيفتها منذ زمن طويل، فهى على العكس من "مانا" لم تدرس فى مدرسة التمريض. ردت "هيان"

-"ألف رجل ، كلما ازداد عددهم ، كلما كان هذا فى صالحى".

-"فعلا!!".

ردت "مانا" إقرارا بالواقع. ضحكتا ثانية. رشقت "هيان" ضفيرتها المربوطة بشريط برتقالى وراء ظهرها ، وأصابع قدمها تدق على بلاط المكتب الأحمر.

لم تفكر "مانا" أبدا فى إقامة علاقة مع "لين". كانت تخاف أن تطرد من الجيش إذا ما كشف أمرهما، فهو لن يسأل عنها إذا ما سُرحت وطردت أو نقلت إلى مكان نائى. كما سيصيبه ما يصيبها من طرد أو إقصاء إلى مسقط رأسه ، ومعنى هذا التفريق بينهما إلى الأبد. ومع هذا فاقتراح "هيان" احتمال يجب أخذه فى الاعتبار. فها هى قد أتمت التاسعة والعشرين من عمرها. لم تلزم نفسها بالعنوسة إلى الأبد؟. إن مارسا الحب لربما سيسعى إلى الطلاق من زوجته. لا تعلم نتيجة هذا القرار ، هل هو للأفضل أم للأسوأ ولكن عليها أن لا تبقى هكذا ساكنة منتظرة إلى الأبد ، وإلا فلن يكون هناك نهاية لهذه العلاقة المذبذبة. ها هم الناس يعاملونها مؤخرا كما لو أنها خطيبة رسمية "للين". تجنب الشباب الضباط الحديث معها لأكثر من دقائق معدودة ، وهذا وضع مريب عليها تبديله، وهكذا صممت على أخذ المبادرة. فى الليلة التالية بعد أن وزعوا الدواء على المرضى قالت "لهيان":

-"هل أستطيع أن أطلب منك خدمة؟".

نبرة الجد فى صوتها أدهشت صديقتها وتساءلت بقلق:

-"بالطبع ، أى شىء ، فأنت على الرحب والسعة".

-"هل تعرفين مكانا هادئا فى المدينة؟".

-"ماذا تعنين مكان هادئ؟".

برقت عينا "هيان" الواسعتان.

-"أعنى مكان يمكنك....".

-"أوه....نعم. فهمت. مكان يمكنكما أن تمضيا معا وقتا سعيدا".

هزت "مانا" رأسهاو قد اصطبغ وجهها بحمرة الخجل.

-"جميل. فها أنت أخذت برأيى أخيرا. حدثينى ما الذى جعلك تبدلين رأيك بهذه السرعة؟ أنت فعلا فتاة سيئة السمعة. تخططين لاغتصاب رجل طيب ضابط من ضابط الثورة".

-"كفى. كفى. وفرى على كل هذه التعليقات والأسئلة".

- " أيتها الرفيقة "مانا يو"هل أنت على وعى كامل بما أنت مقدمة عليه؟. لا شك أنك فقدت صوابك تماما".

وصوبت أصابعها نحو "مانا" كما لو أن بيدها مسدسا تطلقه عليها.

-"أرجوك ساعدينى".

ضحكت "هيان" طويلا ثم قالت:

-"كما تشائين سأبحث لك عن مكان".

لم يكن من المتاح اللقاء فى الفنادق وبيوت الضيافة لأنها تطلب من الضباط إذن رسمى لقبولهم كنزلاء ، ومن المستحيل لشخصين غير متزوجين أن يجدا مكانا. ولذا لجأت "مانا" "لهيان" التى كانت لها اتصالات وعلاقات لا نهاية لها. كان هناك اثنين من أقاربها يعيشان فى "موجى" ، وهذا ما جعلها تعد "مانا" على الفور بمكان أمين ومناسب.

فى يوم الخميس ، جلست "هيان" إلى جانب "مانا" على طاولة الغذاء ، وأشارت لها مطمئنة ، وبعد أن انصرفت باقى الزميلات ناولت "مانا" مفتاحا نحاسى وورقة كتبت عليها عنوانا وقالت:

-"ستزور أختى أهل زوجها فى عطلة نهاية الأسبوع. يمكنك استعمال بيتها فى غيابها يوم الأحد".

همست "مانا":

-"شكرا".

غطت "هيان" عينيها بيدها وقالت:

-"ولكن تذكرى أن تخبرينى عما سيتم بينكما ، موافقة؟".

- "ماذا تعنين؟".

غطت "هيان" عيناها ثانية. وقالت:

-"أنت تعرفين".

-"اللعنة عليك. كما لو أنك لا تعرفين".

أطلقت "هيان" ضحكة مكتومة وربتت على كتف "مانا" وقالت بصراحة وجراءة:

-"الأمر يختلف من رجل إلى آخر. لكل رجل طريقته".

منذ أن قررت "مانا" اتخاذ هذه الخطوة ، استولت عليها رعشة لم تعتريها من قبل. واكتست عيناها بنظرة حالمة ناعسة. وأكثرت من الابتسام بينها وبين نفسها. وفى الليل ، كانت تتخيل نفسها وهى بين ذراعى "لين" وثدياها ممتلئان ، ولسانها يلعق شفتيها. اعترتها الدهشة من تبدل حالها من فتاة هادئة ساكنة إلى امرأة مستثارة فى غضون أيام قليلة.

أصبحت تستمتع بالنوم وقد عرت فخذيها بالرغم من خوفها من افتضاح أمرها أمام زميلاتها إذا ما انزاح اللحاف عنها أثناء نومها. فكرة قضائها ليوم لن ينسى مع "لين" أنعش أنوثتها وملئ قلبها بالنشوة وحرك مشاعرها.

وفى اليوم التالى ، وفيما هما يتجولان سويا فى المساء حدثته عما رتبت مع "هيان" وذكرت أنها تنوى شراء زجاجة نبيذ البرقوق ، وباوندين من النقانق المدخنة احتفالا بالمناسبة. استرسلت "مانا" فى حماسها لدرجة أنها لم تلحظ أثر الصدمة فى عينيه. وأكملت:

-"إنها فرصة رائعة ، لم يسبق أن توفر لنا مكانا نجتمع به سويا وبمفردنا".

عبس واكفهر وجهه واستمر فى ضرب الحصى وهو يمشى صامتا. بدت شمس المغيب كقالب ضخم من الكعكة الذهبية قطعها الجدار الآجرّى للمجمع السكنى إلى

نصفين. تجمع بعض المرضى بلباسهم الموحد الأزرق المقلم يلعبون كرة القدم مع مجموعة من الأولاد على أرض الملاعب ، فبعثت أوراق الأشجار الجافة المتناثرة تحت أقدامهم حفيفا خفيفا. ودارت فى الجو الصاقع طيور الخفاش تبحث عن طعام. غضبت "مانا" وتنكدت لبروده وعدم حماسه لهذه الترتيبات. لم يعلق على عرضها فانبرت تقول:

-"أردت أن نمضى بعض الوقت سويا. نتحدث من القلب إلى القلب. هذا كل ما فى الأمر".

استمر فى صمته وسرحانه وإن تلون وجهه بإحمرار طفيف. نفذ صبرها بعد أن طال انتظارها لرده فواجهته:

-"أتظن اننى لا أعانى من الخوف؟ ألا ترى أنه ليس من السهل على المضى إلى هذا المدى؟. فأنا أخاطر بخسارة كل شىء".

أجابها بعد أن أمعن الفكر:

-"المخاطرة. نعم هذه هى الكلمة الصحيحة. إنه تفكير خاطئ ولا قدرة لنا على تحمل نتائجه. لست موافقا أبداً".

-"لماذا؟".

-"ألم نعد "ران سو" بأننا لن نكسر القانون. سنجر الرجل معنا إلى المشاكل إذا ما افتضح أمرنا. فأنا رجل متزوج. سنعامل كالمجرمين. ألا ترين ذلك؟".

-"هذا لا يهمنى".

-"لا تفقدى عقلك يا "مانا". أعيدى التفكير بالأمر. سنقضى ساعات من المتعة ولكننا سنخرب حياتنا إلى الأبد".

لم ترد عليه واسترسل فى حديثه:

-"كما أنك تعلمين جيدا أن "هيان نيو" ثرثارة وطويلة اللسان. ولنفترض أنها التزمت الصمت الآن كما وعدتك ، ما الذى سيحدث بعد أن تتزوج فى يوم ما ؟

لن تتوانى عن إخبار زوجها بالأمر. وسيكون لديهما ما يمســكاه علينا. فكما تعلمين لا ينهار الحائط إلا اذا كان به شرخًا. سيكتشف الناس لقاءنا هذا عاجلا أم آجلا".

-"ولكنها وعدتنى أنها لن تفشى سرنا لأحد".

-"هل تثقين بها يا مانا فعلا ثقة تامة؟".

-"فى الحقيقة لا أستطيع الجزم بهذا".

قالت هذا وهى تهز برأسها. أحست بانقباض فى صدرها ، وبالدموع تغرق عينيها ، ولكنها تماسكت. ثم لوّحت بالمفتاح الذى كان يلمع تحت آشعة الشمس الغائبة وقالت:

-"وهذا ، ماذا سأفعل به؟

أعيديه حالا إلى هيان. قبل نهاية الأسبوع. ووضحى لها تماما أننا لن نذهب إلى المكان ولن نستعمله".

شعرت "مانا" بالخجل والمهانة وهى تستمع إلى كلمات "لين". وأنّبت نفسها لاستسلامها لنزوتها. غمرتها الشكوك. لِمَ يرفض "لين" قضاء بعض الوقت منفردا بها فى المدينة؟ هل هناك امرأة أخرى فى حياته؟ هذا أمر مستبعد. "بينج ما" تركت الجيش السنة الماضية. علاقتها به اقتصرت على زمالة ومشاركة فى النهم للقراءة. هل هناك أى امرأة قريبة منه هذه الأيام؟ لا يوجد سوى "مانا" نفسها. إذن لِم لا يبدو راغبا بها؟.

خافت "مانا" أن يبدل رأيه ، لربما أصبحت بالنسبة له مبتذلة مستهترة. ندمت لاستماعها لنصيحة "هيان". تخطيا المبنى الطبى والذى بدا ككتلة خضراء بعد أن اكتسى الطوب الآجرِّى بالطحالب. انبعث نور يشع من غرفتين فى داخل المبنى ، هناك اجتماع فى الساعة السابعة ، لدراسة بحث نُشر حديثا ، تطلب فيه الجمعية المركزية من جميع المتمردين الثوار أن يجاهدوا بقوة الكلمة بدلا من السلاح. كان على "لين" أن يحضر الاجتماع ، وعلى "مانا" أن تتحضر للمناوبة الليلية. دهشت "هيان" عندما أعادت لها "مانا" المفتاح موضحة أن عليهما المحافظة على وعديهما "لران سو". علقت "هيان":

-"إنه حقًا لرجل يحترم كلمته ، وصديق ذو ولاء.ليس بالمستغرب أن البعض لقبه بالراهب المثالى".

-"كما سبق وذكرت لك. فهو رجل تنقصه الجرأة".

-"ولكن ألا يحبك؟ لربما أنه لا يصلح فى الفراش".

-"ما هذا؟ ولكنه خلَّف من زوجته. طفلة ممتلئة بالصحة".

تنهدت "هيان" تنهيدة طويلة وشبكت كفيها وقالت:

-"على أن أكون صادقة معك يا مانا. يبدو أنه لا يحبك بما يكفى لخوض هذه المخاطرة. هل أنت واثقة من مشاعره؟".

لم ترد "مانا"؛ فهى ما زالت حائرة فى رفض "لين" لها. لابد أن هناك سببا آخر غير الذى أبداه. هناك العديد من الرجال يخالفون القوانين من أجل حبيباتهم ، لدرجة أن بعضهم لا يشعر بالندم حتى ولو عوقب. ما الذى يجعله مختلفا؟ هل يحبها فعلا؟ لِم يبدو متبلد الشعور بهذا الشكل؟ هل هو رافض تبديل نمط حياته؟ شيئا فشيئا بدأت كلمات "هيان" تغوص وتحفر أثرا فى داخلها.

الفصل الثامن

بالرغم من تماسك "لين" الظاهرى إلا أنه فى الواقع كان مضطربا غاضبا من جرأة "مانا". فى تلك الليلة تمدد على سريره واستعاد تفاصيل لقائهما. ازداد يقينًا من صواب قراره فى إعادة المفتاح إلى "هيان" على الفور ، وعن صرف النظر عن هذه الحماقة. فلو أنه جارى "مانا" فى استهتارها لأصابهما ما لا يحمد عقباه. فها هو ذا منذ أن أبرم بوعده إلى "ران سو" وهو يشعر بالقلق ، فهو ما زال غير واثق من رغبته بالزواج منها. عليه أن لا يستعجل الأحداث وأن لا يتورط بعلاقة جديدة إلا بعد أن ينتهى من إجراءات طلاق زوجته.

خارج النافذة ، كانت قطرات المطر تتساقط على الحافة مطلقة صوتا رتيبا هادئا. أغمض "لين" عينيه محاولا الاستغراق فى النوم. وإذ بصوت داخلى يهزه:

-"أحقا لا تريد ممارسة الحب مع مانا؟"

أجفل من مجرد الفكرة. ولكنه هدأ نفسه مفكرا:

-"ليس فى الوقت الحاضر. فأى علاقة جنسية بيننا الآن ستجلب الدمار والخراب علينا نحن الاثنين".

ولكن الصوت لم يبرحه ، وألح فى تساؤله:

-"ألست راغبا فى ذلك؟"

وأكد لنفسه:

-"كلا ثم كلا. أقولها صادقا. فأنا أحبها ولكن حبى لها روحى لا علاقة له بالجنس. علاقتنا لا ترتكز على الجسد والغريزة".

-"هل هذا حقيقى؟ ألا رغبة لك فيها اطلاقا؟".

-"لربما أرغب بها ولكن باستطاعتى التحكم فى رغبتى. على أن أعاملها كرفيقة فقط فى الوقت الحالى".

-"أنت كاذب وغير صادق مع نفسك. إن كان الأمر بهذا الشكل ، فلمَ لا تتمشى أو تتحدث مع غيرها من الرفيقات؟ هناك علاقة خاصة تكونت بينكما سعيتما إليها".

-"أُقر أن هذا صحيح ولكن ليس من الضرورى أن نمارس الجنس. يكفينا أننا نحب بعضنا البعض".

-"ماذا؟ تبدو عقلانيا جدا!".

-"أنا زوج وطبيب وضابط فى الجيش. عملى يتطلب منى أن أكون عاقلاً متزنًا".

-"ألا تظن أنك جرحت مشاعرها الأنثوية برفضك اقتراحها؟".

-"لست متأكدا ، ولو أننى فعلت ، فهذا أمر خارج عن إرادتى ولم أتعمده. يمكنها أن تغفر لى.ألا ترى أننى أضع مصلحتها فى الاعتبار أيضا برفضى القيام بالمحظور؟".

سكت الصوت أخيرا وانساق "لين" فى نوم عميق قلق ، نحو مكان بعيد يذكره بالريف حيث ترعرع. حلم حلما غريبا وواضحا جدا جعله مضطربا مهزوزا طوال أسابيع لاحقة. رأى نفسه يتمشى إلى جانب حقل قمح واسع فى يوم صيفى جميل. أرسلت الشمس أشعة دافئة وانساب النسيم العليل ملطفًا الجو. مشى يصفر على سجيته منتشيا يحمل سنارة صيد على كتفه وإذا بصوت أنثوى جذاب يناديه:

-"لين ، يا لين ، تعالى إلىّ".

التفت ورأى شابة فى وسط الحقل تغطى رأسها تماما بخمار شفاف من الحرير الأحمر. وتكشف نهديها الممتلئين كزوج من الشهد العسلى المعطر الأبيض. تمايلت سنابل القمح من حولها بحيوية. بدون تردد رمى "لين" سنارته ومضى نحوها. غمرته

سنابل القمح الريانة حتى وسطه ناثرة رائحة ذكية فى الجو. اقترب منها ووجد مساحة صغيرة خالية من القمح مفروشة بالحشيش الأخضر المغطى بقشر الأرز الجاف.

استلقت الفتاة على الحشيش عارية تمد يديها نحوه وتناديه إليها. أزاحت الخمار عن رأسها ولكن وجهها ظل محجوبا عنه مغطى بشعرها الكثيف الطويل واللامع. لاحظ امتلاء ردفيها وأما ساقاها فكانتا من النضارة والصبا جعل قلبه يتوقف لبرهة عن الخفقان. أخذ نفسا عميقا ونزع عنه ثيابه ورمى بها على الأرض. وسرعان ما أخذا فى التمرغ والتقلب على الحشيش ويدها تمسد ظهره وقفصه الصدرى وفخذيه ، وهو يتلوى فوقها. ثم ضمته بقوة إلى صدرها وهى تتأرجح تحته فى حركة إيقاعية كما لو أنها تستمع لنغمة معينة. كانت تتأوه كالحيوانات. بدأ صوت تشوقها مثيرا لدرجة أنه شعر بالدماء فى أعضائه تفور. طار فوق رأسيهما سرب من البط البرى يصرخ بوحشية. صرختهم القاسية بعثت الرعشة فى ذراعيه فشدد قبضته عليها وأمسك بها بقوة كغريق لا يحسن السباحة يتعلق بطوق نجاة فى وسط المحيط.

ظل ملتصقا بها لفترة طويلة إلى أن أعياه الجهد ، فتمدد قربها. ومضى يدلك ردفيها المرتعشين اللذين ازداد حجمهما فى التو إلى ثلاثة أضعاف ما كانا عليه. استدارت بعد فترة ولفت ساعدها حول رقبته هامسة:

-"أكثر...أكثر. فلنفعلها ثانية".

بحث عن ثيابه المخبأة تحت الحشيش. فارتطم ظهر يده فى قائمة السرير الحديدية وصحا من النوم غارقا فى عرقه ، ليكتشف أن كل هذا ما هو إلا احتلام.

أثارته هذه التجربة ، التى مرّ بها لأول مرة فى حياته بعمق. وتساءل بينه وبين نفسه:من هى تلك المرأة؟ كانت واضحة ومغرية بشعرها الطويل اللامع الذى يصل إلى وسطها. وجسمها المتناسق المثير العابق برائحة الفول السودانى الطازج. حتى إنه يتذكر الوحمة على ساعدها الأيسر بحجم زرار كبير. ولكنه لم يستطيع أن يشبهها بأى امرأة يعرفها. كم تمنى لو أنه التقط ولو نظرة خاطفة من على وجهها.

فى الناحية الأخرى من الغرفة المظلمة كان "مينج تشين" يخور كالثور. جلس "لين" على سريره حريصا ألا يثير حركة أو صوتا. نزع غطاء المخدة وأخذ غيارا داخليا نظيفا ليستبدله بغياره المبلل من الأمام. ظل لسنين عديدة يستمع لغيره من الرجال يتحدثون عن احتلامهم ، ولطالما تساءل عن تلك الأحاسيس. قبل زواجه ، كثيرا ما ساوره الشك فى رجولته لأنه على العكس من غيره من الرجال الملهوفين على النساء ، لم يسبق له الوقوع فى الحب بأى امرأة. ولكن بعد مولد ابنته اقتنع أنه رجل طبيعى. لِمَ لم يحتلم قبل هذه الليلة أبدا؟ هناك لا شك خطأ ما فيه. خامرته تلك الأفكار فى الماضى حينما كان يستمع إلى رفاقه وهم يفخرون برجولتهم وأحلامهم الشهوانية. ها هو ذا يمر بالتجربة والتى كانت فعلا مثيرة بالنسبة له، ولكنه تمنى لو أن امرأة حقل القمح امرأة يعرفها ، حقيقية وليست محض خيال.

نهض فى الخامسة والنصف صباحا على صوت المنبه الذى صدح كالنفير. لبس ثيابه على عجل ، وفرد لحافه على السرير ووضع مخدته فوقه. لاحظ بقعة صفراء على الملاءة البيضاء. لن يتسع وقته لغسلها وإزالتها ، عليه الالتحاق بتمارين الصباح فى الحال. ولذا قام بتغطية البقعة بالصحيفة اليومية المصورة "جيش تحرير الشعب" وخرج مهرولا برفقة "مينج تشين" فى صقيع الفجر.

شعر بإرهاق وتعب غير عادى فى هذا الصباح بعد تأديته التدريب اليومى لركض الميلين. ونضح العرق غزيرا ، ضاق نفسه وازداد نهاجه على غير العادة. وشعر بزغللة ودوار يلف رأسه. حينما عاد إلى غرفته استقبله زميله فى الغرفة "جين تيان" مهللا بابتسامة ساخرة. لم يشاركهم "جين" فى تمرينات الصباح لأنه كان فى مناوبة ليلية وبادره قائلا:

-"ما هذا يا لين. أراك احتلمت فى الليلة الماضية؟".

رمشت عيناه الواسعتان ، وتغضن أنفه المفلطح كما لو أنه يستنشق رائحة ذكية فى الجو. غمرت حمرة الخجل وجه "لين" حتى رقبته. أسرع نحو سريره ونزع عنه الملاءة ورماها فى وعاء الغسيل الذى كان ممتلئا لنصفه بالماء. انفجر "جين تيان" ضاحكا وقال:

-"رويدك. لا تنفعل بهذا الشكل. ليس هناك ما يُخجل ، فهذا أمر طبيعى".

تدخل "مينج تشين" قائلا:

-"طبعا. فهو أمر عادى جدا يحصل لى على الأقل مرة فى الأسبوع. حينما يتجمع فى داخلك فائض من هذه المادة لابد أن تخرج منك تلقائيا".

والتفت نحو "لين" وأضاف:

-"لست بحاجة لأن تغسل مفارشك كل مرة كما لو أنك التقطت جرثومة. أنظر فأنا لا أهتم بالبقع التى تملئ مفارشى".

وأكد "جين تيان":

- « وأنا أيضًا لا أعيرها اهتمامًا ».

تمنى "لين" لو أنهما انزاحا عنه وتركاه لحال سبيله ولكن "جين تيان" استمر فى معاكسته وقال:

-"باستطاعتى أن أخمن سعيدة الحظ التى حلمت بها".

انتقض "لين" غاضبا وقال:

-"فعلتها مع أختك".

-"فعلا. هذا لا يشكل عندى أى مشكلة ، إن كان لدى أخت مثل مانا يو فأنت على الرحب والسعة لتركبها كما لو كنت حمارا وحشيا ، كلما رغبت ، طالما كان هذا فى الحلم وفى الحلم فقط".

خرج زميلا "لين" من الغرفة يقهقهان بالضحك. التزم "لين" بالصمت ، أخذ صابونة من الخزانة المجاورة لسريره وحمل وعاء غسيله ومضى خارج الغرفة. كان ما زال محتارا من حلمه هذا. ما كان ليتخيل نفسه أبدا ممددا مع امرأة مجهولة فى حقل قمح يمارس الجنس كالحيوانات. وانتابه على الفور شعور بالقرف والغثيان.

الفصل التاسع

وجد "لين" على مكتبه ورقة تلغراف ، تمزقت من الوسط ، من أخيه يقول فيها:

-"والدنا توفى. احضر حالا".

سرح "لين" يفكر بوالده الذى أمضى عمره كفلاح كادح ، وواظب على العمل فى حقله ليزداد فقرا عاما بعد عام. غمرت الدموع عينى "لين" وظل يدلك الزوايا الداخلية من عينيه بأصابعه علَّه يخفف انهمار دموعه. ودَّ الذهاب إلى قريته فى الحال لحضور الجنازة ، طلب الإذن من الرؤساء ليسمحوا له بأجازة مبكرة. رُفض طلبه لأنه فى ربيع سنة ١٩٦٩ كانت المستشفى تقوم بمناورات تحضيرية لمعركة حربية. كان قد بدأ الصراع بين القوات الصينية والروسية على نهرى "الأمور" و"سولى" منذ الشتاء. ومع أن الجليد بدأ بالذوبان ولم يعد يتحمل الدبابات والشاحنات الروسية إلا أن القوات الصينية ما كانت لتتقاعس عن أخذ كامل استعدادها تحسبًا من هجوم مفاجئ حتى شهر مايو. بعث "لين" بمائتى ين لأخيه البكر "رين كونج" ، الذى كان يعيش على بعد تسعة أميال من قرية "جوس". وطلب منه أن يقيم جنازة ومأتما لائقين بالوالد. قبل موته ، أوصى الرجل العجوز بإعطاء البيت الريفى إلى "لين" ليعبر عن شكره وامتنانه لخدمات زوجته "شويو" ، التى قامت على خدمتهما والعناية بهما هو وزوجته بمثابرة لسنوات عديدة.

ظل "لين" لعدة أشهر فى مزاج سوداوى وحزن. يصرف جلَّ وقت فراغه فى المطالعة، وحينما كان يتمشى مع "مانا" فى المساء يبدو سارحا متجهما. سألته إن كان سبب اكتئابه عدم السماح له بالسفر لحضور جنازة والده وأجابها بأن هذا محتمل. ولكن فى واقع الأمر كان ذهنه مشغولا بأمور أخرى، فهو يشعر الآن بعد أن توفى كل

من والدته ووالده أنه لم يعد بحاجة لزوجته سوى من أجل ابنتهما. كان يشفق ويتعاطف مع "شويو" التى لم تعش أبدا حياة سهلة منذ بداية زواجها به ، ولكنه لا يحبها، وليس على استعداد أن يمضى ما تبقى له من العمر معها. فهو يرغب بزواج قائم على الحب. زوجة لا يخجل من منظرها أمام الآخرين ، تبدو "مانا" فى نظره النموذج الأمثل ، ولكن الشعور بالذنب المصحوب بالشفقة نحو "شويو" كانا يغرقانه فى مشاعر البؤس والاكتئاب.

فى أثناء ذلك ، بدأت "مانا" تصر بأن عليه التفكير جديا بالطلاق. كانت كلما أثارت الموضوع تجنب الخوض فيه. فى ليلة من أوائل شهر ، يونية مات رئيس مركز قسم الإدارة الحربية للمدينة بالسكتة القلبية. كان رجل قوى البنيان فى منتصف الأربعينيات من العمر. شعر فى أول الليل بحرقة فى صدره ، فأخذ بعض الأدوية ولكن الأعراض استمرت. أخبر زوجته أنه سيذهب إلى المستشفى ليرى الطبيب. مضى وهو يحمل مصباحا وشمسية ، فالجو كان غائما ، قبل أن يصل إلى المستشفى فاجأته الأزمة القلبية. فوقع فى حفرة لم يتمكن من تسلقها ليعود إلى الطريق العام. وحينما وجده المارة قبل طلوع الفجر كان قد فارق الحياة وهو يعض على شفته السفلى ووجهه ملطخ بالوحل وبقشور بذور الحشائش. مات وترك وراءه أرملة وثلاثة أطفال.

أزعج موته الفجائى "مانا" كثيرا مع أنه ليس من المعارف المقربين. كانت تعرفه شكلا فقط. فى الليلة التالية لموته كانت تتجول مع "لين" بالقرب من ساحة الألعاب بدت ساهمة يائسة ثم تنهدت وقالت "للين":

-"ما أغلى الحياة ، فاليوم نحن نعيش ، وغدا لربما لن نكون. ما الفائدة من التعب والسعى والمعاناة وبذل الجهد لتأمين حياة لائقة إن كانت نهايتنا موتًا قريبًا؟".

-"كفاك تشاؤما. لو فكرنا بهذا الشكل لن نستطيع أن نعيش".

توقفت واستندت إلى جذع شجرة مقشر ، ويمناها تمسك برسغ يدها اليسرى تلفه إلى الأمام والخلف. تُمعن النظر إلى "لين" بعينتين غائرتين وبعد فترة قالت فى صوت راجف:

-"لم يعد بوسعى الاحتمال أكثر يا "لين". أكاد أختنق من وضعنا هذا. لِم لا تفعل شيئا؟".

بدت عليه الحيرة والاستغراب ورد:

-"ما هذا الذى تتحدثين عنه؟".

-"من المستحيل الاستمرار بهذا الشكل. من أنا؟ خطيبتك أم عشيقتك؟ عليك أن تفعل شيئا لتبدل هذا الوضع".

-"قولى لى. ما الذى بإمكانى القيام به ولم أفعله؟".

-"أطلب الطلاق من شويو".

قالت هذا وهى تركز نظراتها فى عينيه وتضم شفتيها فى غيظ وتصميم. أدار رأسه بعيدا عن نظراتها وأجاب:

-"لن أستطيع استعجال الأمر. علىّ أن أفكر بشكل صحيح. فما نطلبه ليس بالسهل".

-"لماذا تعقد الأمور؟ قل لها إنك تريد أن تطلقها ولنرى كيف سيكون رد فعلها".

-"كلا فأنت لا تفهمين".

-"أفهم ماذا؟".

-"لا أستطيع خلعها هكذا كما لو كانت حذاء مهترئا. علىّ أن أقدم سببا وجيها لطلاقها. وإلا انقلب أهل القرية جميعا ضدى. ولن أتمكن حينذاك من الحصول على طلاق".

-"وما هو السبب الأهم من أنك لا تحبها؟".

-"كلا. كلا".

-"اسمعنى يا لين. آن الأوان لتتخذ قرارا. سئمت من الانتظار. من أنا بالنسبة إليك؟ فأنا لست حتى عشيقتك".

قالت هذا وانفجرت باكية وهى تستدير لتمضى.فناداها قائلا:

-"استمعى لى يا مانا. انتظرى من فضلك ، ولو لبرهة".

-"استمعت بما فيه الكفاية".

-"أرجوك. كونى عاقلة".

-"فاض بى الكيل. وضجرت من شدة التعقل. إن لم تفعل شيئا على الفور ، فالأمر بيننا منتهى".

كانت تصرخ بأعلى صوتها ثم أسرعت مبتعدة وهى تضع كفها على فمها لتكتم آهاتها ، ورأسها محنى إلى الأمام. بدت ساقيها مترنحتين لا تقويان على حملها ، وانتفض جسدها وهى تحاول كبح انفعالها، وعلقت قشور من جذع الشجرة على شعرها. راقبها "لين" بقلب منقبض وهى تتخطى كومة من الحشائش اليابسة لتعبر من فتحة السياج وتختفى عند زاوية المبنى. ظل واقفا فى مكانه وقد حامت حول رأسه حشرات طائرة. وسمع صراخ زوج من النسور يرفان ذيليهما المبرقشين من أعلى شجرة الحور. وفى أعلى السماء ظهر سرب من الطائرات المقاتلة خرقت الفضاء بدون صوت ، تبدو على البعد كأنها طيور السنونو الفضية.

منذ ذلك اليوم ، أُعلنت الحرب بينهما. اعتاد "لين" على البقاء وحيدا ، لم يعد يمضى باحثا عن "مانا" مفضلاً راحة البال. ومع هذا كان كلما وقع نظره عليها وجد صعوبة فى تجاهلها. وهو أمر أحست به تماما وعملت على تجنب النظر نحوه. أصبحت أكثر مرحا وصخبا عن ذى قبل ، خاصة فى حضور غيره من الرجال. كما بدا عنقها أكثر انتصابا ، و حرصت على لبس قمصان بألوان زاهية ، وحذاء جلدى جديد ، وابتدأت تتعطر ، كغيرها من الممرضات الشابات ، بعطر "ليلى" الغالى الثمن، وفى المساء شاركت من جديد فى الألعاب الجماعية أمام ساحة الحمامات العامة. عادت

فجأة كما كانت فتاة شابة ملأى بالحياة والطاقة. لم يخطر "للين" أبدا أنها ستتشبث برأيها وتمضى فى تنفيذ وعيدها. شعر بالتعاسة والوحدة. وأصبح يلتقط أنفاسه بصعوبة كأن ثقلا من الرصاص يجثم على صدره. وإحساس بالضياع يتملكه وتساءل بينه وبين نفسه: هل هى فعلا تحبه؟. وحينما سأله زملائه عما جرى بينهما رد قائلا:

-"أخطأت فى حقها بتركها منتظرة. كان عليها أن تختار. فأنا كما تعلمون رجل متزوج" .

-"هذا يعنى أنكما قطعتما ارتباطكما".

-"أظن ذلك".

مع هدوئه الظاهرى إلا أنه كان يشتعل ويفور من الداخل. لم يعد قادرا على التركيز فى القراءة ، يبدو سارح الذهن مشتتا فى النهار وقلقا أرقا يتقلب متنهدا طوال الليل يمعن الفكر بحياته والنساء اللواتى عرفهن ، كان البعض منهن أجمل وأرق من "مانا" ، يخطرن على باله الواحدة تلو الأخرى ولكنه سرعان ما يعود للتفكير والتركيز على "مانا". لكم يشعر بالأسى من أجلها. انتظرت وانتظرت طويلا منذ بدء علاقتهما حتى نهايتها. يبدو أن حياته تدور فى حلقة مفرغة ، لا مجال للهروب والنفاذ لنقطة للبدء من جديد. حبه الرومانسى لم يضف إليه سوى القنوط واليأس والبلادة ، كما لو كان معتلاً سقيم الروح. ودّ لو أنه لم يتعرف على "مانا". تمنى أن يستعيد نمط حياته القديم ليعيش ثانية بهدوء وراحة.

حاول أن يشغل نفسه بالمزيد من العمل فى أثناء النهار. أخذ على عاتقه مهمة إعادة ترتيب التقارير الطبية فى مكتبه علّها تصرف ذهنه وترهقه فلا تعاوده الهواجس أثناء النوم. وفعلا تحكم فى انفعالاته ووجد أنه طالما كان مشغولا ، فهو مكتفٍ بذاته ولا يشعر بحاجة لأى امرأة.



الفصل العاشر

حلّ يوم الاحتفال بالعيد القومى ، وأقامت المستشفى حفل عشاء لموظفيها فى قاعة الاجتماعات. قبل بدأ الحفل ألقى القوميسار "زنك" كلمة شكر للممرضات اللاتى ساعدن الطباخين فى إعداد الطعام. ثم تحدث باقتضاب عن معنى هذه الذكرى السنوية للأمة الصينية. وعن أهمية سيطرة الحزب على الجيش. وأنهى خطبته بقوله:

-"والآن استمتعوا بالطعام".

مضى بعدها ليجلس إلى طاولة خصصت للرؤساء فقط ، رصت بأنواع لا حدود لها من المأكولات والنبيذ.

بدأ الناس فى شرب الأنخاب وإمساك عيدان الأكل. وضجت القاعة بصدى أصوات الضحك والحديث وقرقعة القصع والأطباق والمغارف والأكواز. قدمت ثمانية أصناف من الطعام. كان هناك أسماك مدخنة ، ضلع لحمة ، لحم خنزير مع الخضار ، بيض مخفوق مع الأعشاب. وضع على كل طاولة زجاجتى نبيذ أحمر ، وإبريق من شراب القمح وقصعة من البيرة.

لم يجلس "لين" إلى طاولة "مانا" ولكنها ظلت فى متناول نظره وسمعه. على النقيض من غيره من الرجال المبتهجين ، شعر "لين" بانكماش فى معدته ، عفت معها نفسه الطعام. مع أنه كغيره من الموظفين لم يتناول طعام الغذاء موفرا شهيته لمأدبة المساء. لفت رأسه ولاحظ أن "مانا" تسند ذراعها الأيمن إلى حافة النافذة. وترفع بيدها اليسرى كوزا أخضرا مطليا بالمينا ، تشرب مع رفيق "لين" فى الغرفة "جين تيان" وتصرخ زاعقة:

-"نخب النبيذ المقدس".

انطلقت بعدها ضاحكة وهى ترفع ذراعها من على حافة النافذة وتلامس أنفها برؤوس أصابعها.

انكمشت عضلة فى خد "لين" لدى سماعها وارتاع لاستهتارها. لاحظت طبيبة تجلس بالقرب منه مدى شعوره بالحرج فقالت له بلطف:

-"تذوق قطعة كفتة يا لين ، إنها لذيذة".

رفع عيدانه دون وعى وتناول قطعة من الكفتة المصنعة من لحم الخنزير المفضل لديه. ومع هذا كان مذاقها مرا فى فمه. كذلك لم يستسغ البيرة، ولكنه شرب قليلا من الحساء فى قصعة زرقاء الحافة. لم يشارك الآخرين فى الهجوم على أطباق اللحم والسمك ، واكتفى بتذوق سلطة الفجل المتبلة بالسكر والخل. وكان يتجشأ بين الفنية والأخرى لمعاناته من سوء الهضم.

فى هذه الأثناء كانت "مانا" تجلس على الطاولة الأخرى تضحك بصخب وقد إحمرت وجنتاها ترفع كأسها تقرعه بكؤوس الأخرين ثم تعبه مرة واحدة حتى الثمالة. أثنى عليها "جين تيان" قائلا بصوته الرفيع:

-"إنك تجيدين الشرب فعلا".

وملأ لها كأسها من جديد حتى الحافة. صرخت فيه بمرح:

-"كفى ، هل تريد أن يطفح؟".

عادت للقهقهة. ردّ "جين تيان":

-"لم لا".

وانسكبت البيرة من حافة الكأس. كانت مروحة السقف تدور بسرعة فوق رأس "لين" ومع هذا كان ينضح بالعرق. عفت نفسه الطعام فنهض متذرعا بأنه نسى أن

يطفئ الأنوار فى مكتبه واتجه نحو الباب. مرّ بطاولة "مانا" ولسبب ما ، لم يدركه توقف أمامها قائلا:

-"لا تكثرى من الشرب يا مانا ، فأنه مضر لصحتك".

ردت عليه وقد رسمت ابتسامة هازئة:

-"وهل ترانى أشرب حصتك؟".

قالت هذا ورفعت كأسها وغبت جرعة كبيرة من البيرة. توقف زملاؤها على الطاولة عن الطعام والشراب يراقبون المشهد.

أسرع "لين" بالخروج دون أن يرد عليها وقد تغضنت قبعته بين قبضته. شعر بالندم لاهتمامه بها وانطلق صوت فى داخله يوجه له اللوم وينعته بالبلاهة ، وبأنه لن يتعلم درسه قط:

-"لم لا تنساها؟ لم لا تتركها تشرب حتى تسكر؟ فلتمت ، اتركها لحالها ولا تسأل عنها. فليحرق الكحول أحشائها فهى تستحق كل ما سيجرى لها".

عمّ الهدوء الساحة الواسعة للمبنى. ولم يكن هناك سوى الخفير. يقف عند المدخل الأمامى مستنداً على كمامة البندقية المنتصبة بجانبه وقد ارتفعت فوهتها. مضى "لين" باتجاه البستان وراء سور المبنى. كانت ثمار أشجار التفاح المطعم بالكمثرى قد قطفت ولم يبق منها إلا بعض ثمرات عالقة على الأشجار هنا وهناك.

على المنحدر ، كان هناك ثلاث حمير يرعون الحشائش أحدهم مبرقش والأخران بنيان. فى عمق البستان جلس البستانى الشاب يغنى مقطوعة من معزوفة أوبرا الثورة تقول:

-"ضع خطتك للقضاء على نمر الجبل .. فها أنت توغلت داخل مواقع الأعداء ، وتوصلت لنتائج جيدة".

ظهر فى الأفق سرب من البط الوحشى يطير على شكل "٧" وعبر من أعلى التل متجها جنوبا ، زاعقا وباسطا أعناقه. أصدرت أجنحتهم حفيفا خافتا. جلس "لين" على

مصطبة وأشعل سيجارة ينظر إلى المستشفى الممتد أمامه. كانت نوافذ المبنى الطبى تبدو لامعة بتأثير انعكاس شمس المغيب عليها. ظهر المجمع الطبى من فوق منحدر التل كما لو أنه مصنع واسع محاط بسور سميك من أشجار الحور المنتصبة على حافة الحائط القرميدى. فى الشرق ظهرت بعض من أسقف المنازل الحمراء مظللة بشريط من الدخان. صوت حركة المرور فى المدينة يسمع بالكاد. تنهد "لين" ليفرِّج عن انقباض صدره. وأخذ يستعيد فى ذهنه الأحداث القريبة الماضية. لم تعمدت "مانا" إحراجه أمام الجميع؟ هل تكرهه؟ كان عليها أن تقدر اهتمامه بصحتها. يبدو أنه لن يتفهم مشاعر المرأة أبدا. كان موقفا مخجلا بالفعلِ تعمدها تحقيره أمام هذا الجمع الغفير. وقال لنفسه:

-"أنت تستحق كل ما أصابك. فأنت زوج وأب. كان عليك أن لا تتورط فى هذه العلاقة، فأنت الذى سعيت للمشاكل وتستحق كل هذا الذل والخزى. لم لا تغسل يديك من هذه المرأة؟ لم تسمح لها بلوى وعصر قلبك كما لو كانت أخطبوطًا؟ أنت تُبخس من نفسك، يزداد انجذابك إليها كلما شعرت بابتعادك عنها. كفاك جنونا. عليك اقتلاعها من صدرك وإلا التهمت قلبك كالدودة".

وفيما هو سارح مع أفكاره يدخن، ظهرت "مانا" من وراء شجرة تفاح، تترنح باتجاهه، وقد ثُقُلَت أنفاسها واحتقن وجهها. نهض على قدميه مرتبكا محتارا. كيف سيستقبلها؟ لم تترك له مجالا لاتخاذ قرار. اندفعت نحوه، قبلته وانفجرت فى البكاء وهى قوس وجهها فى صدره. قالت منتحبة:

-"لم تعد لى قدرة على الاحتمال أكثر. لم أقصد ايلامك".

-"لا..لا تبكى".

ازداد نحيبها وتشنجها وصرخت:

-"أنا سيئة، سيئة جدا".

وأطبقت عليه تضمه بيدين مرتجفتين. فاحت منها رائحة الجنزبيل والبصل الأخضر. كان واضحا مشاركتها فى المطبخ وعدم اغتسالها. رد عليها:

-"كفى..كفى. فالموضوع ليس بهذا السوء. وأنا كما ترين لست غاضبا. نسيت الأمر برمته".

قال هذا وهو يلتفت حوله خيفة أن يكون هناك من يراقبهما. خشا أن يكونا قد خرقا القانون الذى يمنعهما من اللقاء خارج أسوار المستشفى. رفعت نحوه عيناها المشعتان ببريق غريب. ثم خفضت رأسها وقهقهت صائحة:

-"كما ترى هأنذا عنساء، عذراء فى الثلاثين من العمر. هل تعلم معنى هذا؟".

-"لا تتحدثى بهذا الشكل".

-"هذا صحيح. إنه السبب فى غرابة أطوارى وهوسى".

-"كل ما هنالك أنك شربت أكثر من اللازم".

-"كلا. فأنا لم أشرب أكثر من كأسين".

-"ولكنه أكثر مما يمكنك تحمله".

-"ألا تريد أن تتأكد من عذريتى؟ وأنه ما من رجل لامسنى؟".

-"لابد أنك فقدت عقلك يا "مانا" ليس من المفروض أن...".

-"هلَّم. ألا يمكنك أن تفض بكارة فتاة عنساء؟ ألا تريد أن تفعل هذا من أجلى؟".

أطلقت سراحه وانطلقت تقهقه بضحكة هستيرية انقلبت إلى سعال ثم إلى نوبة من العويل والبكاء. لف ذراعه حولها قائلا:

-"فلنعود يا عزيزتى".

وصرخت فيه:

-"ألا تستطيع أن تفعل بى".

-"كفى..كفى".

-"هل أنت رجل أم لا؟ أراك أكثر خوفا من أرنب. هلَّم ، افعل بى شيئًا ".

-"حسنا..حسنا أنا المخطئ. فأنا لا أصلح لشىء. ولكن دعينا نعود أدرجنا".

وبالرغم من شدة مقاومتها استطاع أن يجرها نحو أسفل المنحدر وهو يمسك بأعلى ذراعها بكلتا يديه. وهى تقاومه منتحبة صارخة:

-"افعلها بى. افعلها بى. أريد أن أمنحك طفلا".

لم يجرؤ على أخذها إلى جناح النوم من المدخل الرئيسى. جرها من خلال صفوف أشجار الحور نحو الباب الخلفى لبيت المرضات. التقيا بطريقهما بمجموعة من المرضات الذاهبات إلى قاعة الاحتفالات بعد أن انتهين للتو من أعمالهن ، وقبل أن تبادرهن الشابات بالسلام انطلق "لين" معتذراً:

-"أفرطت مانا...فى الشراب".

قال هذا وهو يجرها مسرعا. نظرت المرضات وراءهن ليشاهدن الزوجان يترنحان مبتعدين.

ظلت "مانا" ولمدة أسبوع الموضوع الرئيسى فى المستشفى. وحققت بهذا رقما قياسيا. فلأول مرة فى تاريخ المستشفى تصل امرأة من موظفات المستشفى لهذه الدرجة من السكر المدقع فى حفل عشاء عام. حتى إنها فاقت أكثر الرجال سكرا.

هزت هذه الحادثة أركان "لين". وفكر بالسعى الجدى لطلب الطلاق. وقرر أن يثير الموضوع من جديد مع زوجته "شويو" أثناء إجازة الصيف القادمة.

الفصل الحادى عشر

مضت "شويو" لانجاز واجباتها الأسرية بعد أن أخبرت "لين" أنها ستعود إلى المنزل عند الظهر. كانت تحمل منجلا قصيرا على كتفها وقبعة من القش على رأسها ، تزرع فى حقلها المربع الذى لا يتعدى نصف الآكر ، القرع العسلى وأوراق التارو وأكواز الذرة المتخمة. تقع الأرض فى غرب القرية على بعد مائة ياردة من البيت. وهى أرض خصبة يفيض محصولها عن حاجتهما هى و"هويا" ، ولذا اتفقت مع أخيها أن يبيع الفائض عن حاجتهما لحسابها فى سوق مدينة "يوجيا" ، فى الجمعية التعاونية "الست نجمات". أُعفيت "شويو" من العمل فى الحقول الجماعية للدولة واقتصر عملها على الاعتناء بحقلها ومزرعتها وابنتها وبيتها، واستطاعت تدبير أمورها بالمبلغ الذى كان "لين" يبعثه لها كل شهر. وضع "لين" "هويا" فى حضنه وأخذ يقرأ لها قصة من كتاب قصص مصورة. أمسكت الطفلة فى يدها بعود بصل أخضر سميك تنفخ فيه بين الحين والآخر فيخرج منه صفيرا كغثاء نعجة. فى مدخل المنزل حفر "لين" بئرا وأحاطه بالحجر الآجرّى ليحول دون سقوط الطفلة أو الدواجن.

كانت قدما "شويو" المكبلتان تحولان دون ذهابها إلى البئر العمومى لجلب المياه ، التى كان عليها أن تنقلها بدلوين معلقين بعصا على كتفيها ، كما تفعل غيرها من الفلاحات، ولذا حفر "لين" هذا البئر فى حقلهما منذ أربع سنوات مضت. امتد على يمين البئر ممرٌ مرصوفٌ بالحجر الآجرى حتى المدخل الرئيسى. إلى جانب حظيرة الخنازير انهمكت دجاجة بيضاء فى حك الأرض تنقنق منادية على كتاكيتها ، التى جاء أصغرها جارا ساقًا مكسورة. كان يوما دافئا سكنت رياحه وعبق الجو برائحة الروث

الجاف. وبينما هو شارد مع أفكاره فتحت "هويا" فمها وأطبقت بشفتيها على قميصه تشده ، محاولة فتحه لترضع. أخفض عينيه ونظر إليها مندهشا. قالت:

-"أنا جائعة يا بابا".

لامست قبضتها القذرة صدره تبحث فى الجانب الأيسر منه. أطلق ضحكة عالية أجفلت الطفلة ، ولكنها ظلت تنظر إليه دون أن تطرف عيناها. قال لها:

-"يا هويا. لا يستطيع الرجل إرضاعك كأمك. كما ترين ليس عندى ثدى".

وفتح قميصه لترى صدره المنبسط. كان هناك حسنة صغيرة كحبة عنب صغيرة تحت حلمته اليمنى. بدت الحيرة على وجه الطفلة وازداد اتساع عينيها السودوين. سألها:

-"أتريدين بسكوتا؟".

-"أوه..هو".

أزاح الكتاب وحملها على كتفه ومضى الأب وابنته نحو بقالة القرية لشراء الحلوى. فى مساء ذلك اليوم حكى "لين" لزوجته محاولة "هويا" للرضاعة من حلمته. ابتسمت "شويو" وعلّقت:

-"طفلة بلهاء".

ورد:

-"قاربت على الرابعة من العمر والأجدر بك فطامها".

-"كما تعلم لبن الأم يجعل الأطفال أحسن صحة".

قالت هذا وهى تملئ قصعته من جديد بحساء القرع العسلى. سألها:

-"هل تذكرنى هويا كثيرا أثناء غيابى؟".

-"طبعا تذكرك. أحيانا تقول: أفتقد لأبى. إنها رابطة الدم وإن كانت لا تراك كما يجب".

التفت نحو ابنته وسألها:

-"هل تفتقدينى فعلا؟".

-"ياه".

-"هل يمكنك أن تقولى كيف؟".

وضعت الطفلة كلتا يديها على بطنها وقالت:

-"افتقدك ها هنا".

ضحك. ثم غمرت الدموع عينيه. حمل طفلته وأجلسها على حجره وقرب منها طبق طعامها حتى تتمكن من الوصول إليه. قبل أن تبدأ الطعام اختطف قبلة من وجهها المتوهج ثم مسح أنفه ونظفه بورقة قش. بالرغم من أنه كان ينام فى غرفة منفصلة عن زوجته إلا أنه كان يجد متعة وراحة فى منزله ، خاصة لعبه مع ابنته. كما كان يستمتع بالطعام الطازج واللذيذ الذى تتقن "شويو" إعداده. كحساء الحبوب التى كانت تصر "شويو" على أن يضيف إليه بعض السكر البنى ، وإن كانت لا تضيف لنفسهاحرصا على النفقات. كان الحساء خفيفا ولذيذ الطعم. لا يتردد "لين" عن ازدراد ثلاث قصعات ممتلأت متتاليات دون الشعور بالامتلاء. أو طبق البيض المخفوق والمقلى مع الكرات أو البصل الأخضر ، مما يجعل تجشأه عابقا بهذا الطعام اللذيذ لساعات عديدة بعد تناوله. ناهيك عن البازلاء المطهية على البخار والمتبلة بزيت السمسم والثوم المهروس التى تعطيه شعورا هنيئا بالراحة والحرية. فهو لا يجرؤ على الاقتراب من هذه الأكلات المنزلية فى المستشفى حتى لا تعبق أنفاسه برائحة الثوم. إضافة إلى هذا الشعور الجميل بالاسترخاء لوجوده وسط عائلته. فها هنا لا توجد هذه الساعة المنبهة التى توقظه فى تمام الساعة الخامسة للانضمام لتمارين الصباح فى الجيش، فحين يصبح

الديك الأسود معلنا عن شروق الشمس يفتح "لين" عينيه لبرهة ليعود لنوم عميق وسعيد فى الحال. فغفوة الفجر لا تعادلها لذة. أمضى إلى الآن أربعة أيام ويأمل لو يبقى لشهر كامل.

حضر صهره "بنشنج" فى المساء طالبا أن يقرضه "لين" بعض المال. كان رجلا هزيلا فى منتصف العشرينيات من عمره. تزوج قريبا وأثقلت تكاليف الزواج كاهله وأغرقته فى الديون. جلس على طرف السرير الآجرى منحنيا يدخن وومضت عيناه الغائرتان بعصبية ، وامتد شارباه كطير خطاف ضئيل. أخذ يتجشأ بين الحين والحين بصوت عال. استرسل الرجلان فى الحديث وانهمكت "شويو" فى خياطة قماش نعل حذاء بمثقب وخيط من القنب. لم تتلفظ بكلمة ولكنها استمرت فى حدج أخيها بنظرات غاضبة. سأله "لين":

-"ما الذى يجعلك متلهفا على المال بهذا الشكل؟".

كانت ابنته على ظهره ويداها تلتف حول رقبته.

-"خسرت أموالا فى السوق وحُكم علىَّ بغرامة مالية".

تسرب من فتحتى أنف "بنشنج" خيطان من الدخان.

-"ما السبب؟".

-"إنه مجرد سوء حظ".

-"لأى درجة؟".

-"كفى..كفى. يا أخى الكبير لا تحرجنى بالمزيد من الأسئلة ، إن كان لديك فائض من المال ساعدنى".

أنزل "لين" "هويا" من على ظهره بعد أن لاحظ قلق "بنشنج". نهض ومضى نحو الغرفة الداخلية حيث يضع محفظته. سمع زوجته تؤنب أخاها قائلة:

-"أنت تستحق ما جرى لك".

عاد "لين" ومعه خمس ورقات ، كل واحدة بعشرة ين وقدمها لأخ زوجته.

-"باستطاعتى أن أقرضك خمسين ين".

-"شكرا شكرا".

وضع النقود فى جيب سرواله دون أن ينظر إليها وقال:

-"سأعيدها إلى شويو ، هل يوافقك هذا؟".

-"كما ترى".

بعد أن أعاد النظر قال:

-"ما رأيك؟ احتفظ بالنقود على أن تساعدنا على تغطية سقف المنزل بقش القصب هذا الصيف فى وقت فراغك".

-"هذا وعد وسأقوم بتنفيذه".

-"تأكد من استعمال سيقان عيدان القمح الجديدة".

-"بالطبع سأفعل".

غادر "بنشنج" منزل أخته معتمرا قبعته الزرقاء ، يُصَفر لحنا لأغنية شعبية عن "البقرة الصغيرة التى تزوجت". ارتاح "لين" لهذا الترتيب. كثيرا ما فكر بطريقة لاصلاح السقف. كان يعلم أنه لا يستطيع الاعتماد على "بنشنج" دائما ولكن هذه المرة كان متأكدا أنه سيقوم بتنفيذ الطلب على الوجه الأكمل. فقد عُين "بنشنج" مؤخرا محاسبا فى الجمعية الإنتاجية ولن يعدم الوسيلة للحصول على عيدان القمح اللازمة. بعد ذهاب صهره سأل "لين" زوجته عن سبب عقابه ، هزت رأسها مبتسمة وقالت:

-"الذنب ذنبه".

-"كيف؟".

-"حشر مؤخرة خنازيره الوليدة".

-"لم أفهم شيئا. ما الذى حصل بالفعل؟".

شبكت "شويو" خيط القنب حول اليد الحديدية للمثقب وربطت الغرزة بقوة فى مكانها ، ثم بدأت تسرد قصتها:

-"ذهب بنشنج فى الأسبوع الماضى إلى مدينة ويجا ليبيع خنازيره الحديثة الولادة دفعة واحدة، وقبل أن يغادر الحظيرة حشر فى مؤخرة أربعة منها خيوط الكتان حتى يزداد وزنهم. وحين عرض الخنازير فى السوق رغب الفلاحون فى شراء الأربع الأكثر امتلاء ووزنا، وفى الواقع لم يكونوا أكثر امتلاء بل أثقل وزنا فقط لأن مؤخراتهم مسدودة ومحشورة لدرجة الانفجار. كان بنشنج على وشك استلام الثمن من المشترى حين راود الأخير خاطرا وتساءل: ما السر وراء نظافة هذه الحيوانات البذيئة؟ إذ كانت الخنازير الأخرى تخرج أكوما من الروث وراءها. أمعن النظر ولاحظ انتفاخا وتضخما فى مؤخرات الخنازير الأربع الممتلئة ، فصرخ: انظر لهذه الخنازير الرضيعة بمؤخراتها الممتلئة".

انفجر "لين" ضاحكا وهو يتمدد عل سريره الآجرى. وما لبثت أن امتطت "هويا" بطنه وبدأت فى هز ساقيها كما لو كانت تركب حصانا ، ترفع يديها كما لو كانت تمسك بسوط وتصرخ:

-"هيا,هيا..هوب".

ردّ "لين"متجاويا معها:

-"أوه..هواه.. هواه".

استمرت الطفلة تمتطيه كدابة إلى أن أمسك بوسطها بكلتا يديه ورفعها إلى أعلى وهى ما زالت ترفس الهواء برجليها وصدى ضحكاتها يرن فى الغرفة. جلس على السرير وسأل زوجته:

-"أكملى ، وبعدها ما الذى جرى؟".

-"أخذوه إلى قسم البوليس. وهناك صادروا الخنازير الصغيرة وحكموا عليه بغرامة قدرها تسعين ينا . كان عليه أن يدفعها فى الحال وإلا احتجزوه فى السجن. لحسن الحظ كان هناك صديقه المُلقب "شبيه الحمار" يبيع دواجن وأسماك ، وافق أن يقرضه المبلغ المطلوب على أن يرده له خلال أسبوع فقط. فهو يقوم ببناء منزل من خمس غرف وهو بأمّس الحاجة للمال لمدّ وتركيب الأسلاك الكهربائية".

قال "لين":

-"إنه فعلا يستحق ما جرى له".

ضحك كلاهما ومضت "شويو" تلعق شفتيها منشرحة ، فهذا حدث نادر فى علاقتهما الزوجية ، فالزوجان قلما يتكلمان فكيف بهما يتسامران. كانت أصوات الدواجن أكثر صخبا من أصوات سكان هذا المنزل. حتى الطفلة "هويا" كانت تلعب فى هدوء وسكينة معظم وقتها.

بعد الظهر من اليوم التالى ، وبينما كان "لين" يصلح المنفاخ فى المطبخ ، عثر على ورقة مُسَطرة بين مخزون فول الصويا. تفحصها ووجد عليها أرقاما ورسومات غير مفهومة مكتوبة بقلم رصاص. كانت الرسومات على شكل مربع أو ما يشبه الزجاجة بمقاييس متعددة ، أو دائرة ، أو خابية ، أو سكّينة ، أو قوارير. تساءل "لين": ما معنى كل هذا؟ كانت "شويو" خارج البيت ، تغسل الثياب فى الباحة. تصدر الهرواة الخشبية التى تضرب بها على الغسيل دويا ايقاعيا على البلاطة الحجرية. كانت "هويا" تلعب بالقرب من وعاء معدنى مملوء بالماء ، تدس البطّات مناقيرها فيه لتشرب منه. وتغسل "هويا" يديها بمائه بين الحين والآخر ، وتهش البطّات محاولة إبعادها عن الوعاء ولكنها تعود لتغطس رأسها من جديد. بعد الغذاء سأل "لين" زوجته عن معنى ما سُطِرَ على قصاصة الورق. مصمصت "شويو" شفتيها وهمست:

-"قائمة".

-"قائمة ماذا؟".

- "أشياء".

-"وما هى هذه الأشياء؟".

-"بقالة".

ثم بدأت تفسر له محتويات القائمة. الزجاجات الصغيرة ترمز للخل ، والكبيرة لزيت الصويا ، والقوارير ترمز لزيت الطبيخ ، والنجمة للملح ، والمربع للصابون ، والدائرة كربونات الصودا. أما شكل العُلبة فيرمز لعلبة الكبريت ، وشكل المصباح لمصباح كهربائى.

وراء القارورة لاحظ "لين" رقم ٥٠ وأدرك أنها تعنى أنها صرفت ٥٠ فنًا على زيت الطبيخ ، مما يعنى أقل من نصف ين شهرياً. تحت رسم السكين رسمت رقم ١ الذى على الأرجح يعنى ينًا ، قيمة بوند من لحم الخنزير. أُصيب بالدهشة ، فهو منذ وصوله يتناول يوميا اللحم والسمك. سألها:

-"هل يكفى المبلغ الذى أبعثه لك شهريا يا شوبو؟".

-"نعم".

-"هل ترغبين بالمزيد؟".

انتصبت على قدميها ومضت تترنح إلى صندوق خشبى من خشب الزان. فتحته وأخذت منه قارورة من البورسلين على شكل خوخة. رفعت غطائها واستخرجت منها رزمة من الأوراق المالية وعادت إليه لتقدّم له النقود قائلة:

-"لابد وأنك بحاجة إلى هذه".

-"من أين لك هذا المبلغ؟".-"وفرته".

-"كم وفرت؟".

-"مائة ين السنة الماضية. ولكنى صرفت معظمها فى جنازة والدك".

-"كم تبقى معك الآن؟".

-"ثلاثون".

-"احتفظى بها. إنها لك يا شويو".

-"ألست بحاجة إليها؟".

-"احتفظى بها. انها أموالك".

تحرك شىء فى صدر "لين". شعر بضيق فى تنفسه. تحرك نحو الحافة الخشبية للسرير الآجرى ووضع قدميه فى حذائه. كان نعله مثقلا بالطين الجاف. ربط بسرعة رباط الحذاء ومضى وحيدا يمشى نحو الظلام الزاحف.

بعد الظهر أبلغ "لين" "شويو" برغبته فى زيارة قبر والديه فى الصباح التالى. أثار طلبه الانفعال فى نفس "شويو" ، فمضت مُسرعة نحو مخزن القرية واشترت «بوندين» من لحم الخنزير المقدد ، ثم مضت نحو منزل المدعو "شبيه الحمار" واشترت من حوض أسماكه رزمة من سمك الشبوط ، وسلقت من أجل الغذاء عشرة أكواز ذرة ، فلم يتح لها خبز الفطائر، ولكن فى المساء كان هناك إلى جانب قصعة "لين" طبق صغير من لحم الخنزير المسلوق. دفع "لين" بالطبق لمنتصف الطاولة لتشاركه زوجته وابنته فيه. تمنّعت "شويو" عن لمسه بينما أكلت "هويا" بشهية وهى تلعق بشفتيها وتقول:

-"أريد المزيد من اللحم المدهن".

عبست أمها فى وجهها مؤنبة ، فيما ابتسم "لين" ووضع فى قصعتها المزيد من مكعبات اللحم.

فى اليوم التالى ، استيقظ "لين" من النوم متأخرا. كان هناك على الغطاء الخشبى للمرجل سلة من القصب. رفع غطائها ووجد داخلها أربعة أطباق تحتوى على السمك المقلى ومكعبات لحم الخنزير المسلوقة ، والطماطم المشوية مع البيض ، وطبق أخير كان

مُفضلا عند والدته من نبات التارو المطهى على البخار والمقشر والمرشوش بالسكر الأبيض. فى زاوية السلة إلى جانب قارورة الماء كان هناك ربطة من أعواد البخور للآلهة ورزمة من الأوراق المالية. مضت "شويو" مع "هويا" فى الصباح الباكر تلم الأعشاب للخنازير. لمس "لين" السلة ووجد أن أطرافها ما زالت دافئة. شرب بسرعة قصعتين من حساء الذرة البيضاء المسلوقة ، ثم مضى نحو المقبرة.

كانت المقبرة على حافة غابة الصنوبر فى الوادى إلى جنوب القرية ، على مسيرة عشر دقائق منها. فى السنوات القريبة الماضية كانت معظم جثث الموتى تحرق لتوفير الأرض الصالحة للزراعة. ولذا اضطر أخو "لين" الكبير أن يقيم لرؤساء القرية اثنتا عشرة وليمة ليتمكن من الحصول على رخصة تسمح لهما بدفن والدهما إلى جانب والدتهما على جانب التل.

سطعت الشمس عمودية على قمة رأس "لين" وحين وصل إلى غابة الصنوبر كانت أنفاسه متقطعة ، وقد التصقت بعض من بذور الحشائش فى نهايات سرواله ، كما أحاطت طبقة من الطين الداكن بحذائه. كان الذباب والناموس يحيط به بينما حامت حولهم بعضاً من طيور السنونو البيضاء الصدر محاولة التهامهم. ظهر واضحا عناية "شويو" بالقبرين ، فقد نُثر فوقهما التراب الجديد حديثا وفاح فى الجو عطر نبتة صفراء ، اخضرت أطراف البعض منها وإحمرت الأخرى ، تلمع تحت أشعة الشمس. استند على رأس كل من القبرين باقة ممتلئة من أزهار الزنبق البرى بعطرها الفواح تنضح بالندى ، وإن ذبلت أزهارها الصغيرة الصفراء. كان "لين" واثقا أن "شويو" هى التى قطفت الزهور وجمعتها فى باقتين ووضعتهما على القبرين. فلا يمكن أن تراود أخاه البكر مثل هذه اللفتات وهو غارق دائما فى سكره.

كُتب على أحد الشاهدين اسم أبيه "مينجزهى كونج" بينما حمل الآخر كلمات "زوجة كونج". فلم تُعرف أمه قط باسمها الشخصى. فتح "لين" السلة ورصّ الأطباق أمام القبرين وأشعل أعواد البخور وغرزهم الواحد تلو الآخر أمام الأطباق،ثم نثر حولهم القروش الورقية وقال هامسا:

-"يا أبى ويا أمى ، هذه النقود لكما. استمتعا بالطعام الذى حضّرته لكم شويو. ولترقدا فى راحة وسلام".

سُمعت طلقة بندقية باتجاه الشرق ، طار على أثرها زوجان من الطيور يزعقان ويهربان باتجاه البحيرة جنوبا ، وعوى كلب نابحا ، يبدو أن هناك من يصطاد البط والسمان فى الجوار .

لم يحرق "لين" النقود على غرار غيره من الفلاحين. كان ذهنه مشغولا بأمر آخر ، فهو غير مهتم بإرسال النقود إلى العالم الآخر. انحصر همّه بالتفكير فى "مانا". كان قد وعدها بأنه سيبدأ حال وصوله إلى بلدته بالسعى لتنفيذ إجراءات طلاقه من "شويو". وها هو ذا الآن وقد مضى على وصوله سبعة أيام ، ولم يتبق سوى ثلاثة أيام ، ومع هذا لم ينبث بعد بحرف. كلما تجمعت الكلمات على لسانه يبتلعها من جديد. كان يجد أن فتح موضوع الطلاق مرفوضا تماما ، فلن يرضى أى شخص ريفى بهذه الفكرة السقيمة. فهو يطلب الطلاق منها فقط لأنه لا يحبها ، عليه أن يستند إلى حجة مقنعة ، كأن يجد بها عيبا حقيقيا، وهذا ما لا يمكنه إثباته ، فالناس فى الريف لن يعيروا قدميها المربوطتين أدنى اهتمام ، ولن يضحكوا من منظرها. كما أنه هو نفسه لا يشعر بأى حرج منها طالما أنه فى الريف.

بعد أن عاد من زيارته للمقبرة أمضى اليوم بطوله يفكر فى الورطة التى سبّبها لنفسه. فلو سأله أحدا من أهل الريف عن رأيه "بشويو" كان عليه أن يقّر بأنها زوجة مثالية. لو عاش بقربها لفترات أطول لربما تغيرت مشاعره ولعاش كلاهما حياة هانئة كغيرهما من الأزواج الذين يتم زواجهما دون سابق معرفة. سيعتادان على بعضهما ويعيشان متآلفين. ولكن كيف له أن يعيش بالقرب من "شويو" إلا إذا استقال من الجيش واستقر بالقرية؟ وهذا أمر من الاستحالة التفكير به ، فأمامه مستقبله وعمله فى المدينة.

لربما أن الحل الأمثل بالنسبة له أن يتخذ زوجتين: "مانا" فى المدينة و"شويو" فى الريف.و لكن الاحتفاظ بامرأتين ممنوع ومرفوض. عليه أن يتوقف عن الخوض فى مثل

هذه الهواجس ولكن لسبب ما لم يستطع أن يمنع نفسه من تخيُّل الزوجة التى كان يتمناها لو لم يلتق "بمانا". لو أن بإمكانه انتشال نفسه من هذه الورطة التى أوقع نفسه بها!

قبل أن يغادر المنزل بيومين ، دخلت "شويو" إلى غرفته ليلا تحمل بيدها مخدتها. كان ممدا على السرير يتهيء للنوم. أصابته الدهشة وهو ينظر إليها وهى تُطرق برأسها حياء وتتأرجح فى مشيتها. تقدمت وجلست على طرف السرير ، تنهدت ثم سألته بخجل:

-"هل أستطيع أن أمضى الليلة معك؟".

احتار بما يجيب. لم يدر بخلده أبدا أنها ستصل إلى هذه الدرجة من الجرأة. واستمرت:

-"لا تظننى امرأة وقحة ، ولكن منذ ولادة هويا وأنت تمنعنى من مشاركتك الفراش. وما كنت لأشتكى لولا أننى أفكر أن أنجب منك ثانية ، ستكبر هويا قريبا وستكون عونا لى فى الحقل. ألا تريد أن ترزق بولد ؟".

التزم الصمت لفترة ثم قال:

-"كلا لست بحاجة لولد ، هويا تكفينى. سيحمل أولاد أخى الثلاثة اسم العائلة. وإن كانت هذه فكرة إقطاعية لا أحبذها".

-"ألم يخطر بذهنك أننا سنعجِّز يوما ولن نستطيع بعدها العمل فى الحقل؟ أرى أننا بحاجة لرجل يشدّ أزرنا ، فأنت غائب دائما وهذا البيت بحاجة لرجل".

-"لم نكبر بعد. كما أن هويا ستساعدنا ، لا تقلقى".

-"لا يمكن الاعتماد على الابنة فهى ستتزوج وتنتمى لشخص وعائلة أخرى".

لم يعقِّب على قولها وشعر باستغراب من رد فعله ، ثم خطر له خاطر فجائى. لو كانت "مانا" هى التى عرضت عليه الفكرة لربما كان سيضمها ويقبلها ويدللها قائلا:

"يا كنزى الصغير" أو "يا قطعة السكر". ولكنه مع "شـويو" لم يذكر أنه قبّلها إلا مرة واحدة فى الظلمة ، وكان هذا منذ فترة طويلة جدا . والآن أى موقف حميمى بينهما سيكون اصطناعيا ومرفوضا .

نهضت "شويو" من على السرير وسارت نحو الباب وقد ازداد كتفيها انحناء. بعد خروجها أطلق "لين" زفرة طويلة. انسابت من وراء الباب رائحة لفافة مشتعلة تساعد على طرد الناموس أضفت على الغرفة رائحة العشب المُرّ.

أدرك من حديثها مدى شعورها بالوحدة أثناء غيابه. لم يفطن أبدا أن لها أفكار وأحاسيس يجدر الاهتمام بها . وما هو أكثر إثارة للقلق يقينها من استمرار حياتهما الزوجية للأبد. أنها فعلا امرأة بسيطة وطيبة القلب. هذا الإدراك أثقل كاهله وأصابه بالحزن، وهكذا فشلت محاولته الأولى للسعى فى الحصول على الطلاق منها .



الفصل الثانى عشر

تساءلت "مانا" فيما بينها: لماذا يحجم "لين" عن رؤيتى؟ كانت تود أن تعلم رد فعل "شوبو" بعد أن فاتحها بموضوع الطلاق. كان قد مضى أسبوع على عودته من الريف ، وما زال يتهرب منها ويتعلل بكثرة العمل مساءً ويتمنع من السير معها كعادتهما . شعرت "مانا" بالقلق وحدّثت صديقتها "هيان" بمخاوفها ، فنصحتها بأن عليها مواجهته صراحة. فلتوجه له انذارا إذا ما استدعى الأمر وعلّقت:

-"بدون ضغط لا ينضح البئر بمخزونه من الزيت. عليك بالضغط عليه".

وهكذا توجهت "مانا" ، يوم الثلاثاء بعد العشاء ، نحو مكتب "لين" باحثة عنه. كان الظلام مخيما على أرجاء الغرفة كما لو أنها صالة للسينما ، لا ينيرها سوى مصباحا للقراءة. اعترتها الدهشة لاكتشافها أنه غير مشغول. كان يتمدد مسترخيا على كرسيه ، يبدو غافيا ، فاغر الفم وممددًا ساقيه فوق المكتب.كان هناك كتاب ثقيل على حجره. أطلقت "مانا" سعالاً مفتعلاً فصحا من إغفاءته مهزوزا. وضع الكتاب على المكتب ونهض على قدميه ومضى ليشعل جميع الأنوار فى الغرفة ، خيفة أن يشك العابرون بالممر بأمرهما ويُتهمًا بممارسة عمل غير أخلاقى.

بدا الارهاق على وجه "لين" واضحا وأخذ يتثاءب قلقا. توهج غضب "مانا" وقست تعابيرها . أشارت إلى الكتاب ، الذى كانت تعرفه تماما ، مذكرات المارشال جورجى زوكوف فى الحرب العالمية الثانية:"ذكريات وأفكار" ، وصرخت فى وجهه:

-"إذن فأنت مشغول حقا بدراسة الإستراتيجية الحربية لتتعلم كيف تصبح قائدا مهما . وهذا يعنى منتهى الطموح".

قطب وجهه منزعجا ونهرها قائلا:

-"كفى ، لا تسترسلى بهذا الأسلوب البذىء".

وبعد أن جلسا جابهته سائلة:

-"لمَ تتجنب اللقاء بى؟".

-"أنا...أنا...ماذا أقول لك؟".

ركّز نظراته عليها وأكمل:

-"فعلا ، فأنا أحاول الابتعاد عنك وتجنب اللقاء بك منذ عودتى. فأنا لا أدرى كيف سأخبرك بما جرى. بعد أن أمضيت عدة أيام بعيدا مُتأملا وضحت لى الرؤى".

اندهشت "مانا" لهدوء نبرات صوته. ظنت أنه ولابد قد توصل لوسيلة لإنهاء زواجه؛و لكنها ما لبثت أن انتابها الضيق بعد أن استرسل فى سرد عجزه عن مفاتحة زوجته فى موضوع الطلاق ، وبأنه لن يستطيع أن يتخلى عن ابنته الطفلة وهو يراها دائمة التعلّق بعنقه طوال فترة وجوده بالريف وهى تناديه "بابا.. بابا". إضافة أنه لم يجد أى سبب جوهرى يقنع به المحكمة المحلية لتساعده فى الحصول على الطلاق.فوجهة نظر الفلاحين فى الريف تختلف تماما عن أهل المدينة فى مثل هذه الأمور، ولكنه يشعر بالأسف العميق نحو "مانا" ، فهى ولا شك تستحق رجلا أفضل منه بكثير. خلاصة الأمر فهو يرى نفسه يائسا وعاجزا عن اتخاذ أى إجراء ، على الأقل فى الوقت الحاضر. وبعد أن أنهى أقواله سألته:

-"إذن وما العمل الآن؟ هل سيبقى حالنا على ما هو عليه؟".

بدا صوتها باردا خاليا من أى مشاعر. ورد عليها قائلا

-"أظن من الأفضل لنا قطع العلاقة نهائيا. فمهما بلغ حبنا من القوة لن تتاح لنا الفرصة. من الأفضل أن نتوقف قبل أن ننجرف بشكل لا تحمد عقباه. فلنفترق الآن كأصدقاء ونحافظ على هذه الصداقة".

قال هذا وهو يمسك بصدره كما لو أنه يعانى من حرقة فى القلب. أصابتها كلماته بالجنون ، لم تستطع حبس سيل دموعها التى انسابت تغرق خديّها وأخذت تهتز مرتجفة وهى تصرخ:

-"و أنا .. ما الذى سيؤول إليه حالى؟ من السهل عليك التعلل بكل هذا ، أن تنصت لصوت العقل، ولكن وبعد أن نقطع علاقتنا من أين لى برجل آخر؟ ألا تعلم بأن المستشفى بأثرها تنظر إلىّ كما لو أنى زوجتك الثانية؟ ألم تلحظ أن الرجال باتوا يتجنبوننى كما لو أننى امرأة متزوجة؟ أوه!! أين لى أن أخفى وجهى بعد الآن بعد أن تخليت عنى؟".

-"أرجوك إهدئى قليلا ولنعد التفكير".

-"كلا ، كلا لا أريد أن أعيد التفكير أبدا. كل ما بإمكانك فعله هو التفكير وإعادة التفكير".

نهضت وانطلقت نحو الباب وهى تقفل أذنيها بكفيها وصُفق الباب الأخضر ليغلق وراءها.

بقدر ما أزعجته كلماتها أسعده رد فعلها. وهذا ما جعله يعيد النظر فى اقتراحه. لم يكن متصورا أن "مانا" تكنّ له كل هذا الحب. والآن بدا واضحا أن عليهما الاستمرار والتمسك بحبهما. إلا اذا كانت "مانا" ترضى لنفسها أن تبقى عازبة إلى الأبد دون أن تبحث لنفسها عن زوج، وهذا وضع غير سليم ، فالمفروض أن يتزوج الناس جميعا ، حتى المتخلفين عقليا والمصابين بالشلل يجب ألا يستثنوا. أليس الزواج واجب إنسانى لإنجاب وتربية الأولاد؟.

لو أن "مانا" انتقلت إلى مستشفى آخر سيعاملها الموظفون هناك كما يعاملون غيرها من النساء ، وإن كان هذا أمر بعيد الاحتمال ، فهناك فائض من الممرضات. ففى السنوات الماضية انتقلت الآلاف من النساء الشابات من أماكن عملهن. كما ستُسرح الكثيرات منهن من الجيش فى السنين القادمة، وعادة ما ينظر المدنيون

للمُسرحات من الجيش نظرة قاسية كما لو كن نساء فاسدات يعانين من مشاكل فى حياتهن السابقة، وينظر إليهن الرجال عامة كما لو كنَّ ذخيرة جيش مستهلكة.

بعد أسبوع التقى "لين" "بمانا" بعد أن أقّر لنفسه بعدم جدوى اقتراحه ، وقدم لها اعتذاره لأنه ما كان عليه أن يحكم على علاقتهما من وجهة نظره فقط. وأكد لها بأنه ، وإن كان ممزقا بينها وبين عائلته ، إلا أنه سيعمل جهده ليطلق "شويو" فى المستقبل. كل ما يلزمه المزيد من الانتظار والتريث ، فليس بيده استعجال الأمور. ووافقت "مانا" على الانتظار بصبر.

قبل الإجازة السنوية وعد "لين" "مانا" أنه ، هذه المرة بالذات ، سيفاتح "شويو" بموضوع الطلاق، وكى يثبت لها عن عزمه أبرز لها رسالة تزكية صادرة من القسم السياسى فى المستشفى كان "ران سو" قد كتبها له بشكل سرى ، واستحلفها "لين" أن لا تُفشى بسر هذه الرسالة لأى مخلوق كان.

عاود الأمل "مانا" وبدت فى غياب "لين" فى روح معنوية عالية. مما دعا زميلاتها للتساؤل عن سر ابتسامتها وإشراقها المستمر. لم ترض أن تفشى بالحقيقة وأخذت تسخر منهن بقولها:

-"هل شعور الانسان بالسعادة جريمة؟".

وفى الليل كانت كلما عصاها النوم تسرح بفكرها حول ترتيبات حفل زواجهما وتتساءل: تُرى كم ستبلغ مصاريف الفرح؟ هل سيدفعان لشراء مذياع ببطارية أكثر من مائة وعشرين ينا؟ ما شكل ثياب النوم التى ستشتريها؟ ما نوع خزانة الثياب وطاولة الزينة التى بإمكانها اقتنائها؟.

قررت أن عليها أن تشترى "للين" عجلة من نوع "الحمامة الطائرة" ، كما أنه بحاجة لزوج من الأحذية الجلدية وكذلك سترة جلدية ، فهى حاليا زى سائد. تمنت لو أنهما اقتنيا ساعة حائط من النوع الذى يبرز منها كتكوتا متحركا ، يحرك رأسه إلى أعلى وإلى أسفل بشكل متواصل كما لو أنه يلتقط الحب. كما تأمل بأن يُخصص لهما

الجيش شقة لائقة. يا حبذا لو كانت ثلاث غرف نوم ، يخصصا غرفة للمعيشة يزيناها بهذه الساعة. لكم تحلم بالأمومة وأن تعيش ببيت عامر بالأولاد.

فى بعد ظهر يوم من الأيام شاهدت "مانا" فى مخزن المستشفى أكياس لحف من الحرير الأصفر اللامع معروضة للبيع بسعر منخفض. كانوا مطرزين بزخارف لمخلوقات سماوية ، إما على شكل تنين وقد خرجت ألسنة اللهب من فمه أو كطائر الفينيق المقدس يعانق لؤلؤة ضخمة. طُرزت الزاوية اليسرى من أعلى الغطاء بخيوط لامعة بكلمات تقول:"ليلة لا تنسى".

لم تستطع "مانا" أن تقاوم رغبتها فاشترت زوجين من الأغطية دفعت بهما أربعين ينا ، زيادة عن نصف راتبها الشهرى، ولكنها كانت سعيدة بشرائهما حتى أن البائعة لاحظت فرحتها وسألتها:

-"من الذى سيتزوج؟".

ردت:

-"صديقة لى من مدينة هاريون".

إحمر وجهها خجلا وأسرعت فى مغادرة المخزن وهى تحمل تحت إبطها اللفة المغلفة بورق السلوفان.

ظلت لعدة أيام وكلما انفردت فى الغرفة بنفسها تخرج كيسى اللحاف من الحقيبة وتمدّهما على السرير وهى تتأمل التنين وطير الفينيق المطرزين عليهما. كَثُرت أحلامها فى هذه الفترة وكان معظمها ملئ بالنباتات والحيوانات المائية وأزهار اللوتس. اعتبرت "مانا" أن هذه الأحلام إيحاء بنجاح مهمة "لين". فى بعض الأحيان كانت تعنف نفسها لانسياقها وراء الأوهام، ولكنها لم تتمكن من كبح جماح عواطفها. كان قلبها مفعمًا بالأمل وعيناها ساهمتان.

عاد "لين" من الريف منهكا وأخبر "مانا" أنه ، هذه المرة ، تحدث مع زوجته بشأن الطلاق. ولكنه لم يوفق فى مهمته ، لم تكن المعارضة من "شويو" بل من أخيها

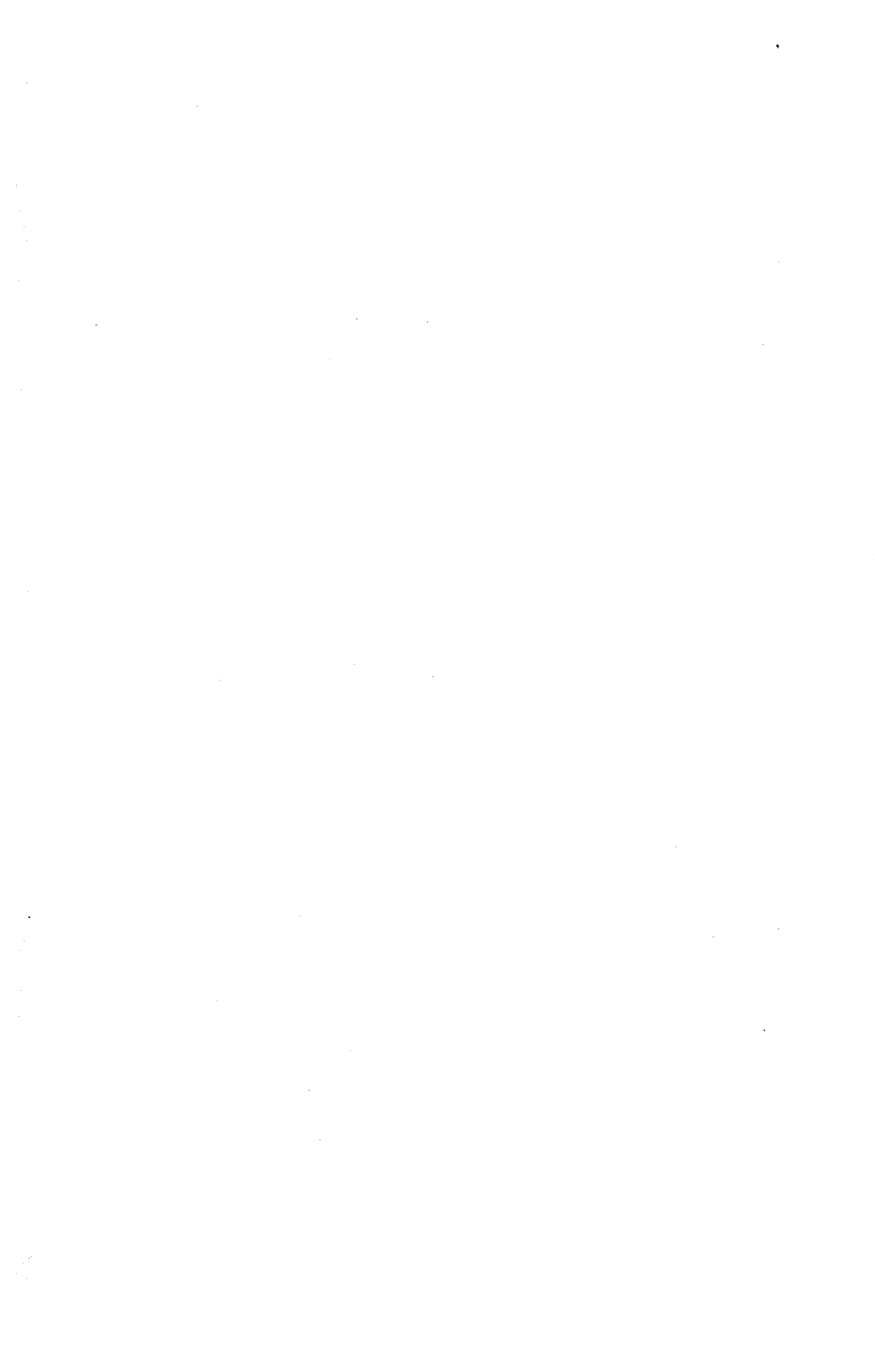
"بنشنج" الذى فقد صوابه وهدد بالانتقام إذا ما تم الطلاق. كما أنه استطاع أن يوغر قلب أهالى القرية ويقلبهم ضد "لين" ناشرا إشاعة اتخاذه خليلة فى مدينة "موجى". أخبرها أنه غضب لهذا الفعل الشائن وأنه أبرز لكل من "بنشنج" ولسكرتير الحزب ، الورقة الرسمية التى تدعم طلبه للطلاق. فلم يعرها "بنشنج" اهتماما وأنذر أنه سيذهب بنفسه إلى مدينة "موجى" ويتحدث مع القادة شخصيا ليفهم منهم لمَ يشجعون رجلا منهم على التخلى عن زوجته ليتزوج من خليلته؟ وهذا ما بعث الذعر فى قلب "لين" ، فلو حضر "بنشنج" فعلا إلى المستشفى سيفضح تورط صديقه "ران سو" فى إصدار التوصية. وهذا سيتسبب فى فضيحة لا يحمد عقباها. مما دعا "لين" أن يتخلى عن ضغوطه للطلاق ليهدئ ثائرة زوج أخته.

وبالرغم من انكسار قلبه الواضح إلا أن "مانا" شكّت فى صدق روايته ، لا تستطيع نعته بالكذب ، فهو لم يكذب عليها قط. ولكنها شعرت بأن روايته لا تعدم بعضا من المبالغة. لربما أنه ينوى التراجع عن تنفيذ وعده لها ، ولكن "لين" أشار إلى مشكلة جديدة لم تخطر على بالها تثبت عزمه على المضى فى قضية الطلاق ، إذ قال:

-"أنت تعلمين أننا سنحصل على ترقية فى وظيفتينا آخر هذه السنة. فلو جاء بنشنج وأثار فضيحة سيحول دون حصولنا على الترقيات المنتظرة. لن يحتاج أن يأتى بشخصه ، يكفى أن يبعث برسالة إلى القادة حتى يهدم كل أمل أو فرصة لنا. ألست معى فى هذا؟".

صمتت "مانا" ولم تعطه أى رد جواب . ازداد شحوب وجهها. كان كلامه صحيحا ، فالجميع يتكلمون بشكل حماسى عن الترقيات الآتية. كان هذا بعد أن أعلن الضابط المفوض "ذانك" فى أخر اجتماع ، عن ترقية ستشمل الموظفين جميعاً.

الجزء الثانى



الفصل الأول

فى ربيع عام ١٩٧٢ تلقى "لين كونج" رسالة من ابن عمه "ليانج مينج" وفوجئ بها ، فلم يكن التراسل بينهما منتظما. نشأ "ليانج مينج" فى مقاطعة "يوجيا" وأتم دراسة الإعدادية مع "لين" فى نفس المدرسة. ويقيم الآن فى مدينة "هيجانج" المشهورة بمناجم الفحم التى تقع على بعد ثمانين ميلا غربى "موجى".

طلب "ليانج" من "لين" أن يساعده فى البحث عن فتاة تعمل فى المستشفى الحربى لأنه يرغب بالزواج من طبيبة أو ممرضة. كانت زوجته قد توفت منذ سنتين تاركة له ثلاثة أطفال. وبعد أن أمضى فترة حزن طويلة ،ها هو ذا يجد نفسه مستعدا لمواصلة الحياة. فهو بحاجة لامرأة تلم شمل العائلة. وأضاف فى رسالته بأنه حاول فى الأشهر الماضية أن يبحث عن فتاة مناسبة فى مدينة "هيجانج" ولم يوفق. اعترضت البعض منهن من كثرة أفراد العائلة التى عليها القيام بخدمتها. ووجد الاخريات مبتذلات وغير لائقات برجل مثقف مثله. بعثت رسالة "ليانج مينج" بشعاع أمل فى نفس "لين" ، ووجد بها مخرجا من الفخ الذى وجد نفسه محاصرا به. كان "لين" قد عاد إلى قريته فى الصيف الماضى وأثار ثانية موضوع الطلاق. وافقت "شوبو" فى أول الأمر ، ولكن حينما وصلا إلى المحكمة فى مدينة "يوجيا" لم تتمكن من منع سيل دموعها أمام القاضى. كما أنها فى اللحظة الأخيرة تراجعت عن موافقتها على الطلاق، وهكذا رُفض طلب "لين" ونال حظه من التحقير والإهانة. كان القاضى عنيفا وحازما ونعته بالاستهتار وقلة الحياء. وعند عودته إلى المستشفى أوجز "لمانا" رفض المحكمة لطلبه. مما بعث اليأس وخيبة الأمل فى نفسها، وأعربت له عن شكها فى صدق مساعيه. أرادت أن يكون أكثر حسما وأن يضع زمنا محددا لإنهاء إجراءات الطلاق. لم يرض "لين" إلزام نفسه بزمن

محدد ووعدها بالسعى من جديد فى السنة القادمة. شعر "لين" بالتعب والإرهاق ولم يجد مفرا من الاستسلام والعودة إلى ما كان عليه من هدوء مكثرا من قراءة الروايات والمجلات حين تسنح له الفرصة. ازداد قصر نظر عينيه وبات ملزمًا بتبديل نظارته بأخرى أكثف زجاجا ، وهذا ما جعله يبدو أكثر حكمة ووقارا. على عكس "مانا" فقد ازدادت حدة وثورة حيث. كُثر اصطدامها بالآخرين واستغلت وظيفتها كرئيسة على مجموعة من الممرضات الشابات ؛ فأخذت تتحكم وتقسو فى معاملتهن وهى تأمرهن بالقيام بأعمالهن بشكل أفضل ، مثل إطعام المرضى ، تبديل الملآت ، مسح الأراضى ، وتنظيف قواعد الأسرة. وكانت إذا ما نظرت إليها زوجات الأطباء شذرا ترد إليهن نظرات غاضبة تنذر بافتعال معركة، وحين كانت تتمشى مع "لين" فى المساء كانت تغضب وتمضى مبتعدة إذا ما توقف للحديث مع زميل ، كما لو أنها لا تعرفه وصار الناس من وراء ظهرها يصفونها بالمثال الحى للعانس. لاحظ "لين" هذا التبدل الذى ألم به، ولم يجد من وسيلة لمساعدتها سوى الإسراع فى الحصول على الطلاق فى الصيف القادم، وإن لم يكن واثقا من نجاحه فى هذه المهمة. والآن هاهى ذى رسالة ابن عمه تجد له مخرجًا. لربما استطاع أن يجد "لمانا" خطيبا من خارج الجيش بعد أن ضاعت أمامها فرصة العثور على واحد من من أعضاءه فالكل يعتبر "مانا" خطيبة له ، فلا يحاول أحد منهم التقدم إليها. يجب أن لا تستمر فى انتظاره إلى الأبد. كان ينتابه شعورًا داخليًا بأن إجراءات الطلاق ستمتد لسنوات وسنوات ، وعلى الأرجح لن تنتهى أبدا.

سأل نفسه : هل ستوافق على الارتباط بغيره ، والتخلى عنه؟. شعر بغضة فى الحلق وانقباض فى الصدر ، مع اعترافه لنفسه بأن حبه وولهه "لمانا" لم يعد قويا كما كان فى السابق ، ولكن كما يبدو ارتباطه بها ظل شديدا. ما زال هناك أمل ضعيف من احتمال زواجهما فى يوم ما؛ فهى المرأة الوحيدة التى شعر نحوها بكل هذا الحب العميق. هل سيمكنه الاستغناء عنها؟ وكيف سيكون شعوره لو أنها تزوجت ابن عمه وتصادف والتقى بها؟ ألن يلوم نفسه لأنه عرفها به؟ أين سيجد امرأة أخرى

إذا ما تخلت عنه "مانا"؟. ألمته هذه الأسئلة لبضعة أيام ، ثم قرر أن يعرف ابن عمه "بمانا". لم يرد أن يفوت الفرصة على "مانا" ، فهى تستحق رجلا سيوفر لها فرصة فى الحياة أفضل منه. كان القرار مؤلمًا له ولكنه ضرورى؛ إذا ما استمرا على هذا المنوال سيتأثر عملهما ولربما سيطردا من وظيفتيهما. فهما متهمان بانغماسهما فى علاقة غير شرعية فى نظر العديد من الناس، وهذا ما سيفسد حياتهما إلى الأبد. وما عليه الآن إلا أن يتخلص من هذه الورطة. وهكذا ، وفيما كانا يتمشيان وراء الجناح الطبى بادر "مانا" قائلا: -"انصتى لى ، لا أود إزعاجك ، ولكنى وجدت لك فرصة للتعرف على شخص يرغب فى الزواج".

تكدر وجه "مانا" وردت غاضبة:

-"إياك أن تفتح هذا الموضوع من جديد. فأنا أعلم أنك مللت منى".

-"لا تتهجمى علىّ هكذا. فأنا جاد فيما أقول".

-"أعلم تماما ، تود أن تتخلص منى. فأنت خائف على وظيفتك".

-"كفى. أنت على علم بمشاعرى نحوك، ولكن كما ترين لن يمكننا الزواج قريبا".

-"و ما الجديد؟ باستطاعتى الانتظار".

-"لا يمكن لنا أن نخمن إلى متى سيطول هذا الانتظار".

-"لا يهمنى".

-"أرجوكِ اسمعينى".

توقفت عن السير ، ونظرت إلى عينيه. كان الناموس يحوم حولهما ، وبدت أوراق أشجار الحور السميكة لامعة تحت أشعة الشمس الغاربة ، يتلاعب بها نسيم عليل. انطلق صوت كلب عاويا وهو يثب وراء السور الحديدى الذى يحيط بحظيرته، تجمع حفنة من الفتيان والفتيات يراقبون الحيوان وهو يصارع دون جدوى للخروج.

أكمل "لين" حديثه:

-"استلمت مؤخرا رسالة من قريب لى يطلب فيها أن أبحث له عن فتاة بالمستشفى التى أعمل بها. هذا لا يعنى التزامك بالخروج معه، ولكن خطر لى لربما هى فرصة جيدة لتجدى خطيبا من مدينة أخرى لا علم له بأمرنا. وليس المفروض أن يكون منتميا للجيش".

توقف "لين" ليلتقط أنفاسه ، فردت "مانا" وقد لَوت شفتيها وانقلب وجهها:

-"راودتنى هذه الفكرة مئات المرات، ولكن الأمر ليس بالسهولة التى تتصورها".

فاجأه ردها. إذن فقد خطر لها أن تزيحه عن طريقها ورد مندهشا:

-"كيف راودتك تلك الفكرة؟".

-"فلنفترض أننى رضيت بالزواج من رجل من مدينة أخرى. كيف لى أن أمضى معه دون أن أسرح من عملى؟ وإن استمررت فى عملى بالجيش هذا يعنى أننا سنعيش منفصلين ، وهذا وضع لا أرضاه لنفسى".

-"لربما استطاع الرجل الانتقال إلى موجى".

-"على الأرجح سيتمكن من هذا، ولكن ما الذى سيحل بنا؟ وما هو شعورك وأنت ترانى زوجة لرجل آخر؟ ما هو شعورك وأنت تلتقى بى كل يوم ؟ ألن تصل إلى سمع الرجل الآخر أخبار علاقتنا ؟ وعندها ما الذى سيصيب الزواج؟ يا إله السموات! يكفى أن أفكر بالأمر لأشعر بألم فى الرأس وينتابنى اليأس والإحباط وأفقد كل أمل".

أدهشه تفسيرها الصحيح للوضع. لم يتبادر إلى ذهنه قط أن يجول فى كل تلك التفاصيل الدقيقة، ووجد أن وضعها معقدا حقا. وبعد صمت طويل قال:

-"كفاك قلقا ولا تهتمى بمشاعرى. افعلى ما هو خير لك".

-"ما العمل؟".

-"ابدئى البحث عن رجل فى مدينة أخرى".

- "أين؟".

-"فى أى مكان. لديك الآن مثلا ابن عمى ليانج مينج من هيجانج. ابدئى به وسيرى خطوة خطوة. ولا تحملى الهم مسبقا. هناك دائما مخرج لكل مشكلة".

-"حسنا. حدثنى عن ابن عمك هذا".

قالت هذا وهى ترفع رأسها وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة شاحبة. بدأ "لين" بوصف "ليانج مينج". فهو رجل فى الثامنة والثلاثين من عمره ، مدرس فى مدرسة إعدادية. مربوع القامة ، متعافى وذكى. ويمكن الاعتماد عليه ولكنه أرمل ولديه ثلاثة أولاد عليها الاعتناء بهم.

أخذ "لين" رسالة ابن عمه من جيب سرواله وقدمه لها قائلا:

-"اقرئى ما كتب واعيدى النظر فيما يقول ، ولا تستعجلى فى اتخاذ قرارك. إذا أردت مقابلته سيسعدنى مساعدتك".

ثم أضاف وهو يشير إلى غلاف الرسالة:

-"خطه جميل ، أليس كذلك؟".

-"نعم يبدو واضحا أنه خط أستاذ فى مدرسة".

-"اعلمينى بقرارك بعد أن تعيدى التفكير".

-"سأفعل".

بعد مرور أسبوع ردت "مانا" بأن كثرة أفراد أسرة "ليانج مينج" لا تقلقها ، فهى تحب الأطفال، ولكنها ترغب فى التعرف على الرجل شخصيا لتحكم عليه. أبدى "لين" استعداده للمساعدة ولكنه لفت نظرها كى لا تعقد أمالا كبيرة. فعلى الأرجح أنها لن تعجب "بليانج مينج".

وبدون تأخير بعث "لين" برسالة لابن عمه وصف بها "مانا" بأنها عرض رائع. فهى امرأة صادقة ، طيبة القلب ، ولم يسبق لها الزواج ، وليس لها أهل. كما أنها تتميز بأخلاق سامية ، جدية ودؤوبة فى عملها ، واضحة فى تصرفاتها. باختصار فهى قطعا امرأة نادرة لن يجد لها مثيلا بين مئات النساء.

وصل رد "ليانج مينج" بعد أسبوعين يقول فيه أنه سيحضر إلى "موجى" عند إنتهاء العام الدراسى فى "هيجانج". وهى فرصة لأنه ينوى الانتساب إلى صف أُعلن عنه لدراسة الحفر على الخشب فى "موجى" وسيسعده الالتقاء "بمانا". وكرر شكره العميق "للين" لدرجة أن الكلمات تخونه لاهتمامه بالبحث له عن زوجة ملائمة.

وهكذا خطط "لين" ليتم التعارف فى شهر يونية.

الفصل الثانى

وصل "ليانج مينج" إلى "موجى" تبعا للخطة المرسومة. اتصل مكتب البريد "بلين" وأخبره عن وصول ابن عمه. ومضى "لين" إلى المدخل الأمامى للمستشفى للقائه. طالت المصافحة بين الرجلين لما يزيد عن عشر ثوان. ثم مضيا فى طريقهما بعد أن لوحا للجندى الذى يقف على بوابة الحراسة. سأل "لين" ابن عمه:

-"هل كانت رحلتك مريحة؟".

-"نعم. ولكن الازدحام فى القطار كان شديدا ، حتى إنى لم أجد مكانا للجلوس".

-"أين ستقيم فى المدينة؟".

-"فى معهد الفنون الجميلة".

كانا يتبادلان النظرات طوال الطريق. ذكرت لين ابتسامة "ليانج مينج" بمغامرتهما سويا على نهر "سانجهوا". كان هذا منذ عشرين سنة خلت. كان ابن عمه سباحا ماهرا يجيد السباحة على ظهره ، على عكس "لين" الذى لم يجرئ على السباحة فى المجرى العميق وآثر اللعب فى المياه الضحلة. مضى العمر كما لو أنه حلم ، عشرون سنة مضت فى لمح البصر. وهذا واضح على ابن عمه؛ يبدو الآن كصورة مجسدة لرجل فى منتصف العمر ، فرَّ منه شبابه.

قال "ليانج" بحميمة وصدق:

-"أنت تعمل فى مكان رائع يا أخى الكبير. إنه فى قمة النظافة ، كما يخيم النظام على كل شىء".

ابتسم "لين" وقد أذهله التعليق. ثم قال لنفسه:

-"طبعا هذا صحيح.. مقارنة بمناجم الفحم".

قاد ابن عمه نحو أجنحة النوم ليأخذه إلى غرفته. ولكنه وجد لدهشته أن زميله فى الغرفة "جين تيان" يقلى السمك مع خطيبته على موقد غاز. كانت الساعة حوالى الثالثة فقرر أن يصطحب "ليانج مينج" مباشرة إلى غرفة "مانا". كان يعلم أنها تعمل فى الفترة المسائية هذه الأيام ، وأنها صحت من نومها الآن، ولكنه شعر بالضيق لأن الارهاق كان واضحا على ابن عمه. كان بوده أن يجد له مكانا هادئا يستريح ويغتسل فيه قبل لقائه "بمانا". أمر آخر سبب له الغم والقلق. كان على "لين" أن يرافقهما ويبقى معهما اذا تقابلا فى المستشفى وإلا ثارت الأقاويل وفسر لقاء "مانا" برجل غريب بما لا تحمد عقباه.

وجد "مانا" فى غرفتها وبصحبتها إحدى زميلاتها التى ما تزال نائمة فى الغرفة. وهكذا مضوا جميعا يبحثوا عن مكان هادئ يتبادلون الحديث لبعض الوقت. فى الطريق اشترى "لين" ثلاث زجاجات مياه غازية من كشك صغير لبيع المرطبات على مدخل مخزن البضائع. وجدوا أمام المبنى الطبى طاولة رخامية غير مشغولة مظللة بدالية عنب. جلسوا حولها وأخذوا فى شرب زجاجاتهم الغازية نوع "نبع النمر". كان الهواء ثقيلا مشبعا برائحة الكافور ، والدبابير تطير وتلف وهى حولهم. كان هناك يرقة ممتلئة معلقة بخيط طويل من الحرير تتلاطم مع نفسها تحاول الوصول إلى أعلى الدالية ، منجذبة نحو أشعة الشمس التى تتسلل خلال أوراق العنب. سار بعض الأطباء فى لباسهم الأبيض يتجولون بين الممرات وقد انتفخت جيوبهم إما بصحف مطوية أو بسماعاتهم الطبية ، وظهرت ممرضتان تتساعدان فى دفع عربة محملة بأنابيب الأكسجين الطويلة التى بدت من بعيد كالمدافع. علا صوتاهما وهما تداعبان بعضهما البعض وتصوبان نظرات مليئة بالشك والريبة نحو "مانا".

بدا الاضطراب واضحا على "ليانج مينج" وهو يخبرهما بأنه مضطر لالغاء دروس الحفر على الخشب والعودة إلى منزله خلال يومين. فقد أصيبت ابنته بالتهاب فى

االسحايا. زال الخطر عنها مؤخرا ولكنها ما زالت فى المستشفى. كان عليه أن يهاتفهم فى المنزل ليطمئن عليها، وهكذا اكتشفت "مانا" أنه تحمل مشقة السفر وترك ابنته مريضة ليتعرف عليها، وتساءلت إن كان مربوع القامة كما ذكر لين. ففى الحقيقة بدا رجلاً قصيراً هزيلاً ، أقرب إلى القبح. كما بدا أكبر من سنه الحقيقى. يتراجع خط الشعر عنده إلى ما وراء قمة رأسه مما يزيد من بروز جبهته اللامعة. ويستطيل حاجباه العريضان والسميكان حتى يصلا إلى طرفى عينيه الغائرتين. يظهر نتوء فمه البارز تحت أنفه المعقوف وتطوق الشفة السفلى العليا. كان يميل برأسه قليلا إلى الجهة اليمنى حين يستغرق فى الحديث كما لو أنه كان يشكو من ألم فى رقبته.

نهض "ليانج مينج" من على كرسيه وقطف عنقودا من العنب الأخضر من العريشة المنتصبة فوق رأسه وتساءل:

-"ما اسم هذا النوع من العنب؟".

امتعض "لين" وأجاب بفتور:

-"ليس عندى أى فكرة".

استغربت "مانا" لجوابه المقتضب. حين وصلا إلى جناح نومها كان "لين" مرحا مبتهجا. لِم يبدو الآن متكدرا؟ ردت على الضيف الذى كان على عكس "لين" منبسط الأسارير:

-"أنا أيضا لا علم لى".

وضع "ليانج مينج" حبات الحصرم فى فمه وبدأ فى مضغها ليبصقها فى الحال على الأرض وصرخ قائلا:

-"ياه لم تستو بعد. فهى ما زالت حامضة. لدينا الكثير من عناقيد العنب فى حقلنا".

سألته "مانا":

-"حقا؟ وهل هى لذيذة الطعم؟".

-"طبعا ، فمذاقهم حلو والحبة كبيرة".

وبالرغم من أنها لاحظت تغضن وجه "لين" إلا أنها استمرت وتساءلت:

-"و ما نوعه؟".

-"أكثر الموجود من نوع عبير الورد وحلمة النعجة. كان الموسم هذه السنة وافراً. فقد مالت العرائش من ثقل حملها بالعناقيد. وكان علىّ إسنادهم بعصى من الخشب. كل هذا لأننا قمنا بدفن بعض الحيوانات النافقة عند جذور عرائش العنب فى الربيع".

-"ما نوع الحيوانات التى قمتم بدفنها؟".

-"بعض الدواجن النافقة من دجاج وبط ، وكلب مسعور كان يمتلكه جيران لنا. عض الكلب إحدى التلميذات فأطلقت الشرطة النار عليه .

ثم التف إلى "لين" وسأله:

-"أخى الكبير بودى أن أستشيرك استشارة طبية. هل من السليم أن نأكل عنبًا تضخمت حباته بعد أن سُمِّدَ برفات كلب مسعور؟".

رد "لين" بايجاز وبنبرة جافة:

- لا علم لِي طبيًّا .

لم يكمل جملته ، قطعها:

-"ما هذا السؤال؟ أنه لأمر بديهى .غير مضر".

انجذبت "مانا" لحديث "ليانج مينج" عن العنب. يبدو أنه رجل محب لأسرته. فها هو ذا يربى الدواجن مع أنه رجل مثقف ومتعلم. عليها أن تكتشف المزيد عنه.

اقترح "لين" أن يلتقى ابن عمه و"مانا" فى اليوم التالى خارج المستشفى ، فالمكان غير ملائم ، ليتبادلا الحديث على انفراد فى مكان ما من المدينة. وهكذا اتفقا على اللقاء

فى حديقة النصر. لربما كان المنظر على ضفاف نهر "سونجهوا" أكثر جمالا ولكن "لين" خاف ألا يتقابلا لشدة الزحام على ضفة النهر.

تقع حديقة النصر على الحافة الجنوبية للمدينة. بنيت سنة ١٩٤٦ تخليدا لذكرى الجنود الروس الذين قُتلوا وهم يحاربون الجيش اليابانى فى "مانشوريا" فى أواخر الحرب العالمية الثانية. انتصب تمثال ضخم على نصب رخامى مربع القاعدة لجندى روسى بكامل عدته وعتاده.

على المدخل الرئيسى للحديقة حطم الحرس الأحمر فى مستهل الثورة الثقافية خوذة الجندى وبندقيته وجزء من مدفعه الرشاش.و لكن مؤخرا وُضع سياجا حول التمثال لاعادة ترميمه. على الأرض أمام التمثال كُتب شعار ما زال بالإمكان قراءته:

-"فلتسقط الشيوعية الروسية المتعصبة".

هذه الكلمات كانت قد كشطت ولكن ظل هناك أثر غامق محفورا ومقروءًا على الأسمنت الرمادى.

وصلت "مانا" فى تمام الساعة العاشرة إلى الحديقة. بدت بحيرة النصر مخضرة اللون من انعكاس أغصان أشجار الصفصاف المتدلية حولها. كان هناك شابان على دراجتيهما يقهقهان ضاحكين. كُتب على رفرفى الدراجتين"يعيش الزعيم". كانت كلمة "ماو" ممحية. قرب حافة البحيرة تجمعت أسراب البط الأبيض والأوز المتوحش. مالت "مانا" إلى حافة السور الحجرى للبحيرة وأخذت تتأمل أسماك الشبوط تتسلل تحت الماء. معظمهم بطول قدم. كانت تلبس قميصا من القطن الأصفر. بدت فيه مع «الجوب» مشرقة وأصغر سنا وأكثر إثارة. تعرقت بعض الشىء لأنها مشت مسافة طويلة ، ولذا تحامت تحت ظل صفصافة تغطى ثلثى الجسر تقريبا. انطلقت نسمة فجائية حركت بعض من أغلفة السكاكر المرمية ، كما رفرف كيس بنى بلاستيكى على براعم شجرة كرز.

تذكرت "مانا" أنها التقت فى نفس هذا المكان بحبيبها الأول "ماى دونج".كان هذا منذ ثمانى سنوات مضت. لكم يمضى الوقت سريعا. اختلفت الحديقة عما كانت عليه

سابقا. أصبحت أشبه بحديقة للحيوانات ، صاخبة ، مزدحمة ، ملأى بمئات من الحيوانات المتنوعة داخل أقفاص حديدية. على الضفة الأخرى من البحيرة ، ومن وراء صفوف من الأشجار ، انتصبت العديد من البنايات الجديدة. شعرت "مانا" بانقباض فى الصدر لذكرى "ماى دونج". فعلى ذات هذا الجسر كان "ماى" يقوم بإطعام حبوب الأرز للبط البرى. تساءلت:

-"تُرى أين هو الآن؟ فهو رجل بدون قلب. هل أحب ابنة عمه حقا؟ كيف يتدبر أمور معاشه؟ هل ما زال فى شنغهاى؟ وهل أخطر على باله بين الحين والآخر؟".

قطع سيل أفكارها صوت ذكورى يحييها من وراء ظهرها قائلا:

-"مرحبا أيتها الرفيقة مانا يو".

ظهر "ليانج مينج" حاملا تحت ابطه مظروفا كبيرا وأخذ يلوح لها. ردت له التحية ولكنها لم تتحرك من مكانها. تقدم نحوها وصافحها مُسلما. سألته "مانا":

-"كيف حال ابنتك؟".

-"تحسنت كثيرا وعادت البارحة إلى البيت. ترافقها خالتها ، و طمأننا الطبيب بأنها لن تنتكس".

-"هذه أخبار جيدة. هل هى ابنتك البكر؟".

-"كلا ، هى الصغرى. لها أخوان ، واحد فى الحادية عشرة من عمره والآخر فى التاسعة وهى فى السابعة".

سارا وتوغلا إلى داخل الحديقة. قبل أن يغادرا الجسر توقف "ليانج مينج" ، نظف حلقه وبصق فى ماء البحيرة، وفى الحال برزت سمكة شبوط طولها قدمين وتقدمت نحو بقعة البصاق وابتلعتها. سجلت "مانا" بذهنها دون أن تعلق بأن هذا عمل شائن لا يمكن "للين" أن يقدم على فعله. اتجها يسارا ومشيا على الضفة باتجاه عقارب الساعة. حدثها بالمزايا التى أسهب "لين" بوصفه عنها وعن مدى إعجابه بها كرئيسة

للممرضات. ثم وبدون تحضير انتقل للحديث عن نفسه. تخرج فى مدينة "هارين" من كلية المعلمين سنة ١٩٦٥ وتخصص فى الفنون الجميلة. كان لذكر سنة التخرج معنى ، أن دراسته لم تتوقف بسبب الثورة الثقافية. لسوء حظه توفت زوجته منذ سنتين. كانا فى غاية الانسجام ، حتى أن الناس كانوا يلقبونهما بزوج من البط اليوسفى. أمضيا سويا سنوات هادئة مليئة بالحب. لا يذكر أنهما تنازعا أو تخاصما. يتميز أولادهما بحسن السلوك والحساسية ، ويُنظر للوالدين كمثال يحتذى. ومع أنه فى منتصف العمر إلا أنه يتمتع بصحة جيدة. لا يشكو إلا من نزلات برد أحيانا فى الشتاء عندما يثقل الجو المحمل بغبار الفحم "بهيجان". راتبه الشهرى اثنتا وسبعون ينا. وبما أنه غير مثقل بالديون فأموره المالية مُيسرة.

توجست "مانا" خيفة من أن يستفسر عن رتبتها فى الجيش وراتبها الشهرى. فلو أنه فعل فهذا يعنى قطع العلاقة فى الحال؛ فهى تكره هذا السلوك. ولكنه كان من اللباقة بمكان أنه لم يتطرق لهذا الموضوع. بل على العكس أنتقل للحديث عن وضعه وعمله كمدرس، وحين وصلا إلى الضفة المقابلة ظهر على اليسار قبة بناء أسمنتى ، حُجب جزء منه بتيجان أشجار الحور. كان هذا مبنى قصر حديقة الأطفال. ارتصت على جانبه محفات تحمل أعلام حلف وارسو وفولكا وأعلام حمراء اللون. ويحيط به سياج من أشجار قصيرة شائكة تحمل ثماراً حمراء. وصل إلى سمعهما صوت غناء الأطفال بمصاحبة الأورغ.

جلس "ليانج مينج" و"مانا" على مقعد طويل أمام البحيرة. تقشر دهانه الأزرق فى أماكن عدة وتلخلخ ظهره. على يسارهما كان هناك كشك صغير لبيع المياه الغازية امتلئ بقطع الثلج. وضع "ليانج مينج" الظرف على حجره وسحب منه بعض الرسومات وقال "لمانا" وهو يعرضهم عليها:

-"هذه بعض من أعمالى. أتمنى أن تنال إعجابك".

لاحظت "مانا" أن إصبع يده مليئة بالنتوءات. نظرت إلى اللوحات ، كانت كلها تدور حول معركة قام بها الفيتناميون لطرد الأمريكان الغزاة. فى إحدى اللوحات وقع رجلان

من الأعداء الزنوج وضابط أبيض فى الأسر وعلِقوا على خوازيق فى كمين نصبه الفيتناميون. كان واضحا أنهم خائفون ، يصرخون ويطلبون الرحمة. لم تُعجب "مانا" بالرسومات. فهى هنا لتتعرف على الرجل وليس على فنه. أعادتهم إليه وقالت بلطف:

-"لوحات جميلة".

-"هذه الرسومات من أجل كتب للأطفال. هل أعجبتك؟".

-"نعم. ومتى سينشر الكتاب؟".

-"كان من المفروض نشره هذه السنة. ولكن دار النشر آثرت الانتظار".

-"لماذا؟".

-"لأن هناك فائض من هذا النوع من الكتب فى السوق. كما قيل أن الولايات المتحدة لم تعد كما كانت عدونا الرئيسى، ولذا فلا مجال لنشر هذا الكتاب فى الوقت الحالى".

-"و ما هو الرائج الآن للنشر؟".

-"أى شىء يدور حول نقد كونفوشيوس".

-"إذن ، لم لا ترسم موضوعا يعجبهم؟".

-"من الصعب جدا التنبؤ بما تخفيه الرياح. فلو بدأت العمل الآن بموضوع ما ، فلن أنتهى منه إلا وقد أصبح فكرة قديمة ، غير مرغوب بها عفا عليها الزمان".

-"أشعر بالأسف لأجلك". .

أعاد الرسومات إلى الظرف الكبير وقال:

-"ليس هناك ما يدعو للأسف. كان هذا تمرين جيد لى لأتقن الرسم. ولكنى بذلت مجهودا كبيرا فى رسمها".

-"هذا أمر واضح".

خُيم عليهما الصمت لفترة. سُحرت "مانا" وهى تنظر إلى الشاطىء البعيد للبحيرة حيث ارتفعت الكتلة الجبلية فى الجنوب الغربى للمدينة ، فبدت لامعة براقة. فقد انعكست عليها أشعة الشمس المتسللة من وراء الغيوم وملأت جوانبها المنحدرة.

علقت "مانا" منبهرة لتلفت نظر "ليانج مينج":

-"أوووه..أنظر إلى روعة هذا الجبل!".

و رد متأثرا:

-"فعلا ، انه لمنظر جميل".

هناك على البعد ، وراء محطة السكة الحديد حيث تنفث محركات القطار دخانها الداكن ، ارتفع الجبل الضخم عاليا باسطا حلته. تقشعُ حوافه الصخرية المسننة ، الضبابَ الذى يغلفه واضحًا يظهر الممر الطولى الذى يشق الجانب الشديد الانحدار. حامت بعض الطيور ، وبدت كما لو أنها لا تتحرك ، وهى تطير محلقة فى مكانها وسط الجرف. حتى المغارة التى يتجمع فيها الهواء البارد فى السفح بدت واضحة بتربتها المصفرة التى انتشرت على شكل مثلث ضخم يصل إلى أسفل الجرف. نشرت الشمس أشعتها الملونة فوق غابات الصنوبر المنتشرة على الكتف الغربى للجبل. وفجأة انطلقت غلالة من الغبار من خلف ضلع الجبل ، فتبعثرت الطيور فى الجو تحلق هاربة، وما هى إلا برهة حتى سمع دوى انفجار. يبدو أن هناك من يقوم بتفجير الصخور بالديناميت. علقت "مانا" من جديد:

-"لم يخطر لى أبدا أن الجبل بمثل هذه الروعة".

-"فعلا فهو جميل".

-"نكاد لا نلحظه من المستشفى".

-"أظن أن ذلك بسبب الدخان والتلوث. أو ربما تحجبه كثافة المبانى عن الرؤية".

-"كلا. ليس فقط لهذه الأسباب. ولكنك وأنت هناك تنسى وجود الجبل وروعة جماله. فأنت مهموم بالعمل وبالناس الذين يحيطون بك".

سرحت "مانا" مع أفكارها بينما رفع "ليانج مينج" رقبته وأخذ ينشد بصوت عال:

-"الجبال والأنهار يسحران ويبهران ... كم أوحيا للعديد من الأبطال بالمنافسة".

كان يستشهد بأبيات من قصيدة للزعيم "ماو" اسمها "الثلج". حاولت "مانا" أن تكتم ضحكاتها. فاستدار نحوها ونظر إليها مرتبكا ثم سألها:

-"ما الذى يضحكك؟".

-"لا شىء".

أخرجت منديلا وأخذت تمسح العرق من على خديها.

مر من أمامهما ولدان يركضان وبأيديهما قضيبين من الحديد يديران به طوقا من الصلب ، كان بالأصل إطارا لعجلة دراجة. أزعج صوت حفيف المعدن على الأسفلت "مانا" وأثار أعصابها. انتصبت واقفة فجأة متعللة بأن عليها النوم مبكرًا قبل موعد مناوبتها الليلية. نهضا وسارا سويا على الطريق الذى جاءا منه. وبعد أن عبرا الجسر ، وجهت "مانا" أنظارها نحو حافلة واقفة فى مدخل الحديقة. مضت نحوها مسرعة غير مهتمة بتحديد موعد جديد للقاء. تبعها "ليانج مينج" بضع خطوات ثم وقف فوق مقعد حجرى يراقبها وهى تختفى بين الركاب. لوح نحو الحافلة وهى تتحرك مبتعدة وهو يَسعل سعالا متقطعا. كان نصفه الأعلى بارزا فوق رؤوس المارة وتمددت رقبته لدرجة ، اضطرت "مانا" معها أن تغطى فمها براحة كفها لتخفى ضحكها.

و عندما حدثت "لين" عن رسومات ابن عمه وعن إلقائه لشعر الزعيم "ماو" هز رأسه وقال:

-"إنه لحقا دودة ملتهمة للكتب ولكنه رجل أهل للثقة. ألست معى فى هذا؟".

-"لا أعلم فهو غريب جدا".

-"تمهلى. ليس من المفروض أن تقررى فى الحال. فكرى بالأمر وإن أردت مقابلته ثانية أخبرينى".

-"مرة ثانية؟ ولا بعد ألف سنة!!".

بعد مرور أسبوع تلقى "لين" من ابن عمه رسالة وطرد بريدى فيه باوند من عش الغراب الجاف ، وذكر "ليانج مينج" فى الرسالة أنه أعجب جدا "بمانا". فهى برأيه على وعى ونضوج. ويأمل أن يزداد تقربا منها فى لقائهما المقبل. وبما أنه لا يحسن الطبخ ، فقد أعطى "لين" عش الغراب إلى صديقه "مينج تشين" ، المدير الجديد لقسم الموظفين ، الذى قام بعلاج آلام مفاصل "لين" بوخز الإبر. كما كان يقص له شعره دائما. سلم "لين" رسالة "ليانج مينج" إلى "مانا" قائلا:

-"كما ترين. فنظرته عنك صائبة. عليك أن تجيبى على رسالته".

-"وما الذى سأكتبه؟".

-"بلغيه عن رأيك".

-"لقد جعلنى أشعر يا لين كما لو أننى معتوهة أو متخلفة عقليا. انه فعلا شخص غريب".

-"ما كل هذا؟".

-"لم أنجذب إليه أبدا. كان هذا منذ اللقاء الأول. ولا أدرى لمَ نكدت على نفسى بلقائه بالحديقة".

-"أشعر بالأسف لسماعى هذا".

جاش صدره بالبهجة وهذا ما جعله محرجا. فأدار وجهه حتى لا تلحظ فرحته. وأردفت "مانا":

-"فى أمور الحب علىّ أن أستمع إلى نبض قلبى. حتى الطيور تتبع غريزتها. ولربما تنافرت إذا ما جمعتها فى قفص واحد. فما بالك بالإنسان. لا تفكر بعد الآن بالبحث عن رجل آخر".

-"كما تشائين".

قال هذا وأطلق زفرة راحة. ثم أضاف عابثا:

-"إذن تجيديننى أفضل منه".

-"آآه منك. لو لم أكن أحبك كل هذا الحب".

بانت ثلاث تجاعيد على الزاوية اليسرى من فمها كشفت عن ظل حزن دفين.

بعد أسبوع كتبت "مانا" رسالة إلى "ليانج مينج" قالت فيها إن صحتها ليست على ما يرام، وهى تود أن تصدقه القول. فقد سببت لها إصابتها بالحمى الروماتيزمية عاهة مستديمة بالقلب. هذه المعلومات المؤسفة أخافت الرجل وأبعدته إلى الأبد. وهكذا انقطعت أخباره تماما عن "لين".

الفصل الثالث

مرة أخرى ، ومع حلول فصل الصيف ، مضى كل من "لين" و"شويو" من جديد إلى المحكمة فى بلدة "يوجيا" للحصول على الطلاق. كان قد تحدث معها فى اليوم السابق ، وعاهدها بأنه لن يتخلى عنها وعن ابنته بعد الطلاق وسيستمر فى إعالتهما. وهكذا استطاع أن يأخذ منها وعدا بالموافقة ، زاعما ، أن كل ما يرغب به هو الحصول على مأوى له فى مكان عمله.

ظهر القاضى بعد ما يقرب من الساعة. كان رجلا طويل القامة من ضباط البوليس حصل مؤخرا على هذه الترقية. كما كان بدينا؛ التصق رأسه بجسده كما لو أنه بلا رقبة. وبعد أن أخذ مكانه على كرسى من الجلد القرمزى لعق أسنانه ثم أمعن النظر متفحصا الزوجين بعنين ، إحداهما مغلقة كما لو أنه يركز النظر ليصيب الهدف ببندقيته. وجهه العريض اللامع ذكر "لين" بالتماثيل الصلصالية المقامة للإله الإقليمى داخل معبد صغير ، فى غرب قرية "جوس". كانت يده اليسرى منهمكة تتحسس حسنة تحت أنفه ، بينما امتدت يده اليمنى ليشير بسبابته نحو "لين" ويأمره قائلا:

-"والآن وضح لنا قضيتك".

شرع "لين" فى سرد قضيته متأتئًا متلكئًا بعض الشىء. قال:

-"ياسيادة القاضى المحترم. جئت اليوم راجيا أن تحكم لى بالطلاق من زوجتى. مضى على انفصالنا ست سنوات ، ولم يعد بيننا أى علاقة زوجية. واستنادا إلى قانون الزواج الذى يعطى كل مواطن الحق فى اختيار الزوجة أو الزو....".

صرخ القاضى مقاطعا:

-"عفوا. ولكن علىَّ أن أنبهكَ أن القانون لا يسمح بالطلاق لكل رجل متزوج. استمر فى أقوالك".

ارتبك "لين" وظل صامتا لبرهة بينما اشتعل وجهه حمرة. ثم أكمل متحفظا:

-"أعلم هذا أيها الرفيق القاضى، ولكن زوجتى موافقة على الطلاق. استطعنا الوصول سويا إلى تسوية فيما بيننا. سأتكفل بها وبطفلتنا ماديا. أرجوك أيها القاضى، ثق بأننى رجل أعرف واجبى وأتحمل مسؤليتى".

وفيما هو مسترسل فى كلامه غطت "شويو" فمها بقطعة متغضنة من الورق وأغمضت عينيها كما لو أنها تعانى من وخز مؤلم فى فروة رأسها. استدار القاضى نحوها بعد أن أنتهى "لين" من عرضه، وسألها:

-"أيتها الرفيقة «شويو ليو». أود أن أوجه إليك بعض الأسئلة. والآن أريد منك وعدا بأنك ستفكرين جيدا قبل أن تجيبى على أسئلتى".

هزت "شويو" رأسها وقالت:

-"سأفعل".

-"ما هو السبب الحقيقى وراء طلب زوجك للطلاق؟".

-"ليس عندى أى فكرة".

-"هل هناك طرف ثالث له دخل فى الأمر؟".

-"ما الذى تعنيه بهذا؟".

هز الكاتب الشاب المكلف بتدوين الأقوال، والجالس وراء القاضى، رأسه وهو يغمز بعينيه المدورتين. واستمر القاضى فى استجوابها قائلا:

-"أعنى هل هناك امرأة أخرى فى حياة زوجك؟".

-"أظن. لابد أن هناك العديد منهن حوله فى الجيش. فكما ترى فهو رجل وسيم".

ضحك الكاتب ضحكة خافتة ، بينما استمر القاضى فى تجهمه وسألها:

-"أجيبى. هل لديك أى علم بأن له علاقة مع امرأة أخرى؟".

-"لست متأكدة. فهو يقول بأنه بحاجة إلى عائلة فى المدينة الأخرى".

-"عائلة مع امرأة أخرى؟".

-"على الأرجح هذا صحيح".

-"سؤال أخير. هل ما زالت لديك مشاعر نحوه؟".

-"اوه...نعم بالطبع".

ثم انفجرت فى البكاء كما لو أن السؤال الأخير مَسَ قلبها.

-"هل ما زلت على حبك له؟".

-"نعم".

أشارت برأسها وهى تنوح وتذرف الدموع. كانت قد وصلت إلى درجة من التأثر ولم يعد بإمكانها إضافة المزيد. التفت القاضى نحو زوجها وقال:

-"أيها الضابط لين كونج. عليك أن تدلى باعتراف إلى المحكمة. هل لديك عشيقة فى المدينة؟".

-"كلا ليس لدى عشيقة أيها الرفيق القاضى".

قال هذا بصوت عال مرتجف بعد أن أدرك تعمد القاضى لاستدراجه لذكر اسم "مانا" فى القضية.

-"حتى ولم يكن لديك عشيقة. لابد وأن هناك علاقة حب غير شرعية".

-"لم أقم أبدا أى علاقة مع أحد".

-"اذن مع من ستقيم عائلة جديدة فى موجى؟ هل ستقيمها مع رجل آخر؟".

-"اوه، كلا، مع صديقة لى".

-"ما اسمها؟".

-"أيها الرفيق القاضى هل لهذا السؤال أى صلة بهذه القضية؟".

-"بالطبع له، علينا أن نتحرى ونستكشف طبيعة علاقتك بهذه الزميلة قبل أن نقرر كيفية معالجتنا لطلب طلاقك من زوجتك".

- "ليس لها أى علاقة بهذه القضية. ما بيننا مجرد صداقة طاهرة".

-"إذن لماذا تتردد فى إبلاغى اسمها وفرقة عملها؟ هل تشعر بالخزى؟ أم تريد تغطية أمرا ما؟".

-"أنا....أنا".

غمر العرق وجه "لين". قلّبْ القاضى كراسة صفراء صغيرة بين يديه ، ثم ضرب بها بعنف محاولا اصطياد دبورا متجولا على الطاولة أمامه. أخطأ الحشرة التى انطلقت طائرة تأز كالصاروخ المندفع. ظل لبرهة ينتظر إجابة الزوج عن سؤاله. ولكن "لين" التزم الصمت غير راغب فى الكشف عن اسم "مانا". بدأ القاضى بجفنيه المغلقين كما لو كان على وشك أن يكبُ . وصمم "لين" على عدم الإباحة باسم "مانا". بعد انتظار دام لدقيقتين سلّك القاضى حنجرته وأكمل قائلا:

-"حسنا ، إن لم تكن فعلت ما يشين فلا خوف عليك من شبح سيطرق بابك. لن نتمكن من الاستمرار فى هذه القضية حتى تعلمنا باسم تلك المرأة ، وعمرها ، ومكان عملها ، ووضعها الاجتماعى. عد ثانية إلى منزلك حتى توفينا بكافة المعلومات المطلوبة. فى أثناء ذلك عليك الالتزام بحسن معاملة زوجتك كصديقة أو رفيقة. ستعمل المحكمة على مراقبتك والتحقق من تنفيذك للأمر »

قال هذا متبسما وقد أرتفعت إحدى عينيه إلى أعلى. كان "لين" يعلم جيدا أنه لا فائدة من الجدال ، ولذا رد على استحياء:

-"حسنا سنعود مرة أخرى".

وكما لو كان مسحورا ، انتصب «لين» واقفا على قدميه ومضى نحو باب المحكمة و"شوبو" فى أعقابه. تخدرت رجله اليمنى من كثرة الجلوس فسار فى مشيته عارجا.

وفيما كان الزوجان داخل المحكمة وقف "بينشنج" وبصحبته مجموعة من رجال قرية "جوس" خارج باب المحكمة يلوحون بالمجارف والمعازق والفؤوس والأعمدة الخشبية. كانوا يهددون بالقيام بأعمال تخريبية إذا ما منح القاضى "للين" الحق فى الطلاق. تَجمَّع فى الساحة رهط كبير من البشر ، كانوا يعتقدون أن هؤلاء الفلاحين، وقد أصابهم مس من الجنون لا ريب سيشبعون الزوج الخائن ضربا مبرحا. لذا لم يرغب أحد بالغياب عن هذا المشهد. استنجد القاضى بالإدارة العسكرية التى بعثت على الفور بفرقة إعادة النظام حول المحكمة. علَّقت امرأة فى منتصف العمر من بين المتفرجين:

-"هل يظن نفسه ضابطا كبيرا ستشفع له رتبته؟ مهما كبر وارتفع فلن يكون فوق القانون. حتى الإمبراطور نفسه لا يجوز له تطليق زوجته".

وأردفت امرأة عجوز أخرى خلعت أسنانها:

-"كل الرجال سواء. حيوانات".

ورد عليها رجل عجوز أحول العينين:

-"كذلك النساء. يجب أن لا يُسمح لهن بطلب الطلاق أيضا وإلا عمَّت الفوضى فى كل مكان. فكما قال كونفوشيوس: نظام العالم كله مرتبط بجذور العائلة".

-"إنه فعلا حيوان بدون قلب".

-"لا أجد مبررا لما فعل بها".

-"يجب أن يُطرد من الجيش ويعود ليلتقط رزقه من عمله بعزق الأرض".

-"سمعتُ أنه طبيب".

-"لا غرابة إذن. فالأطباء ليسوا سوى جزارين".

انزعج بعض المتفرجين، فقد فوَّت عليهم القاضى برفضه لالتماس "لين" فرصة الاستمتاع بالمشهد المرتقب. وهمس البعض الآخر لدى رؤيتهم للزوج والزوجة خارجين من قاعة المحكمة، بأن الزوجين غير متلائمين فعلاً. فالزوج فى غاية اللطف والكياسة ومن المستحيل أن يكون شريرا أو عدائيا. بينما كانت الزوجة بنحولها الشديد أشبه بدجاجة منتوفة ضامرة لا تملأ طبقا.

فإذا كانا بهذا القدر من الاختلاف فلا غرابة فى رفضه لها، ولكن هذا ليس مبررا لطلب الطلاق. من الطبيعى أن يتنازع الأزواج أو حتى، أن يضربا بعضهما مرة كل حين وحين. فالزواج السليم لابد وأن يمتلئ بالصراع والاختلاف. المصيبة الحقيقية فى زواج راكد بدون مشاكل، وبدون شد وجذب. باختصار يجب أن تكون الاختلافات بحدود المعقول لتساعد على تثبيت الزواج، لا على خرابه.

امتقع وجه "لين" وعيون الحاضرين ترمقه شذرا. أسرع بالخروج وبصحبته "شويو" من قاعة المحكمة منطلقا نحو محطة الحافلة. طوال رحلة العودة لم ينطق ببنت شفة.

بعد مغادرة الزوجين تفرقت الفرقة المأجورة لتأديب الزوج من أمام قاعة المحكمة. ولكن، تبعثر الجماهير استلزم ما يزيد عن نصف الساعة. فرغت القاعة من الناس وتغطت الأرضية بالقمامة والعصى وأغطية زجاجات المياه الغازية، وأقماع الخيار، ولب البطيخ.

فى هذا المساء، أقفل "لين" باب غرفته بالمزلاج وقبع داخل الغرفة وحيدا يفكر ويدخن ويزفر التنهدات حسرة على نفسه. قرر بأنه بشكل ما كان محظوظا، فهو لم يتعرض للضرب من القرويين الثائرين. لم تتعرض له سوى امرأتين من الحضور. بصقتا على الأرض ولوحتا بقبضتيهما فى وجهه وهو خارج من قاعة المحكمة. لو أنه

فاز بالطلاق لما عاد سليما إلى منزله. يبدو أن عليه أن يمتنع هذه السنة عن محاولة تطليق زوجته. من الواضح أن صهره يسعى لعقد صفقة أو اتفاق معه. وهذا أفضل من أن يهزئ نفسه ويقع فريسة سهلة بين يديه.

وفى اليوم التالى ، وبعد أن تناول غذاءه ، قدمت له "شويو" نسخة من الصحيفة المحلية "اعمار الريف" والتى كان معظمها منسوخ باليد ، وقالت:

-"وصلتنا هذه النسخة فى الحال".

-"من أين حصلت عليها؟".

-"أعطاها لى "بينشنج" وهو يقول هناك أكواما منها فى مركز ثقافة الأمة".

وضعت "شويو" الصحيفة على الطاولة. استسلمت "هويا" لاغفاءة قصيرة على السرير القرميدى. تفتح شفتيها السميكتين مع كل شهيق. غطتها "شويو" بغطاء أصفر خفيف ثم استدارت وخرجت من الغرفة لتكمل غسل أطباق الغذاء فى المطبخ.

التقط "لين" الصحيفة وبدأ بتفحصها. فوجد فى الصفحة الثالثة خبر مقتضب عن محاولته الحصول على الطلاق. جاء فيه:

-"فى مساء البارحة رفضت المحكمة المحلية قضية طلاق تقدم بها الطبيب فى الجيش لين كونج من مدينة موجى فى الفرقة الثامنة عشرة زاعما أنه وزوجته شويو ليو يطلبان الطلاق لانعدام الحب بينهما. بينما أصرت الزوجة بأنها ما زالت تحب زوجها حبا عميقا. تجمع المئات من أهل المنطقة خارج قاعة المحكمة وأبدو تعاطفهم مع الزوجة وانتقادهم لموقف الرجل وقسوة قلبه ، طالبين من السلطة حماية المرأة والرأفة بها. وبخ القاضى المتمرس الرفيق جيانينج الزوج لين كونج وذكرّه بأن عليه أن يأخذ بالاعتبار مركزه كضابط من ضباط الثورة وابن لفلاح فقير. قال له:

لقد تناسيت وأردت التخلى عن أصولك الاجتماعية وها أنت تريد تقليد الطبقة المنتفعة. لا يسع المحكمة الا أن تقدم لك النصح لتصحو وترعوى قبل أن تسقط فى الهاوية. ولسوء الحظ لن تتمكن بعدها من الخلاص.

شعر الحضور بالراحة وهم يشاهدون الزوجين يخرجان سويا من قاعة المحكمة يربطهما رباط الزوجية. وعبَّر البعض منهم عن فرحته مصفقا".

شعر "لين" باحباط شديد لدى انتهائه من قراءة العامود. خمنَّ أن صهره وراء نشر المقال. فالكاتب لم يوقع اسمه واكتفى بتوقيع "مدافع عن الأخلاق". لربما كان صديقا "لبنشنج". فهو يعى تماما أنه لم يسمع أى تصفيق من الحضور حين خروجه و"شويو" من قاعة المحكمة. واضح جدا أن الغرض من هذا المقال تشويه صورته ووصمه بالعار ليخجل من نفسه ويمتنع عن طلب الطلاق ثانية من زوجته. شعر بكراهية شديدة نحو "بنشنج" وقرر أن يمتنع عن محادثته طوال فترة اقامته فى القرية.

فى عصر اليوم التالى ، سُمع صوتًا متحشرجا ينادى من الحديقة المواجهة للمنزل قائلا:

-"هل هناك أحد بالبيت؟".

خرجت "شويو" لترى من بالخارج. وما أن رأت الرجل الطريل بندبته الظاهرة على خده الأيسر حتى هلّلت للقائه وقالت:

-"تفضل إلى الداخل يا أخى الكبير".

رمى برزمة قصب السكر طول كل منها قدمين وبعرض بوصة وقال:

-"جئت بهذه خصيصا من أجل هويا من حقلنا".

-"ما كان عليك أن تتعب نفسك وتحملهم كل هذه المسافة".

قالت "شويو" هذا وان بدت عليها الفرحة لرؤيتها لعيدان القصب.

-"هل لين بالمنزل؟".

-"نعم".

كان الزائر أخا "لين" الكبير "رين كونج". كان يرتدى سترة زرقاء مزينة بزراير نحاسية وفى قدميه خفين برباط من المطاط. كان قد وصل إلى سمعه ما حدث بالمحكمة

وجاء ليأخذ جانب "شويو" ويؤازرها. فهى بالنسبة له فى معزة ومنزلة أخت. لا ينسى ما قدمت من خدمات لعائلة "كونج". كما أنه ومنذ عدة أشهر مضت كان قد راسل "لين" طالبا منه أن يُحضر معه حبات دواء لأطفاله ليقضى على الديدان فى أمعائهم. كان الضعف والاعياء باديا طوال الأشهر الماضية على أبنائه الثلاثة. كما كان الصغير يعانى من أوجاع فى البطن كل مساء. وظهرت الديدان العريضة واضحة فى برازه. هذا الدواء كان حبوبا مُسكرة يستسيغها الأطفال ويقبلون على تناولها كما لو أنها نوع من الحلوى المحببة.

كان هناك فى المستشفى العسكرى أدوية متعددة لعلاج الدودة الوحيدة ، الا هذه الحبوب المسكرة التى كانت ناقصة فى المستودع. وبالرغم من التحذيرات التى تمنع استعمال الأدوية لأغراض شخصية الا أن العديد من العاملين فى المستشفى كانوا يأخذون حاجتهم من الأدوية من صيدلية المستشفى. ولذا كان للصيادلة الثلاث فى المستشى منزلة خاصة. كثر عدد أصدقائهم ومحبيهم وتدفقت عليهم الهدايا فى المواسم والأعياد. على خلاف الآخرين كان "لين" يشعر بالحرج ولا يرض ان يأخذ دواء من الصيدلية بدون وصفة من الطبيب المختص. ولذا قرر أن يشترى بعضا من هذه الحبوب من المخزن الاستهلاكى.

كان عليه أن يطلب اذنا للخروج من المستشفى ولكنه وجد نفسه منغمسا فى كتابة مقال عن موضوع "كيف تصبح منتميا وخبيرا للثورة الحمراء". وهكذا نسى تماما طلب أخيه. وها هو ذا الآن وأخوه أمامه يتذكر الحبوب. اضطرب وأخذ يفكر بمبرر وعذر.

أمضى الاخوان وقتهما فى تبادل الحديث وارتشاف الشاى ، بينما انهمكت "شويو" فى المطبخ ومعها "هويا" تساعدها فى اشعال الموقد. سمع "لين" زوجته تأمر ابنتها وتنهرها قائلة:

-"أيتها الفتاة. أنجزى عملك. ولا تمصى هذا القضيب السكرى".

وردت "هويا":

-"أنا لا أمصه ، أحتفظ به بجانبى فقط".

-"قلت لكِ ضعى القضيب بعيدا".

-"كلا أود أن احتفظ به هنا".

-"أعطه لى".

صرخ "لين" من مكانه قائلا:

-"اتركى القضيب إلى جانبها. كما يحلو لها".

وهكذا أنهى الجدل بين الأم وابنتها.

لم يشعر "لين" يوما بالتقارب من أخيه "رين". لم يتربيا سويا. ففى سن المراهقة كان "لين" يمضى معظم وقته فى المدرسة بينما يعمل "رين" فى الحقل. وان كان يعترف بجميل أخيه البكر وعدم تذمره لهذا الترتيب الذى فرضه الأهل. فهذا الترتيب فوَّت على "رين" فرصة الدراسة بما فيها الدراسة الابتدائية. أثارت ندبة أخيه الواضحة الحزن فى نفس "لين" من جديد. كان "رين" قد أصيب بها حين وقعت عليه صخرة ضخمة منذ عشرين سنة مضت وهو يعمل فى موقع للبناء. هذه الحادثة تسببت فى اقامة "رين" بعد زواجه فى بيت أهل زوجته الذين رفضوا أن تعيش ابنتهم الوحيدة بعيدا عنهم. وهذا أيضا ما تسبب فى اختيار أهله "لشويو" لتقيم معهما وتسهر على راحتهما. كان عمر "رين" لا يزيد عن الخامسة والأربعين. ولكنه بدا كمن جاوز الستين بفمه الغائر الخالى من الأسنان الأمامية.

رشف "رين" قليلا من الشاى ووضع الفنجان على الحافة الخشبية للسرير القرميدى ثم بادر "لين" بالحديث:

-"لمَ لم تأخذ رأى قبل أن تذهب إلى المحكمة مع شويو؟".

رد "لين" باقتضاب:

-"هذا أمر شخصى لا دخل لك به".

-"كان أهلنا هم من اختاروا شويو وعليك احترام اختيارهما ورغبتهما".

-"ها قد أفسدت رغبتهما حياتى كلها".

-"كيف؟".

سحب "رين" نفسا من غليونه ، فتوهجت النار محمرة ثم خبت. رفض السجائر التى قدمها له "لين" قائلا أنها خفيفة جدا. وحينما لاحظ تردد "لين" فى الاجابة أضاف:

-"على الانسان أن يستمع لصوت ضميره. لا أرى سببا يبرر لك تعاليك على شويو واعتقادك بأنها ليست كفؤا لك. لقد وهبت حياتها بالكامل لعائلتنا. يجب أن نحافظ....".

قاطعه "لين" قائلا:

-"سبق وقلت لك أن هذا أمر شخصى خاص بى".

-"لا أظنه كذلك. سيترك الطلاق أثره على كل فرد من أفراد العائلة. بدأ الأطفال فى قريتنا يسخرون من أولاد أخيك بقولهم: تزوج عمكم بامرأتين أو عمكم ألعوبة فى يد النساء. هل لك أن تدعى أن هذا الطلاق أمر خاص".

صُدم " لينى" لهذا الواقع وأخذ يفكر ، انه حقا لأمر غريب. يتدخل الناس فى حياة الآخرين وتتضارب آرائهم. ما علاقة زواجه بأولاد أخيه؟ ما الداعى لشعورهم بالخجل منه؟.

توقف صوت جئير الكير فى المطبخ وسمع "لين" صوت زوجته تقول "لهويا":

-"اذهبى وبلغى خالك".

تساءل "لين" فى نفسه لماذا أرسلت "شويو" ابنتها إلى "بنشنج". وفيما هو سارح مع أفكاره فُتح الباب ودخلت زوجته وهى تحمل طبقا ممتلئا بقطع من لحم الخنزير المحمر. ونادت عليهما:

-"تفضلوا حان وقت الطعام".

قالت هذا وهى تبتسم مرحبة "برين". أخرج "لين" قدحين للنبيذ. كان أخوه مغرما بالكحول ونال شهرة بين أصحابه بقدرته على تحمل المشروب، ولن ينسى أهل القرية اليوم الذى زار به بعض الضباط القرية لتقديم النياشين واستطاع "رين" أن يقارع نائب الحاكم ويتفوق عليه بالشرب، وانتهى اليوم باستلقاء نائب الحاكم سكرانا تحت طاولة الطعام.

سأل "لين" أخيه:

-"ماذا تحب أن تشرب؟".

قال هذا وإن لم يكن لديه سوى نوعين من المشروب الكحولى.

-"أى شىء. فأنا لا أشعر اليوم برغبة فى الشراب".

-"اشرب قليلا لتنعش نفسك. لابد وأنك مرهق؛ فقد قطعت مسافة طويلة".

فتح "لين" زجاجة من كحول "الشعلة البيضاء". ملئ كأسا لأخيه ونصف كأس لنفسه. بينما انهمكت "شويو" فى إضافة ثلاثة أطباق أخرى إلى المائدة. بيض مضروب مع البصل وبازلاء مطهية بالذبد وفول سودانى مملح ومحمص. وفيما هما منهمكان بالطعام أعلنت "هويا" بصوت عالٍ:

-"سيحضر خالى حالا لمشاركتكما الطعام".

عبس "لين" حين شاهد صهره قادما. حمل "بنشنج" فى يده اليسرى رزمة ملفوفة بالقش. ابتسم "لرين" مرحبا به وبادره بنبرة صادقة:

-"أهلا بك يا أخى الكبير. حضرت بالوقت المناسب".

ثم مدَّ يده وسلم عليه. ونادى على أخته من المطبخ قائلا:

-"اعطنى طبقا يا شويو".

دهش "لين". بدا واضحا أن "بنشنج" على علم بزيارة "رين". تُرى هل هو الذى طلب من أخيه القيام بهذه الزيارة؟ أحضرت "شويو" طبقا "لبنشنج" ووضعته على المائدة ثم صرخت وهى ترى أخاها يفتح الرزمة:

-"يا الهى ، ما هذا؟!".

علقت "هويا":

-"ديدان كبيرة".

تساءل "رين":

-"هل هذه نوع من الحشرات؟".

قال هذا وهو يشير إلى الكائنات الحمراء فى الطبق. كل واحدة منها بطول ثلاث بوصات. أجاب "بنشنج" متفاخرا:

-"إنها جمبرى. ألم تسمعوا أبدا عن الجمبرى؟".

أجاب "رين":

-"سمعت عنه ولكنى لم أره قط".

ورد "بنشنج" معترفا:

-"وأنا كذلك أراه الآن للمرة الأولى. اشتريتهم من سوق القرية هذا الصباح. ما أن رأيتهم حتى قلت لنفسى:اللعنة.على المرء أن يجرب الأشياء التى يجهلها ولو مرة واحدة فى حياته، وإلا فإنه سوف يموت وبقلبه حسرة، وهكذا خاطرت واشتريت بوندين. إنها حقا غالية يا أولاد. دفعت سبع ينات فى البوند الواحد. قيل لى إنها تنقل من الجنوب حيث تصدر للخارج. ولا يحظى بأكلها سوى الأجانب".

دهش "لين" وحدث نفسه:هل أقاربه على هذه الدرجة من الجهل؟. ثم فطن أنه أيضا لا يذكر أنه رأى الجمبرى فى سوق مدينة "يوجيا". يبدو أن الجمبرى غير موجود فى نهر "شنغهوا". وبينما هو سارح مع أفكاره تساءل أخوه:

-"هل ما زالوا أحياء؟".

أضحك السؤال الساذج "بنشنج" و"لين". حاول "لين" أن يكتم قهقهته ولكنها انطلقت رغما عنه وهو يرد:

-"نعم أحياء".

التقط "رين" واحدة وقال:

-"سأتذوقها حية أو ميتة. هل تعلمين يا هويا ، لا مانع عندى أن ألتهم أى شىء يدب على أربع إلا الطاولة".

ثم وضع قطعة الجمبرى بحالها فى فمه وبدأ فى مضغها ثم غطى فمه بيده وصرخ مكشرا:

-"آه. لقد عض الجمبرى لسانى".

تساءلت "هويا" ببراءة:

-"هل جرحتك العضة؟".

انفجر "لين" ضاحكا وقال:

-"يعلم عمك جيدا أنها لا تؤذى. فهى مسلوقة ولكنه يهرج ويتعمد أن يبدو جاهلا ليضحكنا".

تساءل "بنشنج":

-"لا أظنها الطريقة الصحيحة لأكل الجمبرى. ما رأيك يا لين؟".

اتجهت الأعين جميعا نحو "لين" الذى كان غارقا فى قهقهته بصوت عال. توقف ليرد على "بنشنج" ثم قال:

-"نعم. هذا صحيح. تبدأ بنزع القشر والرأس والمخالب ثم تأكلها. هكذا. عليك أن تقشرها بيديك".

قال هذا وهو يتناول قطعة من الجمبرى يقشرها وينزع منها العرق الأسود والرأس والمخالب ويضعها فى فمه مهمهما:

-"هم هم. إنه لذيذ وطازج".

اتبع الآخرون إرشاداته إلاّ "هويا" وبدأوا فى أكل الجمبرى بشهية. شعرت الفتاة بالخوف من شكل ولون هذا الكائن ورفضت أن تلمسه.

وضع "لين" قطعة فى قصعتها. ولكنها رفضت أن تتذوقها. أخذ "بنشنج" رشفة من "الشعلة البيضاء" وقال "لهويا":

-"يجب أن تتذوقيه ، إنه لذيذ".

-"لا أريد تذوقه".

-"ألم تأكلى دودة القز؟".

-"نعم".

-"إذن تذوقى هذا ، فهو يفوقها لذة عشرات الأضعاف. تعالى حاولى".

تذوقت الفتاة قضمة صغيرة من ذيل الجمبرى. سألها "بنشنج":

-"طعمها لذيذ ، أليس كذلك؟".

هزت رأسها مؤكدة واستمرت فى أكل الجمبرى بينما أخذ الكبار فى السخرية منها. علقت الأم:

-"هذه الفتاة لا تستمع سوى لنصائح خالها".

بعد أن انتهت "هويا" من تناول قطعة الجمبرى وضع "بنشنج" قطعة أخرى فى قصعتها ، ولكنها أصرت على عدم أكلها بالرغم من محاولات الجميع لإقناعها. وهنا أخذ والدها القطعة منها وأكلها.

كان على "رين كونج" أن يعاود أدراجه إلى بيته قبل الساعة الثامنة. إذ كان عليه أن يسير مسافة تسعة أميال على قدميه. كما كان على "بنشنج" أن يقدم التقرير السنوى لميزانية المحصول إلى قادة اللجنة المركزية للحزب. فاستسمحا بالذهاب بعد العشاء. أخرج "لين" عشر ينات وأعطاها لأخيه "رين" قائلا:

-"لم أجد فى المستشفى الحبوب المسكرة التى طلبتها لعلاج أولادك. أرجوك اشتريها لهم من مخزن الجمعية الاستهلاكية".

-"ظننت إن بإمكانك الحصول عليهم مجانا. لست ملزما بإعطائى ثمنها".

-"أرجوك خذها".

وضع "رين" النقود فى جيب سترته. استعد الرجلان للرحيل دون أن يشربا الشاى. بسط "رين" كلتا يديه على سعتهما وتنهد قائلا:

-"هأنذا أخيرا تذوقت طعم الجمبرى".

رفض الكيس الصغير الذى حضرته له "شويو" من نبات "التارو" قائلا إن الطريق طويل وسيثقل عليه حمله. اقتنعت "شويو" ولم تعلق.

تفرق الجمع على الباب الرئيسى للمنزل. مضى "بنشنج" فى طريقه. وسار "لين" مع أخيه حتى مخارج القرية فى الجهة المعاكسة. تأثر "لين" وشعر بفرحة غامرة بعد هذا الاجتماع العائلى. وانتابه خاطرا أنه لم يضحك كثيرا كما ضحك اليوم منذ سنوات عديدة. شعر بحنو وتعاطف نحو "رين" الذى بدا مثقلا مترنحا لكثرة ما تعاطى من الشراب. كان يحمل سترته الزرقاء تحت إبطه الأيسر ويسير بخطا طويلة وقوية. سأله "لين":

-"هل لى أن أوجه إليك سؤالاً يا أخى؟".

توقف "رين" وأدار رأسه قائلا:

-"تفضل بكل تأكيد".

-"هل دعاك بنشنج لزيارتنا؟".

-"كلا. التقينا بمحض الصدقة. صحيح إننا أصدقاء ولكن ليس هناك اتصال بيننا، ولكن الحق يقال ، لربما لا أجده مرهفا ، ولكنه يهتم جدا بشويو وهويا ويعاملهما معاملة طيبة. وهذا ما يعجبنى فيه".

-"أنا أيضا على يقين من ذلك. رافقتك السلامة يا أخى. وبلغ تحياتى لزوجتك وأولادك".

-"سأفعل. اعتنى بنفسك. فأنت أشد نحافة مما كنت عليه السنة الماضية".

مضى "رين" ليتسلق الهضبة. كانت بعض النعجات ترعى عليها. توقف "لين" تحت شجرة الدردار يراقب أخاه وهو يمضى مبتعدا. عاد بتفكيره نحو وليمة الجمبرى وتذكر أنه كان قد قرر ألا يتحدث مع "بنشنج" أبدا، ولكن ها هو ذا نسى قراره. وها هما الآن على ما يبدو ما زالا صهرين. تمنى لو استطاع أن يظهر امتعاضه بوضوح ، تمنى لو استطاع قطع العلاقة مع هذا الرجل الحاذق.

بدا الهلال معلقا كمنجل ذهبى ، وبدا قميص "رين" الأبيض متماوجا على التل ومتناهيا فى الصغر إلى أن تلاشى داخل الظلمة خلال ما لا يزيد عن ثلاث دقائق.



الفصل الرابع

بعد مضى أسبوع على عودة "لين" إلى عمله فى الجيش ، طلب منه "ران سو" الذى تقلد الآن منصب المدير عن الشئون السياسية فى المستشفى التحدث معه. خاف "لين" لربما تلقت إدارة الحزب فى المستشفى تقريرا من المحكمة فى الريف. وحدَّث نفسه:

-"يبدو أن المشاكل فى طريقها إلىّ".

بعد الغذاء ، سار المدير "سو" وبرفقته "لين" خارج المجمع السكنى واتجها نحو المدرسة الإعدادية التى كانت على بعد ثلاثمائة ياردة جنوب شرق المستشفى. كانت قدما "ران سو" ضخمتين جدا مقارنة بجسمه الصغير وبنيته الضعيفة. كان يلبس حذاء من القماش الأسود تمزقت إحدى فردتيه عند الإصبع ورُقِّعت بشريط لاصق سميك. من الواضح أن زوجته ، التى جاءت مؤخرا لتقيم معه فى المستشفى مع ابنهما لتلحقه بالمدرسة الإعدادية ، هى التى قامت برقع فردة الحذاء. تساءل "ران":

-"أين وصلت فى إجراءات الطلاق؟".

-"رفضت المحكمة الحكم فى القضية".

-"لماذا؟".

-"لأن صهرى وعصابته افتعلوا شغبا خارج المحكمة".

رطب "ران سو" شفته السفلى بلسانه وقال:

-"اتبع قلبك. لابد وأنك ستكسب فى النهاية".

ثم تابعا سيرهما في صمت. اندهش "لين" لعدم سؤاله عن المزيد من إجراءات الطلاق ، وخمَّن لابد أن في جعبة المدير أخبارا أخرى.

جلسا تحت ظل شجرة أكاسيا. بدأ البناء الرمادي للمدرسة الاعدادية ، على البعد ، مبيضا تحت أشعة الشمس الساطعة. كانت معظم نوافذ المدرسة مفتوحة. ورفرف من على السطح الأزرق «الإردوازي» عشرات من الأعلام. انحنت مجموعة من التلاميذ وهي تقلع الأعشاب عن حواف ملعب كرة القدم. اعتمر البعض منهم قبعات واقية ولكن أكثرهم كانوا عراة الرأس. بدوا كما لو أنهم قطيعا من الأغنام الراعية. كان من الصعب على البعد ملاحظة حركتهم البطيئة.

قال المدير "سو":

-"إنه لعمل أحمق. لِمَ يقلعون العشب؟ سيزداد الغبار في الخريف".

ابتسم "لين" لتعليقه وقدَّم له سيجارة. أشعلها "ران سو" ثم بادر "لين" بالسؤال:

-"هل تعرف يا لين الضابط وي من القيادة الحربية في الريف؟".

-"سمعت باسمه".

-"إنه رجل مثقف جدا ومتحدِّث لبق. كما أن لديه ذاكرة مميزة للحفظ".

-"ما الذي حدث له؟".

-"طلق زوجته منذ حوالي شهرين ، ويبحث الآن عن خطيبة".

أمعن "لين" النظر في وجه "سو" ، الذي أكمل حديثه قائلا:

-"أود أن أعلمك شيئا على أن لا تغضب".

-"حسنا لن أغضب".

-"طلب الضابط وي من إدارة المستشفى أن ترشح له امرأة مناسبة. فهو يرغب في الزواج من ممرضة أو طبيبة. لأنه بحاجة لزوجة تعتني بصحته بعد أن بلغ

الخمسين من عمره. وجدت إدارة المستشفى أن معظم الفتيات فى المستشفى صغيرات السن لا يناسبنه. وهكذا قرر مجلس إدارة الحزب أن "مانا يو" هى أكثر العوانس ملائمة له. فهى أجملهن".

سكت لبرهة يراقب "لين" الذى ظهر عليه بعض الامتعاض. ثم أكمل:

-"ولكننا لم نتخذ القرار الأخير بعد. إن كنت تعارض الفكرة جديا ، لربماسأذكر شيئا عن عزمك الارتباط بمانا لدى مناقشتنا الموضوع فى الاجتماع القادم".

صمت "لين" لفترة طويلة. كانت عيناه مصوبتين باتجاه فراشة قرمزية ترفرف على ورقة سرخس . كما كان هناك بالقرب منه مجموعة فى النمل الكبير تعمل بهمة لنقل خنفساء ثقيلة وجافة إلى جحرها على بعد أربعة أو خمسة أقدام التقط "لين" قشة من عود القمح وسلك بها أسنانه البيضاء. تحرك فى صدره شعور بالخيبة وضيق النفس. أضاف "ران سو":

-"أفصح لى يا لين. صارحنى بما يجول فى ذهنك".

-"هل تعلم مانا بالأمر؟".

-"نعم. فاتحناها بالموضوع أثناء غيابك. وردت بأنها ستفكر وترد علينا".

-"ألم تعطكم جوابا بعد؟".

-"كلا".

بصق "لين" القشة على الأرض وقال:

-"لربما أن هذا الترتيب سيعود عليها بالخير. إذا وافق الضابط وى على الزواج منها فلا مانع عندى".

نظر المدير "سو" إليه مندهشا. وبعد صمت دام لبرهة قال:

-"إنك فعلا لرحيم القلب. قلة من الرجال يرضى أن يتخلى عن طيب خاطر عن حبيبة قلبه. حتى إن البعض منهم يشتاط غيظا ويتصرف بجنون فى مثل هذه الحالة".

سلك "لين" حنجرته وأجاب:

-"لم أتم كلامى بعد. إن أراد الضابط وى فعلا الزواج من مانا فلدى شرطان".

-"ما هما؟".

-"أولا عليه أن يرقيها إلى مرتبة أعلى. ثانيا أن يتعهد لكم بإرسالها إلى الجامعة لنيل شهادة جامعية".

ظهرت الدهشة على "ران سو" وانفجر فى نوبة من الضحك. استغرب "لين" من رد فعل "سو" وسأله:

-"ما المضحك فى الأمر؟ أتظنني مجنونا؟".

-"أنت صادق فى حبك لها يا أخى. ويمكنني رؤية مدى تعلقك بها".

أمسك "ران سو" بأنفه بين إبهمه وسبابته وتمخط على الحشيش ثم أكمل:

-"ولكن ما علاقتك بها؟ هل نسيت أنك لست خطيبا لها؟ ليس بإمكان أى واحد منا أن يملى شروطا على الضابط «وى» ، ولا حتى إدارة الحزب نفسها".

قطب "لين" حاجبيه وظل صامتا. واستمر "ران سو" قائلا:

-"لا تقلق. إن تزوجها الضابط «وى» سيعمل على ترقيتها وتحسين وضعها. سؤالى واضح هل ستترك لها حرية الإختيار؟".

وبعد صمت دام طويلا همس "لين" كما لو كان لنفسه:

-"إننى رجل متزوج ، وليس من الانصاف أن أقف فى طريقها. الأمر برمته بين يديها".

-"إنك يا لين رجلٌ كبير القلب".

نهضا من على الأرض ونفضا التراب عن ثيابهما. تصادف جلوس "لين" على نبتة قطر صفراء بللت سرواله من الخلف. لمس البقعة وسأل "ران سو":

-"ما حجم البقعة؟".

-"إنها بحجم البيضة تماما".

-"اللعنة ، إذن فهي واضحة".

قال "ران سو" ممازحا:

-"لا يوجد مشكلة. لو إنها كانت من الأمام لتركت علامة تجعلك أكثر إغراء في نظر الفتيات".

غمغم "لين":

-"لا أعلم إن كان بامكان مانا إزالة البقعة".

كانت "مانا" قد أخذت على عاتقها ، منذ السنة الماضية ، مهمة غسل ثيابه كما تفعل الخطيبات مع أحبائهن. عادا ثانية إلى المبنى. وطلب المدير "سو" من "لين" أن لا يذكر "لمانا" ما دار بينهما من حديث لأنه لا يريدها أن تشعر بأنه يتدخل في أمورها الشخصية. ووعده "لين" بعدم فتح الموضوع معها.

بعد ثلاث أيام من هذا اللقاء ، صرحت "مانا" "للين" عن الموضوع. واتفقا سويا بأن عليها أن لا تفوت الفرصة. فمركز الرجل ورتبته عالية في الريف. وإذا ما نالت إعجابه فلربما سعى لنقلها للانتساب إلى جامعة "هاوين" وهذا سيفتح أمامها مستقبلا براقا. لربما استطاع أن يلحقها بدورة لتدريب الممرضات أو إدخالها الجامعة لتنال شهادة طبية تعزز مركزها.

قلبيا ، شعر "لين" بالضيق لاحتمال خسارته "لمانا". كما كان غاضبا ، فالضابط أعلى منه مركزا ورتبة، وهو ما يأهله لاختيار أي امرأة يرغب بالارتباط بها. مع أنه يمتاز عن هذا العجوز القذر بأنه أكثر ذكاء ووسامة. وسأل نفسه: لمَ لا يستطيع

الاحتفاظ "بمانا"؟ لابد وأن حول هذا العجوز العديد من النساء بينما ليس لديه هو سوى "مانا". كم ينطبق عليهما المثل القائل:"لا يشعر الغنى المليئ بجوع الفقير". كما أن موقف "مانا" أزعجه كثيرا. بدت متلهفة لاغتنام الفرصة لتحسين وضعها وهكذا تقبلت بكل سهولة فكرة التخلى عنه من أجل مصلحتها. وفى الوقت ذاته انتابه شعور بالراحة؛ فهذا التطور الجديد سيعفيه من السعى لإنهاء إجراءات طلاقه فى الصيف. فهو حقا لا يرغب أن يحرك ثانية عش الدبابير فى الريف ، لو حاول تطليق "شويو". فلن تعلم سوى السماء ما يخبئه له صهره "بنشنج" من خدع ومكائد. فليس من المستبعد أن يأتى "بنشنج" إلى المستشفى ليثير فضيحة. كان قد أخبر "مانا" بطلب القاضى لمعرفة اسمها ورتبتها ، وبدت مترددة فى الكشف عن هويتها أمام المحكمة.

بدأ "لين" ينفث عن غيرته وغضبه بالاستهزاء من "مانا" كلما سنحت له الفرصة. ففى مساء أحد الأيام بينما كانا يلعبان كرة الطاولة استغل فرصة وجودها معه على انفراد وبادرها قائلا:

-"لا تنسى هذا الطبيب المسكين الذى كان يلاعبك كل أسبوع بعد أن تصبحى زوجة لهذا الضابط الكبير. سأشعر بالامتنان لو تذكرتنى".

-"الرحمة. أرجوك توقف عن هذه السخرية والاستهزاء".

تجهم وجه "لين" وهى تصرخ فى وجهه بحدة.

-"كنت أمازحك فقط".

-"هل تظننى مستمتعة بقبول الفكرة. أشعر كما لو أننى أبيع نفسى".

-"لا تأخذى الأمر على محمل الجد. كنت أعنى..."

-"أكره الأمر برمته. وها أنت تبدو سعيدا ، راغبا فى الخلاص منى".

قالت هذا وقد ظهر الغضب واضحا فى عينيها. أعادت مضربها إلى كيسه ، ومضت خارج الغرفة.

أصيب "لين" بالخرس وأغمض عينيه كما لو أنه يعانى من دوار مفاجئ ورغبة بالقيء. ندم على الملاحظة التى أزعجتها ولكنه لم يحاول اللحاق بها. مسح العرق من على وجهه بقبعته وتناول قميصه ومضربه ، أطفأ الأنوار ومضى نحو جناح النوم وحيدا. بعد هذه الواقعة وعد "مانا" بأنه لن يثير الموضوع معها ثانية.



الفصل الخامس

كان على القوميسار "وى" المبيت ليلة فى مدينة "موجى"وهو فى طريقه إلى الحدود. كان فى بعثة للتفاوض مع الحكومة الروسية للفصل فى حق ملكية قلعة صغيرة واقعة على الحدود ما بين الصين وروسيا، ففى سنة ١٩٣٠ قامت قوات "جواندنج" اليابانية ببناء هذه القلعة على الخط الفاصل ما بين الصين والاتحاد السوفيتى. وها هما الآن تتنازعان على حق ملكيتها. واشتدت المناوشات بين دورتى الحراسة من كلتا الجانبين يتقاذفان الحجارة ويستعملان العصى والسياط ، وإن التزما بعدم استخدام الأسلحة النارية حتى لا يتهما بانتهاك معاهدة وقف إطلاق النار.

قبل ذهابه إلى الحدود ، أبلغ القوميسار "وى" إدارة المستشفى برغبته بلقاء "مانا يو" فى مساء الثلاثاء فى فندق الضباط الواقع فى وسط مدينة "موجى"، وهكذا طلب رؤوساء المستشفى من "مانا" سرعة الاستعداد ، فلم يكن أمامها سوى يوما واحدا لترتيب شئونها، وبناء عليه مُنحت ذلك اليوم أجازة. فى الواقع لم يكن أمامها الكثير ، بما أنه كان محتَّم عليها ارتداء زى العمل الرسمى. كل ما قامت به هو أخذ حمام ساخن والاسترخاء فى السرير طوال فترة بعد الظهر علَّها تخلد للنوم، ولكنها ظلت قلقة متوترة كما لو أن عليها الامتحان لمادة تاريخ الثورات العالمية لطبقة "البروليتاريا" الذى كان مفروضا سنويا على كل موظفى المستشفى. لم تنتابها أى من تلك المشاعر التى أحست بها قديما وهى تتحضر للقاء "ماى دونج" أو "لين كونج" من تسارع فى ضربات القلب أو الإحساس بضيق فى الصدر. بالرغم أنها أجبرت نفسها على الاستلقاء فى سريرها إلا أنها لم تتمكن من تهدئة نفسها. شعرت بالحيرة؛ فكيف لها الانتقال من المستشفى إلى وسط المدينة فى المساء؟ ففى هذه الساعة تتوقف الحافلات عن العمل.

بإمكانها الانتقال سيرا على قدميها لتصل إلى الفندق بعد ساعة على الأقل وهى غارقة فى عرقها. كما أنها لا تحسن ركوب الدراجة. شعرت بالندم ، لأنها لم تستمع لنصائح "لين" حين عرض عليها فى الصيف الماضى أن يعلمها قيادة الدراجة. وودت لو أنها تجرأت وطلبت من رؤوساء المستشفى أن يرتبوا لها وسيلة لنقلها إلى الفندق.

بعد أن تناولت وجبة العشاء ، ارتدت حذاء جلديا مفتوحا وعاليا. وهو الشيء الوحيد الذى يمكنها إضافته لتزين به لباسها الرسمى. وكان له فعلا ساحرا جعلها تبدو أطول قامة وأكثر رشاقة. تذكرت أنها كثيرا ما حلمت وهى فتاة صغيرة بارتداء قميص مهفهف مزين بالورود لتبدو فيه كفراشة من الجنيات تحلق به بين الغيوم. ما زالت مغرمة بالثياب الملونة الزاهية المبهجة ولكنها تعلم أنه لم يعد من اللائق ارتدائها وهى فى سنها هذا.

كانت فى حيرة ، فلو تحتم عليها السير على قدميها فمن الأفضل ارتداء حذاء رياضى مريح. وستحمل حينذاك حذائها الأنيق فى حقيبتها لتلبسه ساعة اللقاء، وفيما كانت تغسل أسنانها وصلت إلى المبنى سيارة "جيب" بأنوارها المشعة. عمل الرؤوساء على تأمين وسيلة لانتقالها دون أن يبلغوها بالأمر مسبقا.

انطلقت السيارة "الجيب" من أمام الباب الرئيسى للمستشفى لتقل "مانا" باتجاه المدينة. يقع فندق القوات المسلحة فى نهاية شارع "جلورى" فى غرب المدينة ، وهى منطقة كانت فيما مضى مثيرة للشبهات. فلم يكن الفندق المتميز بحجارته السوداء القديمة منذ خمسين سنة مضت سوى ماخوراً يابانيًا. كان المالك اليابانى يرفض التعامل بالروبل الروسى ، المتداول حينذاك إلى جانب الين الصينى ، ويصر على أن يضاعف الثمن للصينيين مع أن معظم العاهرات كن من النساء الكوريات اللاتى يدعين أنهن يابانيات.

كان الازدحام على أشده. غص الشارع براكبى الدراجات. وقف شرطى سمين عند تقاطع الطرق يصرخ فى مكبر الصوت ويلوح بهرواته البيضاء المخططة برسم الحمار الوحشى ، موجها السير. انبعثت رائحة الخراف المشوية واللفت المطهى على

البخار تعبق الهواء. أنزلت سيارة "الجيب" "مانا" إلى المدخل الرئيسى للفندق ثم مضت فى طريقها. قلقت "مانا" لبرهة حين خطرت لها فكرة العودة إلى المستشفى بعد اللقاء ، ولكنها أزاحت شعورها بالخوف؛ فبإمكانها العودة سيرا على قدميها. لم تكن خائفة من الشوارع المظلمة ولكنها كانت قلقة ألا يكون الحذاء مريحا.

أبلغها الجندى على الباب الرئيسى أن القوميسار "وى" ينتظرها فى الجناح رقم ٦ فى الدور الثانى. شكرته واتجهت نحو السلالم وقد ملأها شعور بالهدوء والسكينة. فتح لها الباب جندى مساعد وقادها نحو غرفة المعيشة. أدهشها صغر سنه ، لم يكن شاربه قد نبت بعد ، قطعا لا يزيد سنه عن السادسة عشرة. صب لها كوبا من شاى الياسمين وأبلغها قائلا:

-"سيقابلك القومسيار وى بعد دقائق".

ثم انسحب بهدوء.

جلست "مانا" على الأريكة ، ووضعت ساقا على ساق ، ونظرت إلى الحائط الناصع البياض الذى عُلِّق عليه صورة للزعيم "ماو" وهو فى الثلاثينيات من عمره. تبرز الصورة رجلا طويل القامة يتسلق الجبل بخطوات متثاقلة متجها نحو منجم فحم ليحث همم العمال. نظرت حولها فى أرجاء الغرفة ولاحظت أنها غرفة صغيرة ، أصغر حجما من غرف الفنادق الحديثة. ثم سمعت صوتا فاتجهت بأنظارها نحوه لترى رجلا طويلا قادما نحوها يومئ إليها مبتسما بادرها قائلا:

-"لابد وأنك الرفيقة مانا يو".

قال هذا وهو يمد لها يده مرحبا. وقفت لتحيته وأجابت:

-"نعم".

كان كفه ناعما كالحرير. عرفّها بنفسه قائلا:

-"أنا جيوهنج وى". سعيد جدا بمعرفتك. تفضلى بالجلوس".

هدأت رقة طباع القوميسار من توتر "مانا". وبعد أن أخذ مجلسه سألها عن عملها في المستشفى وعن مدينة "موجي". لم يبد أي فضول لمعرفة نشأتها ومسقط رأسها. أدركت أنه لابد قد قرأ ملفها وعلم أنها نشأت يتيمة الأبوين. بدا بقميصه الأبيض وابتسامته الوديعة أشبه بأستاذ جامعي منه ضابط برتبة عالية في الجيش. امتلأ شعره شيبا وبدا وجهه المستدير والمترهل غير متلائم مع جسمه الضخم المتماسك. كانت إحدى عينيه أوسع من الأخرى. ذكَّرها شكله بقطة ضخمة طيبة.

مضى الوقت وهي تجيب عن أسئلته دون أن تجرؤ بتوجيه أي سؤال له، ولكنها لم تشعر معه بالحرج. كان لطيفا دون استعلاء يستمع إليها باهتمام وهو يهز رأسه بين الحين والآخر. لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل طيلة الوقت عن سبب طلاقه من زوجته. يبدو زوجا متعاطفا. أخرج من جيبه علبة سجائره وسألها:

-"هل يمكنني أن أدخن؟".

أصابتها الدهشة. فهي لم تتعرف أبدا على رجل بمثل هذا القدر من التهذيب. وأجابت:

-"بالطبع، فأنا أحب رائحة التبغ".

كانت صادقة، فقد كانت تلجأ لتدخين بضع سجائر حين تكون محبطة. تضع بالدرج بجانب سريرها علبة تكفيها لعام كامل. سألها:

-"هل تدخنين؟".

-"ليس بشكل مستمر؟".

-"هذا يعني أنك تدخنين".

-"كلا...نعم".

بدت حائرة في ردها. ثم أردفت:

-"أدخن فقط في المناسبات".

بعثت سجائره رائحة منعشة بنكهة النعناع ، وتساءلت فيما بينها عن نوع السجائر التى يشربها. قال:

-"هذا يعنى أنك تدخنين حين تشعرين بالملل".

-"نعم. عدة مرات فى السنة".

-"كيف تقضين ساعات فراغك فى المستشفى؟".

-"أذهب لمشاهدة السينما فى بعض الأحيان. كما أقرأ المجلات".

-"هل تحبين قراءة الكتب؟".

-"أقرأ الكتب أحيانا".

-"ماذا قرأت مؤخرا؟".

قال هذا وهو ينفض رماد سيجارته فى صحن السجائر. كانت يده ضخمة وردية اللون بعروق بارزة.

فاجأها السؤال وظلت للحظة لا تدرى بما تجيب. فهى لم تقرأ يوما كتابا من الغلاف إلى الغلاف. ثم تذكرت تلك الروايات فى مكتبة "لين" كانت قد تصفحتها قديما. وهكذا أجابت قائلة:

-"لم أعد أقرأ كثيرا ، فأنا مشغولة جدا. سبق وقرأت بعض الروايات".

-"أعطنى مثلا؟".

-"ستشرق الشمس- الصخور الحمراء- أنا كارنينا- طلائع الجيش".

توقفت وندمت لأنها ذكرت أسماء هذه الروايات ، خاصة الروايتين الروسيتين اللتين لم تعودا مرغوبتين وعلى الأرجح مؤذيتين.

برقت عينا القائد وظهر الابتهاج فى رنة صوته وهو يقول:

-"حسنا. هذه كتب رائعة".

وأكمل:

-"أرى أن لك ذوقا راقيا. كم أتمنى لو تسنى للناس قراءة هذه الروائع الأدبية من الأدب الروسى هذه الأيام. كنت فى شبابى التهمهم التهاما".

شعرت "مانا" بالسعادة لاطرائه ، ولكن خجلها منعها من التعليق.

-"بما أنك قارئة ذواقة سأعرض عليك كتابا سعدت بقراءته".

استدار وسحب كتابا صغيرا من حقيبته الجلدية وسألها:

-"هل سمعت عن كتاب أوراق المراعى؟".

رفع الكتاب ليعرض عليها صورة الغلاف الخارجى للكتاب ، التى كانت تبرز رسما لرجل أجنبى بقبعة منحدرة يقف مائلا إلى جنبه يخفى إحدى يديه وراء وسطه ويضع الأخرى فى جيبه ، كما لو أنه يحاول إخفاء كلتا يديه.

-"كلا ، لم أسمع قط بهذه الرواية. من الكاتب؟".

-"والت وايتمان. إنه شاعر أمريكى. إنه كتاب مهم من كتب الشعر. تدل الأبيات على منتهى القوة والشجاعة. يتحدث عن كل شىء ويصف عالما قائما بذاته. أعدت قراءة هذا الكتاب أربع مرات".

أدهشها حماسه وأخذت تتمعن فى وجهه المنتعش. أدرك أنه بالغ فى الاعجاب والحماس ، فأضاف:

كتب هذا الكتاب فى القرن الماضى. فى بدء تكون الرأسمالية الأمريكية. يعكس روح التفاؤل الواضح فى الشعر والارتقاء الذى كان مهيمنًا فى ذلك الحين. وأما الآن لن يتمكن أى شاعر أمريكى معاصر من الكتابة بمثل هذا الانفعال والرقى. فقد تراجعوا الآن عن هذه المثل القيمة بعد أن طغا الفساد وسيطر المجتمع الرأسمالى ، وهكذا ابتعدوا عن السمو الروحى القديم".

انبهرت"مانا" بسعة ثقافته وبلاغة حديثه. بالرغم أنهالم تدرك تماما وجهة نظره. قالت:

-"سأبحث عنه فى مكتبة المدينة ، علّنى أجد نسخة منه".

-"على الأرجح لن تجديها؛ استطعت الحصول على هذه النسخة منذ عشرين سنة من المترجم نفسه. كان أستاذى فى جامعة تانكاى حينما كنت طالبا هناك".

-"هل درست الانجليزية؟".

-"كلا ، كان تخصصى فى الفلسفة والأدب الصينى. كان أستاذى متقنا للإنجليزية لأنه درس فى مدرسة تبشيرية. كما كان قارئ نهم ، أستاذ بحق. ولكنه مات متأثرا بالالتهاب الرئوى سنة ١٩٥٧. لربما كان من حظه أنه مات شابا ، فخلفية عائلته الدينية كانت ستدخله فى مشاكل كثيرة وتجعله هدفا دائما للاعتقال السياسى".

قال هذا وهو منكس الوجه وقد بدا الحزن والامتعاض واضحا على محياه ، كما لو أنه يستعيد ذكرى ما.

قالت "مانا" بعد فترة صمت:

-"إذن فهو كتاب نادر".

-"ليس تماما ، ولكن على الأرجح. يمكنك أن تجدى نسخة منه فى بعض مكتبات الجامعة. فهذا الكتاب لم يعاد طبعه منذ الخمسينيات".

قال هذا وقد استعاد وجهه حيويته ومرحه.

-"فهمت".

-"ما رأيك؟ سأُسلفك الكتاب لمدة شهر وبعد قراءته تبعثين لى برأيك فيه. هل تودين فعل ذلك؟".

-"طبعا. ستسعدنى قراءته".

أخذت الكتاب منه مع أنها كانت تشك في قدرتها على تفّهم معانى الشعر ، أو التعبير وإبداء الرأى فى سمو معانيه. كانت متأكدة أنها ستفضح ضحل مستواها وستجعل من نفسها أضحوكة، وفيما كانت تضع الكتاب فى حقيبة يدها دخل الجندى مُعلنا:

-"العربة جاهزة يا سيدى".

وهنا سألها القوميسار:

-"هل ترغبين بمرافقتنا إلى السينما أيتها الرفيقة مانا يو؟".

ترددت للحظة ثم أجابت:

-"نعم سيسعدنى الذهاب إن لم أكن شاهدت الفيلم".

-"إنه فيلم: فتاة الزهور".

-"كلا ، لم أشاهده".

-"إنه فيلم من إخراج كوريا الشمالية. سمعت أنه فيلم جيد. تعالى لتشاهديه معنا".

تقدما سويا. عند مدخل الفندق ، وقف ضابط شاب منتظرا بجانب عربة "فولكا سيدان" بيضاء. قام القوميسار بتعريفه قائلا:

-"هذا هو الرفيق جينج يانج من الفرقة الثالثة على الحدود".

مدّت له "مانا" يدها قائلة:

-"سعيدة جدا بلقائك. أنا مانا يو".

أوشكت "مانا" على الصراخ وهو يقبض على يدها مصافحا ، شعرت بأن أصابعها ستنسحق من عزم قبضته ، مع أنه على ما يبدو لم يلحظ جفولها وارتعاشها من شدة الألم. كان رجل متجهم الملامح ، متوسط الطول ، ثقيل البنية. حمل على جنبه

مسدسا انتاج ١٩٥٩ بدا أصغر حجما بكثير من النماذج الروسية القديمة المتداولة. فى جراب مسدسه أغمدت سبع طلقات.

دخلوا جميعا إلى العربة ، بما فيهم الجندى المساعد. أقيم العرض السينمائى فى قصر العمال الثقافى الذى يبعد قرابة الميل عن الفندق. غص المسرح بالمشاهدين. لاحظت "مانا" وهم فى طريقهم إلى أمكانهم المحجوزة العديد من زملائها فى العمل. كانت "هايان" بين الحضور تتبادل الأحاديث مع كل من يحيط بها. ما أن رأت "مانا" حتى أشارت لها أن تأتى وتجلس بقربها. هزت "مانا" رأسها بالرفض وقد إحمر وجهها خجلا. قبل الوصول للأماكن المحجوزة ظهر ضابط سمين يرتدى بدلة "ماو" وفتح ذراعيه مؤهلا بالقوميسار مُرحبا بصوتٍ عالٍ:

-"كيف حالك أيها العجوز "وى" ؟ أفتقد لك كثيرا".

فوجئ القوميسار "وى" ثم ابتسم وقال بمرح:

-"أنا فى أحسن حال. كيف حالك أنت أيها العجوز "زاو؟".

أجاب الرجل:

-"على ما يرام ، على ما يرام. أرجوك تعالى واجلس بقربى".

أمسك الرجلان بأيدى بعضهما البعض ليتجها نحو الصف ١٤ يتبادلان الحديث عن صحة سكرتير الحزب للشئون البلدية الذى كسر ساقه أثناء رحلة صيد. كانت "مانا" على معرفة بالضابط الذى كان يشغل وظيفة نائب رئيس بلدية "موجى".

اتخذ الجميع أماكنهم. جلس على يمين "مانا" القوميسار ونائب رئيس البلدية ، وعن شمالها جلس "جينج يانج" والمساعد. وما لبثت أن أُطفئت الأنوار وبدأ العرض السينمائى رمى القوميسار سيجارته على أرضية المسرح وداس عليها لتنطفئ.

كانت قصة الفيلم الحزينة تدور حول عائلة كورية فقيرة. يكاد الفيلم أن يكون خاليًا من أى موضوع أو حبكة. تظهر فيه الفتاة الصغيرة راغبة فى الحصول على ثمرة

"كستناء" طازجة ، فتقف تحت شجرة الكستناء " الأبوفروة " الكستناء الكبيرة التى تسلقها ولدا صاحب الأرض. " أبو فروة " الذى كان من أغنى ملاك الأرض فى القرية. أخذ الشابان يقطفان الثمر ويقذفان به نحو مجموعة من الأطفال الفقراء ، الذين التفوا بثيابهم الرثة حول الشجرة علّهم يحظون ببعض الثمار. رمى أحد الولدين الطفلة بثمرة ملئ بالشوك فأصابها فى بؤبؤ عينها لتصاب بالعمى. لذا اضطرت أختها الكبرى أن تتجول فى الشوارع تبيع الزهور لتعول الفتاة العمياء والعائلة بأثرها. استمرت الفتاتان بالبكاء طوال مدة عرض الفيلم مما أثار مشاعر المشاهدين وحرك لديهم الرغبة فى المشاركة. استمعت "مانا" لأصوات البكاء. أصابت العدوى معظم الحضور فأخذوا فى مسح دموعهم. شاركت "مانا" فى زرف الدموع ، ولكنها لم تهتم بمسحها وتركتها لتغرق وجهها. كان القوميسار عن يمينها يرفع يده ليمسح دموعه بمنديله المرة تلو الأخرى ، بينما أخفض نائب رئيس البلدية رأسه وسُمع صوت شهيقه وهو يحاول استرجاع أنفاسه. ضغط القوميسار "وى" على يد "مانا" قائلا:

-"أنا آسف جدا ، لم يكن لىِ علم بأنه فيلم محزن".

وردت "مانا" بصدق:

-"إنه فيلم جيد".

ثم لاحظت أن "جينج يانج" الجالس إلى شمالها لم يتأثر أبدا. على عكس الآخرين جلس صامدا لا يبدى أى انفعال أو حركة. وتعجبت: ألم يؤثر الفيلم فيه؟ أخذت ترقب وجهه المتحجر من زاوية عينها بين الحين والآخر. ظل كما هو ، متباعدا ومنفصلا عما يحيط به. أحس بمراقبتها له فأطلق زفرة مضللة كشفت عن شعوره بالملل والضيق من القصة بدلا من الحزن والتعاطف معها.

أضيئت الأنوار مع انتهاء الفيلم السينمائى. كانت عيون معظم المشاهدين محمرة. لم يشعر أى منهم بالخجل أو الارتباك. استمر البعض منهم فى البكاء وفى مسح أنوفهم بمناديلهم أو بقطع من أوراق الصحف. ردد القوميسار قوله "لمانا":

-"أيتها الرفيقة مانا يو ، لم أكن أعلم أن الفيلم مأساوى بهذا الشكل. لو كنت أعلم لما دعوتك لحضوره".

أكدت "مانا":

-"أنه فيلم جميل وقد تأثرت به جدا".

-"على البقاء بصحبة صديقى العجوز زاو لبعض الوقت. هل تمانعين أن يصحبك الرفيق جينج يانج إلى المستشفى؟".

"أرجوك اكتبى لى وأخبرينى عن رأيك فى كتاب: أوراق المرعى".

-"سأفعل".

صافحها القوميسار "وى" مودعا وأعطى أوامره "لجينج يانج" لاصطحابها ، ومضى فى طريقه مع نائب رئيس البلدية.

كانت عربة "الفولجا" فى انتظارها أمام المبنى. ركبا السيارة التى اتجهت بهما شمالا نحو المستشفى. عمّ السكون المدينة ليلا ، كما لاحظت "مانا" أن السيارة لا تصدر صوتا إلا حين تقترب من الرصيف ليسمع صوت حفيف أوراق الأشجار اليابسة والمتساقطة حين مرور السيارة عليها. شاهد السائق الفيلم السينمائى أيضا. بدا متأثرا جدا لدرجة أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من التعليق ، فبادر بقوله:

-"إنه فيلم حزين جدا".

تبادلت "مانا" الحديث معه بينما جلس "جينج يانج" فى المقدمة صامتا ، مما أثار فضولها واستغربت فيما بين نفسها ، لمَ يبدو بمثل هذا البرود؟ وسألته:

-"ما رأيك يا جينج يانج بالفيلم؟".

- ليس بالسىء".

-"إذن فأنت لم تتأثر به؟".

-"فى الحقيقة ، لا".

-"لماذا؟ بكى معظم المشاهدين تأثرا ، لماذا تبدو بمثل هذا الهدوء وعدم الانفعال؟".

-"لم أبك قط. شاهدت فى واقع الحياة ما هو أشد قسوة بكثير من هذا الفيلم ولم أتأثر".

أغضب رده الجاف والقاسى السائق ، فسأله:

-"ماذا شاهدت؟".

-"آه...لقد رأيت الكثير".

-"مثل ماذا؟".

- " مثلا فى الخريف الماضى ، كنا نعمل بحفر الأساس من أجل بناء مستودع ضخم للخضروات. وبينما كنا نقوم ببناء الحائط بالطوب حدث انزلاق أرضى دفن اثنا عشرة رجلا فى الحفرة. فى أقل من ثانية اختفى الجميع عن الأنظار. ابتلعتهم الأرض. رأيتهم يُدفنون أحياء أمامى. جاء بعدها أهاليهم إلى الكتيبة التى أرأسها من قطاعات مختلفة. كان عليكم مشاهدة منظر بكاءهم ونحيبهم. شعرت معه بتمزق فى أمعائى ولكن كان على الحفاظ على برودة أعصابى لأتمكن من حفظ النظام بين رجال كتيبتى. رفضت الاستجابة لكافة طلباتهم واحدا بعد الآخر. ولم أستسلم مع أنهم نعتونى بأسوأ الصفات. لو كنتم على الجبهة لاعتدتم رؤية الموتى والمصابين. وهكذا كما ترون يموت الكثيرون أثناء الحوادث وفى التدريبات العسكرية هناك دائما الكثير من الحوادث. فأنا أعتقد أن حياة الانسان لا قيمة لها".

وفيما هو مسترسل فى حديثه توقفت السيارة. نزل منها هو و"مانا". أشارت له بيدها من بعيد. ولم ترض أن تمد له يدها لمصافحته. ثم مضت متجهة نحو بيت نوم الممرضات وهى تشعر بعينيه تلاحقانها من الخلف لفترة طويلة. سمعت بعدها صوت باب السيارة وهو يغلق لتنطلق براكبيها بصمت.

أحست "مانا" بشكل ما أن هناك شيئا فى "جينج يانج" يبعث على الإثارة. فهو جرئ وقاسٍ ومختلف عن العديد من الرجال .

الفصل السادس

جلس "لين" إلى مكتبه وأخذ يحدث نفسه بأن عليه رؤية "مانا". كانت الأفكار تأخذه طوال فترة الصباح ، حين تتاح له فرصة للانفراد ، ما بين الكشف عن مريض وآخر كان متلهفًا لمعرفة ما تم فى اللقاء بين "مانا" والقوميسار "وى". شعر بالقلق لكثرة ما سمع عن قصص رهيبة فى الحياة الخاصة للضباط الكبار. كان يخاف أن تقع "مانا" ضحية لأحدهم. فهناك مثلا هذا القائد "بينجهان هونج" الذى كان يبدل زوجاته كل ثلاث أو أربع سنوات. كان يسىء معاملتهن جنسيا فلا تقوى الواحدة منهن على العيش معه لأكثر من هذه المدة. يبدأن بالشكوى بعد سنة من الزواج من إصابة بالكلية تودى بحياتهن. وفى كل مرة كان الحزب يرتب له زواجا جديدا. ولكن بعد تعدد الإصابات أقنعته الإدارة بالزواج من امرأة روسية ضخمة. استطاعت تحمل الأذى وعاشت معه لمدة سبع سنوات. خاف "لين" على "مانا"؛ فقد سمع أن القوميسار رجل ضخم.

أخبره "ران سو" بأن القوميسار "وى" أبلغ إدارة المستشفى فى اليوم التالى للقائه "بمانا" بأنه أُعجب بها ويود أن يستمر فى الاتصال بها حتى يتسنى له معرفتها بشكل أفضل. كذلك علم "لين" من المدير "سو" أن السبب فى طلاق القوميسار "وى" من زوجته أمر سياسى وليس بسبب مشاكل عائلية. فقد قامت الزوجة بنشر كُتيب انتقدت فيه بعض أعضاء المكتب السياسى فى مدينة "بيجنج". وهذا ما جعلها فى موقف مُعادٍ للثورة. كانت نتيجتها أنه حُكم بنفيها إلى مزرعة بعيدة فى الشمال من "تسيتسيهاو". لحسن الحظ لم يرزقا سوى بابنة بلغت سن الرشد وتعمل الآن ممثلةً فى استوديو "شنجكان فيلم".

قابل "لين" "مانا" بعد الغداء وشعر بالراحة حين وصفت "مانا" القوميسار بأنه أشبه ما يكون بعالم منه كمحارب . وقفا فى ممر غرف النوم. أسند "لين" ردفيه إلى حافة النافذة وبدت "مانا" مشرقة مبتهجة وأخبرته قائلة:

-"شعرت به كما لو أنه عمى. فهو رجل لطيف ومثقف".

-"هذا شىء مطمئن. كنت فى غاية القلق عليك".

-"لماذا؟".

-"خفت أن يستغلك".

كانت تحوم حول "لين" ذبابة فرس تحاول الطيران خارج النافذة دون جدوى.

-"سأعود إليك حالا".

قالت هذا وانطلقت نحو غرفة نومها ، لتعود بعد برهة وبيدها مضرب للذباب وكتاب. ضربت الذبابة مرتين وأصابتها. ثم اتجهت نحو "لين" قائلة:

-"هل قرأت يا لين كتاب -أوراق المرعى-؟".

-"كلا لم أقرأه. هل هو رواية؟".

-"كلا إنه كتاب شعر".

-"لم أسمع عنه من قبل. لم تسألين؟".

أعطته الكتاب قائلة:

-"طلب القوميسار" وى "منى قراءته والتعليق عليه كتابة ، وهذا أمر لا دراية لى به. قرأت بعض الصفحات فى الصباح ولم أفهم معنى الأبيات أبدا".

-"عليك الالتزام بتقديم التعليق. يجب أن تأخذى الأمر بجدية".

-"هل يمكنك مساعدتى فى كتابته؟".

-"لا أدرى".

-"أرجوك".

وأخيرا وعدها بأنه سيفكر بمساعدتها. وأخذ الكتاب معه. وفى المساء تصفحه وأُعجب بالكتاب كثيرا و أمضى ثلاث ليالٍ على التوالى فى قراءة الشعر ومحاولة تفسير الأبيات التى استمتع بقرائتها. ولكنه لم يكن متأكدا من قدرته على فهمها فهمًا تامًا .

شعر "لين" بالطمأنينة واحتار فى أمر هذا السكون والصفاء الذى ملأ فكره وهدأ من لواعج نفسه وتساءل: لمَ لم يعد غاضبا من القوميسار وى؟ لمَ لا تنتابه مشاعر الغيرة كغيره من الرجال المغرمين الذين يحاولون بشتى الطرق التمسك بحبيباتهم؟ وخطرت له حادثة القتل. منذ سنتين مضت فى سلاح المدفعية ، حين فجَّر أحد الجنود نفسه مع أحد رؤسائه فى الكتيبة بقنبلة يدوية. كانا كلاهما يحبان الفتاة ذاتها التى تعمل فى إحدى المحطات الإذاعية. بعد الحادثة انتقد معظم الناس رئيس الكتيبة ، الذى استغل مركزه للنيل من غريمه ، ولم يترك له أية فرصة للفوز بالفتاة ، مما دعاه للقيام برد فعل انتقامى. والآن ها هو ذا أمامه احتمال أن يفقد "مانا" إلى الأبد ومع هذا لم ينتبهُ شعور بالرغبة فى السعى للتمسك بها. بل بالعكس يشعر بسلام داخلى وبأن قلبه الكبير لا يحمل أية ضغينة للقوميسار "وى". صحيح أنه كان خائفا للعودة لمحاولة طلب الطلاق من زوجته ، ولكنه لو كان مغرما حقا "بمانا" لما تنازل عنها لغيره بمثل هذا اليسر.

كان رده على هذه التساؤلات بأنه رجل مثقف ، عاقل ، حسن السلوك ويختلف عن هؤلاء الهمج الذين ينساقون وراء غرائزهم وأنانيتهم ، يترفع عن الانقياد لشهواته وميوله.

قرأ كتاب "أوراق المرعى" مرة أخرى وظلت معانى الأبيات خافية عليه. بدا له الشعر غريبا ، همجيا ، جريئا ، مليئًا بالمعانى الفاضحة التى يمكن أن تفسر إما أنها فاحشة بذيئة ، أو أنها مسخرة لمدح الحيوية الإنسانية. كما ظهر بشكل واضح احتفاء

الشاعر بذاته كما لو أنه مصاب بجنون العظمة لدرجة مبالغ بها تدعو لإدانته. ولكن لا شك أنه بشكل عام كتاب جيد ، ومفيد وإلا لما سمح القوميسار "لمانا" بقراءته.

وبعد أن أعاد النظر فى اليوم التالى فى معانى الأبيات ، قرر عدم التعليق على المواضيع الجنسية الفاضحة وعلى عدم ذكر احتفاء الشاعر بذاته والتركيز فقط على رمز "المرعى" وعلى تلك الأبيات التى تمدح القوى العاملة ، خاصة تلك الأبيات التى سماها "أغنية الاحتلال". قرر أن يكون التعليق بسيطا ومتماشيًا مع مدارك "مانا" وقدرتها على استيعاب المغزى ، ومختصرا.

وهكذا بدأ فى كتابة التعليق فى الليل. لم يكن من الصعب الإسهاب فى تفسير الجزء الذى يتحدث فيه الشاعر عن الطبقة العاملة. فالمثال أمامه حىّ. كل ما فى الأمر أنه عددً ما ذكرته أبيات الشعر عن مآثر هؤلاء الشجعان والمثابرين. فالعمال والفلاحون لا يختلفون إن كانوا من أمريكا أو أوروبا أو الصين. يتميزون جميعا بحبهم وتفانيهم للعمل لخير بلادهم..

ولكنه وجد صعوبة فى تفسير رمز "المرعى". لم يجد فى الأبيات ما يساعده على شرحها ولذا اعتمد على خياله وجمله الخاصة. أعاد كتابة تفسير رمز "المرعى" ثلاث مرات وأخيرا اكتفى بالقول بأن المرعى يرمز إلى امتزاج عبير السماء والأرض ويجمع بين "الين" و"اليانج" ، ما بين الروحى والمادى. وهكذا يوحد الجسد والروح ويضم الأحياء والأموات ، محتفلا بالخلود وباستمرار الحياة. باختصار فهو رمز يحمل العديد من المعانى التى تدعو إلى السمو والارتقاء إلى ما لا نهاية. كما أنه محمل بروح البروليتاريا.

حينما قدم "لمانا" الأوراق الخمسة التى كتبها ، طلب منها أن تضيف شيئا من عندها. كما أراد أن ينصحها باستعمال ورق جيد وأن تحسن كتابة كل كلمة بدقة وأن تكتب بخط متقن. ولكنه حين أعاد التفكير أحجم عن نصحها ، فهى راشدة ولم تعد فتاة صغيرة. لابد وأنها تعلم مدى أهمية هذا التعليق فى تقرير مصيرها. وفى الحال

أخذت "مانا" فى نسخ تعليق "لين" على الكتاب كما هو فى رسالة مطولة أخذت منها ست صفحات ، بعثت بها إلى القوميسر "وى" مع كتابه بالبريد. أخذ كل من "مانا" و"لين" يترقبان ردا طال انتظاره. ظنا أن القوميسار سيرد على الرسالة فى الحال حتى أن القلق بدأ يساورهما بعد مرور ما يزيد على ثلاثة أسابيع دون تعليق.

لاحظت "مانا" بعد زيارة القوميسار اختلاف معاملة الناس لها فى المستشفى.كثر تودد رؤوساء المستشفى لها . أخذت المرضات بالنظر إليها نظرات حاسدة. وفى أحد الأيام سمعت "مانا" إحدى المرضات وهى تهمس من وراء ظهرها قائلة:

-"ما الذى أعجبه بها؟ ليس بها أية ميزة".

أما زوجات الضباط فقد سألتها إحداهن فجأة:

-"متى ستنتقلين إلى مدينة هارين؟".

وعلَّقت أخرى:

-"لا تنسى. ابعثى لنا بسكاكر الفرح".

كما علَّق البعض بأن القوميسار رجل محظوظ "بمانا" كما أبدى البعض منهم أسفهم على « لين » .

كانت "مانا" فى مثل هذه المواقف تلتزم الصمت.فهى غير واثقة من جدية القوميسار فى الارتباط بها. ولذا لم تغضبها أقوالهم وحتى فى حال عرضه الزواج منها. ففى نهاية الأمر لا ترى أنه زواج مثالى ، لأنه لا يستند على حب أو ميل من جانبها ، وكما قالت مرارا "للين" كان القوميسار بالنسبة لها بمنزلة العم ، تكنُّ له الاحترام وليس خطيبا يتفتح له قلبها. كما أنه على الأرجح سيعجز عن منحها طفلاً.

فكرت فى أن تطلب من "لين" أن يمنحها طفلا قبل مغادرتها "موجى" ، ولكن حياءها منعها من مفاتحته فى هذا الأمر. كانت على ثقة من أنه سيرفض طلبها هذا ، ولن يرض بمشاركتها. من ناحية أخرى وجدت أن هذه الفكرة ستعرضها لخطر شديد ،

إذا ما اكتشف القوميسار "وى" أنها تزوجته وهى حامل من غيره. لا شك سيعيدها فى الحال إلى المستشفى أو سيأمر بطردها.

بعد أسبوع من إرسالها التعليق بدأت "مانا" بمساعدة "لين" فى تعلم قيادة الدراجة. فهى فى حال انتقالها إلى مدينة "هارين" فى المستقبل لابد أنها ستحتاج لاستعمالها فى تنقلاتها. وبما أن "لين" و"مانا" لا يملكان دراجة إضافية استعار "لين" دراجة زميله فى الفرقة "جنتى تايان". كان هذا الأخير يمضى إجازة الصيف مع عائلته فى الريف. سمح لهما باستعمالها على أن يحافظا عليها .

اعترضتهما مشكلة أخرى. لم يكن مسموحا "للين" بتعليم "مانا" على ركوب الدراجة خارج نطاق المستشفى. كان عليهما التواجد داخل إطار المستشفى وفى حضور الزملاء. بدا الأمر محرجا "لمانا" وهى تقود الدراجة بشكل عشوائى و"لين" ممسك بالمقعد من الخلف ليحافظ على توازنها. كانت "مانا" من القلائل الذين لا يركبون الدراجة بسبب تيتمها وهى طفلة صغيرة. لم تحظ بمن يهتم بها ويعلمها. وهكذا قررت "مانا" بمساعدة "لين" على التدرب حول الملاعب الرياضية ليلا ، حين تخف الحركة والمشاهدون.

كانت "مانا" تنطلق متأرجحة فيلفت "لين" نظرها قائلا:

-"انظرى أمامك ولا تفكرى بالدراجة ".

وترد صارخة:

-"لا أستطيع ، لا أستطيع".

ويعيد تنبيهها قائلا:

-"لا تنظرى إلى الدراجة ، حاولى النظر نحو شىء بعيد".

-"هكذا؟".

-"نعم ، أحسنتِ".

لم تكن تلميذة بليدة ، استطاعت أن تقود بمفردها بعد مرور ساعتين. ولكن ظلت أمامها مشكلة الصعود والنزول من الدراجة. كان عليه أن يركض ليلحق بها حتى لا تقع وليساعدها على التوقف. كما كان عليه أن يمسك بالدراجة كلما أرادت الصعود والنزول. واعترضها مشكلة أخرى واجهتها وهى اصطدامها بكل ما تحاول تفاديه. دخلت فى احدى الجولات بهدف ملعب الكرة ، وصدمت مرة أخرى صندوقا خشبيا ممتلئا بقنابل يدوية غير صالحة. كثيرا ما انفلتت السلسلة التى تربط العجل وكان على "لين" إعادة تثبيتها. استمتعت "مانا" كثيرا بهذه التجربة وبالرغم من جزعها وتعرقها الشديد. بدت سعيدة ومتحفزة وصممت على آخر الليل أن تقود الدراجة بمفردها وتنطلق بها نحو غرفة نومها.

وافق "لين" على رغبتها معتمدا على الظلام وقلة المتجولين ليلا ، بعد أن تعهدت له بأنها ستبطئ فى سيرها. وهكذا قادت الدراجة على الطريق المغبر و"لين" يهرول فى إثرها محاولا اللحاق بها. كان الهواء عابقا برائحة حريق الخشب ، وانتشر الناموس يلف ويدور حول أنوار الشارع. بدت على البعد أوراق الشجر مسودة بتأثير الظلمة. التفتت "مانا" برأسها نحو "لين" صارخة:

-"هأنذا تمكنت من قيادة الدراجة ".

وفى تلك اللحظة برزت أمامها سيدة بلباسها المدنى الأسود تسير باتجاهها وتحمل فى يدها اليسرى سلة مليئة بالغسيل تسندها إلى وسطها. حاولت "مانا" تفادى السيدة بالانحراف يمينا دون جدوى. ففى التو صدم العجل الأمامى السيدة من الخلف ودخل ما بين ساقيها. كبحت"مانا" العجلة بكل قوتها فاستقرت السيدة على الرفرف الأمامى للدراجة. أطلقت "مانا" المكبح لتسير الدراجة بضعة ثوانى أخرى والسيدة محمولة على الرفرف الأمامى كما لو كانت بهلوانا تركب على عجلة منفردة. صرخت السيدة:

-"يا أماه!".

وظلت ممسكة بالسلة الصفراء الممتلئة بالغسيل النظيف وقطعة الصابون المتبقية. وأخيرا ارتطمت الدراجة بالأرض براكبتيها. نهضت "مانا" وحاولت مساعدة المرأة على النهوض سائلة:

-"هل تأذيت يا خالتى؟".

استلقت السيدة على الأرض تدمدم حانقة:

-"هل كنت تصوبين نحو مؤخرتى؟".

-"آسفة جدا ، لم أكن أقصد...".

وفجأة أحست "مانا" بالجزع. فلم تكن السيدة سوى زوجة المدير "سو". تلعثمت ولم تعد تدرى بماذا تجيب. وصل "لين" لاهثا محاولا التقاط أنفاسه وقال مؤنبا "مانا":

-"انظرى ماذا فعلتِ. طالما حذرتك. فأنت لم تتقنى القيادة بعد".

وأصابه الرعب هو الآخر حين تعرف على المرأة. وتوجه بالحديث نحو السيدة "سو" قائلا:

-"هل أُصبت؟ أشعر بأسف شديد".

-"أظن أنى بخير".

قالت هذا وهى ما زالت تتحسس مؤخرتها وأكملت:

-"لقد أحسنت التصويب إلى مؤخرتى لتدخل بعجلتها بين ساقىَّ".

انفجرت "مانا" تقهقه ضاحكة بصوت عال بالرغم من حرصها الشديد على كبح انفعالها. مرت لحظة شعر معها "لين" والسيدة "سو" بالدهشة من رد فعل "مانا" ولكنهما سرعان ما شاركاها الضحك.

بدت السيدة "سو" عارية الرأس بعد أن انزاحت قبعتها التى كانت تغطى بها شعرها المبلل بعد الحمام. مشى "لين" بضع خطوات والتقط لها قبعتها المخملية

السوداء وهى القبعة التقليدية التى تلبسها عامة النساء فى الريف. ما أن ارتدتها السيدة "سو" حتى استعادت الصورة التى اعتادوا عليها كامرأة عجوز عجفاء ، بعد أن اختفى شعرها الأسود تماما تحت القبعة. نظر "لين" نحو قدميها ولدهشته وجدهما قدمين كبيرتين كأقدام الرجال فى الحذاء الرياضى التى كانت ترتديه. اصطحباها سويا إلى منزلها. شعرا بأنهما محظوظين. فالسيدة لن تسبب لهما مشكلة. اشتكت لهما السيدة "سو" أن المسئولين عن الحمام العمومى لم يسمحوا لها بإدخال ابنها ذى السبع سنوات إلى الحمام المخصص للنساء. وكان عليها أن تطلب من جارتها أن تصطحبه فى العودة إلى البيت. ودمدمت قائلة:

-"انه فعلا لقانون غريب ، فهو ما زال طفلا".

عاودا الكرة فى اليوم التالى. كانا أكثر حرصا ومع هذا اصطدمت "مانا" بشجرة صفصاف. خدش غصنها وجنتها تاركا أثرا محمرا. كانت الكدمة واضحة لدرجة بادية للعيان. ولكن هذا لم يمنع "مانا" من الاستمرار فى التمرين ، وكلها رغبة وتصميم للقيادة فى شوارع المدينة بعد حين. لفت الخدش أنظار مدراء المستشفى وشعروا بالمسئولية ، "فمانا" لم تعد فتاة عادية بل هى صديقة القوميسار "وى" وسيُحاسبون على كل ما يجرى لها. وهكذا صدرت الأوامر لكل من "لين" و"مانا" بالتوقف عن التدريبات حتى لا تؤذى نفسها.

وأخيرا ، وصل خبر من مكتب القوميسار خيب أمل مدراء المستشفى. قرر القوميسار قطع علاقته "بمانا". فى حديث هاتفى شرح لهم مساعده بأن القائد تأثر بشخصية "مانا" وثقافتها الأدبية العالية وتعليقها على الكتاب إلا أنه أصيب بخيبة الأمل لرداءة خطها. فالقوميسار كاتب مشهور منذ عشرين سنة ، وهو فى الوقت الحاضر يعمل على نشر كتاب عن المخطوطات اليدوية ، وهو بحاجة لمن يساعده فى كتابة هذا البحث بشكل جميل ، إضافة لأعمال السكريتارية.

أما الحقيقة ، كما سمعها "ران سو" لاحقا ، فهى أن القوميسار "وى" ، بعد أن تعرف على نصف دستة من النساء قرر الارتباط بمحاضرة جامعية شابة متخصصة فى تاريخ العالم تعمل فى جامعة "هارين".

لم يزعج هذا الخبر "لين" كثيرا. شعر بالأسف ، كان عليه أن ينبه "مانا" لتهتم بتحسين خطها. وفى الواقع شعر بالراحة ، فها هى ستعود إليه من جديد. وفى الحال عادت "مانا" لتصبح محور الحديث فى المستشفى من جديد. انتشرت السيرة عن رفض الضابط الكبير لها بسبب سوء خطها. وعاد الناس للَوْك سيرتها. فهى امرأة خائبة ، ضيعت على نفسها فرصة ذهبية بإهمالها. كيف استهانت بالأمر وسمحت لطائر قُدم لها فى قفص ذهبى بالانطلاق بعيدا؟ فعلا. لا يمكن لأية عانس أن تحظَ برجل. وعلق سائق السيارة التى أقلتها إلى ومن الفندق لمقابلة القوميسار قائلا:

-"خسارة فيها وقود السيارة".

شعرت "مانا" بالمهانة والذل. فهى لم تتعلق بالقوميسار ولكن ألسنة السوء التى نهشتها من كل صوب أخافتها ومزقتها. وبدا لها أنهم جميعا شامتون يسخرون منها ، ومن سوء حظها. كانت آلامها شديدة ، وطلبت من "لين أن يتعهد لها بأنه لن يحاول ثانية البحث عن رجل آخر. فهى راضية بمصيرها خيرٌ كان أم شرْ وستلتزم بالانتظار . وصارحته وهى تبكى:

-"لن أُخزى نفسى ثانية بهذا الشكل".

وهكذا بصبر جميل ، وقلب ثقيل عادت إلى "لين".

الفصل السابع

أُصيب "لين" فى الربيع بالسل وعُزل فى منطقة الحجر الصحى بالمستشفى. كان يعانى من الارتفاع فى درجة حرارته ، تزداد بعد الظهر فيتلطخ وجهه ببقع وردية ، وتعتريه قشعريرة باردة أثناء النهار فيشعر بالوهن والضعف فى أطرافه. وكثيرا ما امتلأ بلغمه ببقع من الدماء يبصقه بعد سعال شديد. كان يصحو ليلا والعرق البارد يغرق ثيابه الداخلية. نقص وزنه ما يزيد عن العشرين بوندا وبرزت تفاحة آدم فى أعلى عنقه وأصبحت عَظْمتا فكيه أكثر وضوحا. وهذا ما منعه من زيارة قريته فى الصيف.

بعث برسالة لصهره "بنشنج" ، فزوجته أُمية لا تقرأ ، أعلمه فيها أنه لن يتمكن من زيارة عائلته هذا الصيف لأن لديه العديد من الأعمال مطلوب منه إنجازها فى المستشفى. ولم يأتِ على خبر مرضه حتى لا يقلق زوجته.

يقع بناء الحجر الصحى فى الزاوية الشمالية الشرقية للمستشفى ، وراء سور طويل من شجر السرو الكثيف الأوراق. قسم المبنى إلى قسمين ، يضم الأول مرضى السل وخصص الآخر لمرضى الكبد الوبائى. يفصل ما بينهما بناء من الآجر بمدخنة كبيرة يضم المطبخ والخدمات لكلا القسمين. يحصل المرضى المحجوزون على غذاء أغنى وأفضل من بقية المرضى فى المستشفى.

كانت "مانا" تحضر كل مساء لزيارة "لين" ، فهو كطبيب صُرح له بالخروج خارج المبنى للقاء "مانا" والتجول حول الملاعب التى تحيط بالمبنى ، وفى بعض الأحيان كانا يتمشيان حتى يصلان إلى حظيرة الخنازير ، وبيت الكلاب المسيج بسور حديدى ، إلى

أن يصلا إلى الطاحونة وحقول الخضروات التى كانت تُسقى بماء مستخرج من بئر عميق.

بعد إصابة "لين" بالمرض أصبحت "مانا" أكثر اهتماما به. تصر على زيارته كلما سنحت ظروفها ، لتقضى معه أكبر وقت ممكن. مع أنها ضمنا كانت ثائرة عليه . فلو أنه لم يمرض لمضى إلى قريته فى الصيف ليعيد إجراءات طلب طلاقه من زوجته. عمد معظم المديرين فى المستشفى على غض الطرف عنهما حين يشاهدانهما يتجولان سويا. فهما لا يكسران القانون. يحافظان على السير داخل معسكر المستشفى ولا يمارسان ما ينافى الأصول.

فى أوائل سبتمبر غادر المريض الذى يشارك "لين" غرفته وجاء بدلا منه مريض وافد من مستشفى أخرى. أعجب "لين" بالمريض الجديد. كان ضابطا من ضباط كتائب الحدود ، متوسط القامة ، صحيح البنية ، وتبعا لأقاويل المرضات كان معروفا بين أعضاء كتيبته باسم "القائد النمر". لم يصل للقبه هذا عن طريق الحرب بل لأنه كان قاسيا ، عديم القلب. قيل ، إنه فى أحد التدريبات ألزم فرقته بالجرى لمدة سبعة أميال فى الساعة بكامل عدتهم وعتادهم مما أسفر عن إصابة دستة من الجنود بالإغماء نتيجة لنقص الماء من أجسامهم. نقلوا بعدها على الفور إلى المستشفى للعلاج. حافظ لعدة سنوات على قيادة فرقته إلى أن أُصيب بداء السل وسُرح من وظيفته. كان هناك ثقب بحجم البندقة فى رئته اليمنى قارب على الالتئام حين انضم لمشاركة "لين" فى غرفته. صارح "لين" فى اليوم الأول لمجيئه قائلا:

-"لا أدرى ما سبب نقلى إلى هنا. فأنا لست سوى حطامٍ. ولم يعد لى فائدة بعد تسريحى".

فى مساء اليوم التالى حدَّث "لين" "مانا" عن رفيق غرفته فسألته عن اسمه وأجابها:

-"جينج يانج".

فردت:

-"حقا؟ أظن أنى أعرفه".

وأخبرته كيف أنها التقت به السنة الماضية حين جاء إلى "موجى" ليصطحب القوميسار "وى" فى مهمته إلى الحدود وبأنه على ما تذكر رجل قوى البنية كالحصان. سألته:

-"مما الذى جاء به إلى هنا؟".

-"إنه مصاب بالسل. لكنه بخير الآن".

-"لربما علىّ الذهاب لأسلم عليه".

-"طبعا. لِم لا؟".

ندمت لذكرها لقاءها به. شعرت بانقباض فى القلب. عاودتها ذكرى الإهانة التى لحقت بها بعد لقائها بالقوميسار "وى".

أرخى الظلام سدوله ، فعادا أدراجهما نحو المبنى. كان الطريق مغبرا ، فقد انقطع المطر منذ أكثر من أسبوع. انحجبت سماء المدينة بغيوم داكنة تجمعت على البعد. انبعثت أنوار الحافلات المنطلقة على الطريق القريب بين الحين والحين. وبينما كانا يقتربان من المبنى صدع صوت قصف الرعد قادما من الجنوب ثم بدأت زخات المطر تتساقط على الأسقف وأوراق الأشجار العريضة. أسرعا الخطا . فلم يكن بإمكان "لين" الجرى حتى لا يجهد رئتيه.

كانت غرفة "لين" فى الدور الثالث ، غرفة صغيرة بشباك منفرد وجدران دهنت باللون الأزرق. ازدحمت الغرفة بسريرين وخزانتين صغيرتين. كان "جينج يانج" يقشر تفاحة حين دخل "لين" و"مانا". وما أن رآهما سويا حتى توقف عن التقشير وعلّق:

-"أها..مانا يو. سعيد جدا بلقائك ثانية".

وضع التفاحة والسكين جانبا ومسح يديه بالفوطة ومّد يده مسَلمًا. بادلته المصافحة متحفظة. وبعد أن جلسوا جميعا سألته "مانا":

-"متى حضرت إلى هذه المستشفى؟".

-"هأنذا فى الأسبوع الثانى".

-"حقا؟ لمَ لم نلتق طوال هذه الفترة؟".

-"لا أدرى. ومع هذا ، إنه فعلا لعالم صغير أليس كذلك؟".

ضحك وعاد لتقشير التفاحة. كان يبدو أنحف من السنة الماضية ، ولكنه حافظ على قوة بنيانه. أطلق شاربه وهذا ما أعطاه السحنة المنغولية. لاحظت "مانا" كفيه الضخمين يصلحان وشعرت بأنهما لا يصلحان لتقشير الفاكهة. علّق "لين":

-"جئت على ذكر اسمك فقالت مانا إنها تعرفت عليك السنة الماضية وجاءت لتسلم عليك".

رمق "جينج يانج" "لين" و"مانا" بابتسامة متسائلة وهنا تدارك "لين" الأمر قائلا:

-"آه.. نسيت أن أذكرك بأن مانا صديقتى".

-"أنت رجل محظوظ".

قال هذا ثم اتجه بأنظاره نحو "مانا" متسائلا كما لو أنه يريد أن يقول:

-"إذن ما الذى حصل للقوميسار وى؟".

خمنت ما يجول بخاطره ولكنها تجاهلته وسألته:

-"كيف حالك الآن؟".

-"أنا بخير. قاربت على الشفاء".

غرز السكينة فى التفاحة المقشرة وقدمها لها قائلا:

-"تفضلى هذه. أرجوك".

-"أوه.. انتهيت للتو من تناول الطعام".

ترددت قليلا بعد أن تذكرت أنه يعانى من السل ولا تريد إحراجه ، فأكملت:

-"هل يمكننا اقتسامها؟ فأنا لا أستطيع أكلها كلها".

-"حسنا".

قطع التفاحة إلى نصفين قدم لها النصف وأعطى النصف الآخر "للين". عصفت الرياح فى الخارج وازداد هطول الأمطار ممتزجا بحبات من البرد. كانت الكرات البيضاء تضرب ألواح زجاج الشباك وحافته. علّق "جينج يانج":

-"يا إلهى ، ما هذا الطقس الغريب؟ فهى قلما تمطر ، ولكن إن فعلت ، تبولت وتبرزت وملأت الدنيا كما لو أن مراحيض السماء كلها أفرغت أحشاءها".

نظرت "مانا" إلى "لين" الذى ظهرت الدهشة واضحة على وجهه لدى سماعه هذه اللغة السوقية التى يتحدث بها زميله بالغرفة. أحست "مانا" بالرغبة فى الضحك ولكنها تماسكت. بدأ "جينج يانج" يقص عليهم حالة الطقس على الحدود الروسية حيث تندر العواصف والأمطار فى فصل الصيف. ولكن حين تمطر فإنها لا تتوقف لعدة أيام متواصلة ، لتخلف وراءها الطين والبرك المائية. فلا يتيسر لأية مركبة كانت أن تصل إلى معسكراتهم إلا بعد مرور أسبوع أو أكثر. وهكذا كان عليهم أن يسدوا رمقهم بتناول حبوب الصويا المملحة بدلا من الخضار. ولكن موسم الأمطار كان قصيرا. فالثلج يبتدأ فى أوائل أكتوبر. أفضل الفصول فصل الخريف ، وإن كان قصيرا نسبيا. يتاح لهم خلال جفاف الجو جمع الفطر البرى والزنبق والبندق والكمثرى والعنب. كما أن ذكور الخنازير تتغذى وتسمن قبل دخول فصل الشتاء القارس البرد. انتهت "مانا" من أكل التفاحة واستسمحتهما للذهاب للمناوبة الليلية فى الجناح الطبى. لبست معطف "لين" الواقى من المطر ومضت تشق طريقها بين فيض الأمطار المتدفقة.

كان "لين" قارئًا جيداً لروايات الفروسية. وهكذا أمضى رفيقا الغرفة الوقت يتحدثان عن الروايات والأساطير عن الأبطال الفرسان وحاملى السيوف وعن الجميلات والمعلمين.

وفى بعض الأحيان كان "جينج يانج" يقطع الوقت بالتعليق على شكل الممرضات الشابات العاملات فى المبنى. فهذه تمشى كامرأة متزوجة ، والأخرى تكاد تذوب رقة ، والثالثة أنيقة ولكنها بوجهها المسترجل أبعد ما تكون عن الجمال. وأما أكثرهن طولا فهى ذات مؤخرة عريضة ولا تصلح كزوجة. يمكن للرجل أن يتسلى بها ولا يتزوجها. كان "لين" ينصت مندهشا بدون تعليق. فهو لا يحسن الحديث عن النساء. لم يتمكن من أن يمنع نفسه من التساؤل: كيف استطاع صديقه بالغرفة أن يجمع كل هذه المعلومات عن الجاذبية النسائية؟.

ظن "جينج يانج" فى بادئ الأمر أن "مانا" خطيبة "لين" لأن كلمة صديقة يمكن أن تؤول بمعنى آخر. ولكن بعد أن علم أن "لين" متزوج من امرأة ريفية علّق قائلا:

-"قلبى معك يا بنى. لابد وأنك غارق بالمشاكل. فكيف لحصان أن يجر عربتين؟".

وحين وجده عازفا عن الرد من شدة الخجل أضاف:

-"لا شك أنك رجل محظوظ. خبرنى أيهما تُفضل؟".

قال هذا وهو يغمز بعينه.

تمنع "لين" من الحديث عن كل من زوجته أو "مانا" بالرغم من إصرار "جانج يانج" وعندما أرهقه بالأسئلة أسكته قائلا:

-"كفاك صخبا. أصدقك القول بأننى لم أعاشر مانا قط. نحن مجرد أصدقاء".

-"و هل يعنى هذا أنها ما زالت عذراء؟".

قال هذا وبرقت عيناه الواسعتان وهو يرمق "لين" شذراً وعلّق:

-"يا إلهى. إنك حالة ميئوس منها".

-"نعم. هذا صحيح فيما يخص النساء".

-"أجبنى. هل ما زالت عذراء؟".

-"نعم. هى عذراء. هل استرحت؟".

-"كيف لك أيها الطبيب كونج أن تكون بهذه الثقة. هل فحصتها؟".

-"كفى. لا أسمح لك أن تتكلم عنها بهذا الشكل".

-"حسنا. فأنا أصدقك. لا غرابة أن مؤخرتها بمثل هذه النحافة".

بالرغم من انزعاج "لين" من تعليقات "جينج يانج" الفاضحة إلا أنه أُعجب بالرجل الذى كان مختلفا عن بقية معارفه. أُعجب بجرأته واستهتاره. ينطلق لسانه بكل ما يجول فى خاطره بمنتهى الصراحة. بعد أن توطدت صداقتهما كشف له "لين" عن الورطة التى وجد نفسه فيها بعد أن حاول تطليق زوجته ولم يفلح.

أراد أن يأخذ بنصيحة الرجل الذى بدا شديد الثقة بنفسه وقادراً على البت والحسم فى أمور حياته كما يجب أن تكون عليه الرجال. وفى مساء أحد الأيام، وبعد أن استيقظ من القيلولة أخبر "لين" صديقه "جينج يانج" عما حدث معه فى الصيف الماضى وكيف غيّرت زوجته رأيها فى المحكمة رافضة الطلاق ومصرحة بأنها ما زالت تحبه. تساءل "جينج يانج":

-"لابد أنها تريد منك شيئا. عليك أن تعلم ما هو".

-"إنها لا تريد شيئا".

-"لماذا غيّرت رأيها بعد أن وافقت؟".

-"ليس عندى أية فكرة".

-"لابد أن هناك سببا".

-"أظن أن هذا كله كان تدبير أخيها. فهو أساس المشكلة كلها".

لم يفصح "لين" عمّا أثاره أخو زوجته أمام باب المحكمة. منعه حياؤه من ذكر تفاصيل ما حدث.

-"إن كان بهذا السوء فما عليك سوى إبعاده فى المرة القادمة".

-"كيف؟".

-"لابد أن هناك وسيلة ما".

قال هذا وهو يرتشف الشاى. واستطرد "لين":

-"تعتبر زوجتى فى عيون الفلاحين امرأة مثالية ، ولذا فلن أقدم على أى شىء يسيئ إلى صورتى".

-"أنا متأكد من ذلك".

قال هذا وهو يضحك مستهزئا.

-"ما الذى يضحكك؟".

-"بالطبع. فالطلاق حالة نادرة فى الأرياف ، لم أسمع عن أكثر من حالة طلاق واحدة فى القرية التى أنتمى إليها. ضبط الزوج زوجته وهى فى السرير مع مدير المدرسة الابتدائية. أخذ الزوج الزانى والزانية إلى المحكمة العامة. كسر العسكر المرتزقة ساق المدير وحُكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر. وطلق الزوج امرأته. إن كنت راغبا فى الحفاظ على ماء وجهك ومكانتك فى مجتمعك عليك الاحتفاظ بزوجتك وعدم تطليقها".

-"ولكننى اتخذت الإجراءات بالفعل".

-"فلأكن صريحا معك. لو كنت مكانك لما تخليت عن عائلتى. كنت سأعاشر مانا هنا. فالرجل له احتياجاته التى تبرر أفعاله كما تعلم".

قال هذا وهو يكشر عن ابتسامة ذات مغزى.

-"هل تعنى بأن اتخذ مانا عشيقة؟".

-"أراك تتعلم بسرعة".

تنهد "لين" وأردف:

-"لا يمكننى أن أفعل بها هذا. فهذا سيؤلمها ويتعسها ، كما أنه وضع غير قانونى".

ابتسم "جينج يانج". بدا على وجهه تعبير ينم على الازدراء والاشمئزاز ، ابتسامة لم يلمحها "لين" ولم يفهم مغزاها. فى خارج الغرفة قام أحد الجنود بدعك أرضية الممشى. أصدر احتكاك الفرشاة بالخشب صوتا رتيبا مزعجا. قال "جينج يانج":

-"أرجو المعذرة لصراحتى فى إبداء الرأى. فنحن رجال الجيش وعلينا أن لا نعود للتفكير فى قرار اتخذ بالفعل. إن كنت قررت طلاق زوجتك ما عليك سوى الاستمرار بالإجراءات مهما كانت النتائج. ما الفائدة فى أنك رجل صالح؟ ليس بالإمكان إرضاء الناس جميعا. ولن تستطيع. ما عليك سوى اختيار الوضع الذى يجعلك أقل إحساسا بالألم".

-"لا أستطيع أن أؤذى أحدا".

-"فلأكن صادقا معك يا لين. لا أظن أن الطلاق يسبب كل هذا الألم. أنت الذى تجعله مؤلما".

تنهد "لين" وقال:

-"أشعر فعلا بالحيرة. ولا أدرى ما العمل".

-"الأمر كله بيدك. أنت السبب فى كل هذا الشعور بالتعاسة والحيرة. مرَّ علىَّ مئات الرجل فى حياتى ، وأنا خبير بمن هم مثلك. فأنت خائف دائما من حكم الآخرين عليك. تخاف أن يتهموك بالسوء. تجاهد وتتعب لتبدو رحيم القلب. ولكن ما هو هذا

القلب؟ ليس أكثر من قطعة لحم أعطها للكلب فيلتهمها. مشكلتك فى أسلوب تفكيرك ، ما عليك سوى أن تبدل أفكارك. صدق المثل الذى يقول: أفكارك هى قدرك".

-"صاحب هذا القول بيتهوفن".

-"نعم. هأنا ذا أراك واسع العلم. ولكنك تتردد ولا تجزم. عليك أن تحدد موقفك فى الحياة".

أغمض "جينج يانج" عينيه وأخذ فى ترديد مقولة أخرى:

-"ترى الجدلية المادية أن القضايا الخارجية ما هى إلا أسباب للتغير ، بينما أساس كل تغير ما هو إلا دافع داخلى. من الذى قال هذه العبارة؟".

-"الرئيس ماو فى خطبته: تناقض الأقوال".

-"أراك عالما بكل شىء ، ومع هذا مصمما على البقاء على وضعك كما هو. منتهى التصلب. إن أردت فعلا التغيير فما عليك سوى خلقه بالصورة التى تريدها".

-"ولكن قضيتى ليست باليسر الذى تزعمه".

-"قال الرئيس ماو أيضا: إن أردت أن تعلم مذاق الكمثرى فما عليك سوى أن تتذوقها بنفسك. ثق بى يا صديقى. ابدأ بمضاجعة مانا ، فإن وجدت أنك سعيد معها فى الفراش ستجد نفسك أكثر تصميما فى طلب الطلاق".

-"كلا كلا. هذا محض جنون".

مع أن الحديث لم يساعد «لين» على إيجاد حل لمشكلته إلاَّ أن « جينج يانج » أكد لمانا أن « لين » مازال مصراً على التخلص من زوجته .

فى إحدى الأمسيات جلس الثلاثة على الحافة الحجرية عند المدخل الرئيسى للحجر الصحى يتناولون البطيخ. كان "لين" قد اشتراه من أحد الباعة المتجولين الذين أتوا به من المزارع المجاورة. أصر "جينج يانج" أن يشترى له "لين" بطيخة ويقدمها له كهدية بمناسبة زواجه فى المستقبل من "مانا" بعد حصوله على الطلاق من زوجته ، لأنه لن يكون حاضرا فى حفل زفافهما. قال "للين":

-"ستوافق زوجتك على طلاقها منك السنة القادمة. أنا متأكد من هذا فلا تقلق ، سأجد وسيلة أساعدك بها على إنهاء زواجك. والآن كن عريسا كريما واشترى لى بطيخة".

سُرَّ "لين" و"مانا" من نظرته المتفائلة فى الوقت الذى كانا يشعران بالإحباط وانعدام الحيلة خاصة بعد أن أطلع "لين" "مانا" على المقالة التى نُشرت فى الصحيفة المحلية فى الريف بعد طلبه للطلاق تندد به كزوج غير مسؤول.

انقبض قلب "مانا" إثر قراءتها للمقال وخافت أن يتراجع "لين" عن عزمه خاصة وأن القاضى كان مصرا على معرفة اسمها ومكان عملها. وبعد تفكير دام ثلاثة أشهر خافت "مانا" من ضياع الفرصة عليها ، فطلبتْ من "لين" أن يشهر اسمها فى المحكمة إذا ما اقتضى الأمر. تأثر "لين" كثيرا من جرأتها وتصميمها ووعدها بأنه سيبذل كل ما بإمكانه للحصول على الطلاق.

ومع هذا كانت كثيرا ما تنتابها الهواجس بأنه يعمل على استغلالها ليستمتع بوجودها معه لتقوم على خدمته وتسليته ثم تعود وتذكِّر نفسها بأنه رجل طيب القلب ، لا يتعمد إيذاءها. وها هى الآن تشعر بالسعادة وهى تراه يلتمس النصح من شريكه فى الغرفة وهذا ما يؤكد جديته فى سعيه للطلاق. وحتى تظهر مدى امتنانها اشترت بوندين من الفراولة من أحد الباعة المتجولين وقدمتها "لجينج يانج" ، الذى أخذها وقال لها مازحا:

-"وهل هذه أيضا هدية بمناسبة زواجك القادم؟".

-"نعم".



الفصل الثامن

تحسنت صحة "لين" بسرعة وعاد لوجهه لونه الشاحب المعتاد. تضاءلت اللطخة عن رئته اليسرى وأصبحت بحجم اللوزة بعد علاج دام شهرين ، وأظهر التشخيص أنها ستتقلص قريبا. كان السر في شفائه السريع دواء جديد من الأعشاب اسمه "بيبو" ، اعتمدته المستشفى لعلاج بعضا من مرضى السل. فيما وُصف المضاد الحيوى "ستربتوماسيين" فى علاج البعض الآخر. وتبين بعد فترة أن الاستجابة للعلاج بالأعشاب كان إعجازا. ولدهشة "لين" وجد أن الحقن التى أخذها إلى جانب زيت كبد السمك والفيتامينات قد عالجت أيضا التهاب المفاصل الذى كان يعانى منه منذ فترة طويلة ، وإن لم تعالج تقرحات الوركين التى سببت له عرجا خفيفا.

فى أوائل شهر نوفمبر ، وبعد أن تماثل "لين" للشفاء صدرت له الأوامر للذهاب إلى بلدة "ستينيانغ" ليتابع برنامجا دراسيا ، خصص للضباط فقط ، عن نظرية "ماركس" للقيم الفائضة. تحمس للذهاب ، ليس بسبب اهتمامه بالكتاب والنظرية ، بل لأنه كان قد أمضى دراسته الجامعية فى هذه المدينة ، وكان يود العودة لزيارة الأماكن التى ما زال يتذكرها.

تحسنت صحة "جينج يانج" ولكنه ، بعد أن سُرح رسميا من الجيش كان ينتظر أن يُصدر له الأمر ليغادر المستشفى بعد التأكد من شفائه تماما من السل. أصبح انتقاله إلى بلدته وشيكا. ولذا قرر "لين" و"مانا" دعوة "جينج يانج" إلى الغداء بالمطعم قبل مغادرة "لين" إلى "ستينيانغ". طلبا إذنا من المدير "ران سو" للسماح لهما بالذهاب إلى المدينة. وافق "سو" بشرط أن يمضى الثلاثة سويا خارج المستشفى.

ركبوا الحافلة التى أقلتهم إلى وسط المدينة. كان اليوم يوم أحد ، ازدحمت الطرقات بالعربات والباعة المتجولين الذين يصرخون منادين على بضاعتهم. عبق الجو برائحة زيت القلى على طول الطريق من الجانبين. وصلوا إلى مطعم "حديقة البحار" حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر. دخلوا المطعم وصعدوا السلالم الحجرية إلى الدور الثانى ليبتعدوا عن الازدحام والصخب.

نزع "جينج يانج" قبعة الفراء عن رأسه وعلقها على ظهر كرسى حديدى. حذا "لين" و"مانا" حذوه ، وما أن استقروا على الطاولة حتى جاء النادل بمريلته الحمراء ليأخذ طلباتهم. طلبوا عدة أطباق باردة. كبداية: رأس خنزير ، فطر مخلل ، باذنجان ، وبط مملح. وأما الأطباق الرئيسية فكانت فطيرة محشوة بلحم الخنزير ، وفطر مجفف ، وكرنب مع قواقع بحرية. اعترضت "مانا" حينما طلب "جينج يانج" لترا من الجعة لأنها مضرة لصحته ولكنه لم يستمع لها. جاء النادل بالجعة فى كوز ضخم ، رفعه "جينج يانج" وقال مبتسما:

–"فى صحتكما".

رفع "لين" و"مانا" كأسيهما المليئان بالماء الساخن وتبادلوا الأنخاب. نهرت "مانا" ضيفها بعد أن رأته يعبُّ قدرا كبيرا من الجعة قائلة:

–"يبدو أنك مستغنٍ عن رئتيك".

قهقه "جينج يانج" بارزًا أسنانه الضخمة ورد:

–"ما الداعى لأخذ الحذر بعد أن انعطبت رئتاى".

ملأ طبقه بكمية كبيرة من زيت الفلفل الحامى ، بينما أضاف كل من "لين" و"مانا" معلقة صغيرة من المستردة وتوقفوا عن الطعام فى انتظار الفطيرة. حطَّ على إفريز النافذة أمامهم أربعة من الطيور. كان الإفريز البارز ممتلئًا بالسخام الأسود الذى بدا كبراز الفئران. أخذت الطيورترتجف وتهتز كلما سمعت أبواق السيارات العابرة فى الشارع. كان أحدها أعور العين ، ظهرت بقعة دماء متجمدة فى زاوية عينه بينما كان

الثلج يهطل بخفة فى الخارج. ظهرت بعض من نتف الثلج تتأرجح على أسلاك الكهرباء. وتلبدت السماء بالغيوم وأظلمت الدنيا قليلا. سُمع صوت أحد الباعة مناديا:

-"أسماك طازجة اصطيدت صباح اليوم".

وانطلق صوت امرأة تنادى على بضاعتها مترنمة:

-"عجينة مقلية ، حلوة وساخنة. القطعة بخمسة عشر فن".

أحضر النادل الأطباق الساخنة والفطيرة مرة واحدة. غمر بخار الطعام سطح المائدة لبضع ثوان. سُر "لين" من سرعة الخدمة. وهجم "جينج يانج على " قطعة من أذن الخنزير ووضعها فى فمه وأخذ فى لوكها قائلا:

-"إنها لذيذة بالفعل".

أخذ "لين" و"مانا" قطعة صغيرة من الفطيرة بعصيانهما ووضعاها فى قصعتيهما. ثم نظرا إلى بعضهما البعض. خمَّن "لين" لابد وأنها تفكر مثله. فها هى المرة الأولى التى يتناولان فيها الطعام سويا فى مطعم. غمره شعور بالأسى والشفقة على النفس ولكنه فطن أن بصحبتهما ضيفا. وجاهد نفسه ليلم أشلاءه. كانت "مانا" تركز أنظارها إلى المائدة كما لو أنها لا تجرؤ على النظر لأى من الرجلين. حاول "لين" التظاهر بالمرح وهو يرجو ضيفه أن يأخذ راحته بالأكل. لم يكن من داعٍ لهذا الرجاء ، "فجينج يانج" قام بالواجب تماما. فى منتصف الطعام أعلن الضيف عن أسفه الشديد لأنه لن يكون موجودا ليلة زفافهما ليشرب نخبهما ما إن ذكر كلمة "زفاف" حتى اكفهر وجه "لين" و"مانا" والتزما الصمت. صرخ بهما "جينج يانج":

-"ما الداعى لكل هذا الحزن؟ فنحن ما زلنا أحياء وعلينا الاستمتاع بالحياة".

مس "لين" جبهته برؤوس أصابعه وأخذ يمضغ عودا من الثوم الأخضر كان يزين رأس الخنزير ثم قال:

-"لو بيدى فعل أى شىء لفعلته".

-"أعد المحاولة السنة القادمة. لو كان لدى امرأة جميلة مثل "مانا" لفعلت المستحيل". "إبتهج يا لين وتذكر فأنت رجل محظوظ. المفروض أن تكون شاكرا وراضيا".

-"شاكرا على ماذا؟".

-"على كل ما لديك".

هز "لين" رأسه. بينما أخذت "مانا" تنتقل ببصرها جيئة وذهابا ما بين وجهى الرجلين. وبعد فترة صمت سألت "جينج يانج":

-"هل بإمكانك يمكنك أن تقدم لنا نصيحة؟".

-"فلأكن صادقا. أنا لا أحبذ فكرة الطلاق. ولكن لو أنكما ترغبان فى العيش سويا كزوج وزوجة فلابد لكما من خوض التجربة".

تساءل "لين" وهو يقطع قطعة من الفطيرة بعصيانه:

-"نعلم هذا ولكن كيف سنحصل على الطلاق؟".

-"لابد أن هناك مخرجا ما. فحتى لو صنعت رقبة الأوزة من الحديد ، فلابد وأن هناك منفذا لتغرز فيها سكينتك".

-"كفاك تباهيا. أعطنى جوابا عمليًا ومحددا".

-"وجهات نظرنا مختلفة ، ولكنى متأكد أن المال يصنع المعجزات. أعرض على شويو ألفى ين".

-"كلا كلا فأنت لا تريد أن تفهم. فهى لا تريد أموالا منى ، إنها امرأة بسيطة طيبة القلب".

-"لا أصدق هذا. لو أعطيت المال للشخص المناسب سيساعدك. بإمكانك شراء الشيطان بالمال ليزرع لك الحب ويطبخ لك الطعام".

لم يعلّق "لين" و"مانا" بكلمة. أصابتهما الدهشة من طريقة تفكير "جينج يانج" الحاسمة. وأكمل "جينج يانج":

-"لا تنظر إليَّ هكذا كما لو كنت شبحا أو ما شابهه. بإمكانى أن أثبت لك صدق نظريتى".

قال هذا وهو يصوب عصيانه نحو صدر "لين" ، وأكمل:

-"إليك هذا المثل. منذ ثلاث سنوات أُعجب قائد فى فرقتى بصحفية شابة من "بيجنج". فأمر باعتقالها ليمضى معها أسبوعا. فبعثت صديقاتها ببرقية إلى مركز القيادة فى "ستينيانغ" يشكونه ، وهكذا صدرت الأوامر للضابط ليخلى سبيل الفتاة ولم يكن أمامه من خيار سوى الانصياع للأوامر فى الحال. ظننا بعدها أن الرجل لابد سينال عقابه ويُسرح. صدر أثناءها تقرير داخلى ينتقده بشدة واعتقدنا جميعا أنه انزاح من مركزه. هل تتذكر تلك النشرة؟".

-"نعم ، أتذكرها فعلا. ما الذى جرى له؟".

-"رُقى السنة الماضية إلى مركز قيادى أعلى".

-"و كيف تم هذا؟".

تساءل "لين" و"مانا" فى صوت واحد.

-"يُقال إنه اشترى زوجين من الأساور بمبلغ ألف وخمسمئة ين. قدّم زوجا منهما لقائد الكتيبة والآخر للقوميسار ، قائلا بأنه يفخر بأن يقدم لهما شيئا من إنتاج المدينة التى تربى بها. لم يكن هذا صحيحا كما خمَّن الجميع ، ولكنه نجح فى رشوة القادة ونال الترقية بدلا من التسريح. هل تريان؟ استطاع بماله أن يغير قدره. لو كنت أملك مالا لما سُرحت من الجيش. إن لم تعد صحتى تسمح لى بقيادة الفرق على الحدود ، فبامكانى بكل سهولة أن أجد عملا فى مراكز القيادة. فأنا أرى أننى أفضل من كثيرين غيرى. ألست معى فى ذلك يا لين؟".

ورد "لين" منبهرا:

-"نعم بالتأكيد".

ثم أزاح بمعلقته قطع الثوم المفروم من على مخلل الباذنجان وأخذ قطعة صغيرة ووضعها فى فمه. أكمل "لين" و"مانا" طعامهما بهدوء. وهما غارقان فى التفكير فى نصائح ضيفهما ، حائران فى كيفية الاستجابة لها. قطع "لين" الصمت سائلا "جينج يانج":

-"هل بإمكاننا تقديم أية خدمة قبل أن تغادرنا؟".

اشتركوا جميعا فى البحث عن أرخص وسيلة لشحن متاع "جينج يانج" بالسكة الحديد. كان قد اشترى مؤخرا ألواحا من خشب الصنوبر السميك من تاجر أخشاب. كان هذا النوع من الأخشاب غاليا ونادرا فى بلدته التى تقع فى مقاطعة "أنهوى". كما اشترى ثلاثين «بوندا» من القماش الصوفى وجلود الخرفان ليصنع منها عدة معاطف حال وصوله إلى بلدته.

فى تلك الليلة فكر "لين" فى نصيحة "جينج يانج". بدأ تدريجيا فى استيعابها ، لربما لا ترغب "شويو" بالمال. ولكن بإمكانه رشوة الآخرين ، خاصة صهره "بنشنج". ستنقاد زوجته لكلام أخيها إذا ما أقنعها بقبول الطلاق. وهذا ما سيحفّذها على القبول فى المرة القادمة. وفى هذه الحالة لن تتأجل القضية كالعادة إلى الصِيف التالى. اقتنع "لين" أن المفتاح لحل المعضلة بيد "بنشنج".

ولكنه بعد أن أعاد التفكير وجد أنه غير واثق من صهره. فلربما قبض الرشوة ووضع المال فى جيبه دون أن يحرك ساكنا. رشوة مثل هذا الرجل استثمار خاسر وخطر. ألفا ين مبلغ غير بسيط. فهذا يزيد عن راتبه السنوى مرة ونصف. إنها لمخاطرة كبيرة على الرغم من أنه واثق أن "بنشنج" رجل جشع يبيع عائلته كلها بمثل هذا المبلغ. كلما أمعن التفكير بالأمر ازداد شكه بسلامة الفكرة.

مضى فى الليلة التالية إلى الجناح الطبى ليجد "مانا" بمفردها فى المكتب. ما إن رأته حتى توقفت عن قراءة التقرير اليومى الذى تركته لها الممرضات المناوبات ، وجرّت له كرسيا ليجلس عليه. حدثها بما جال فى خاطره فى الليلة الماضية ، ولدهشته بادرته بالسؤال بهدوء:

-"هل تملك هذا المبلغ؟".

-"كلا. لا أملك سوى ستمائة ين فى البنك. وأنت هل تدخرين شيئا؟".

-"نعم. لدى القليل".

ولم تذكر له المبلغ. كان راغبا فى معرفة قدره.

-"لو أننا قررنا لربما استطعنا استدانة بقية المبلغ من الآخرين. ما رأيك؟".

صمتت برهة ثم قالت:

-"إن لم تكن تملك هذا المبلغ فلا تقدم على تنفيذ الفكرة".

قالت هذا وهى تعبس وتزم شفتيها. يبدو أنها أيضا أمعنت التفكير بالأمر. فقد كان جوابها سريعا وحاسما.

كما اكتشف إنها ترفض المساهمة فى تنفيذ الفكرة ، فهى ليست على استعداد للمشاركة بأموالها. أحبطت هذه الحقيقة من عزيمته؛ فهو لن يلجأ للاستدانة لتوفير المبلغ. كل ما سيجنيه تحميل نفسه عبء دين سيصعب عليه سداده. سألها:

-"إذن ما العمل؟ ليس أمامنا سوى الانتظار".

ردت بيأس:

-"لا أدرى. أخاف إن أعطينا بنشنج المال ، كمن يضرب الكلب بكرة من اللحم. لن ينفعنا هذا فى شىء. كنت أظن أنك تمتلك هذا المبلغ".

-"كلا. فأنا لا أملك سوى ستمئة ين فقط".

-"إذن لا فائدة من التفكير. فأنت لا تملك المبلغ".

-"هذا يعنى أن نصرف النظر عن الموضوع".

-"نعم".

قالت هذا وعادت لقراءة التقارير اليومية. عمّ الصمت الغرفة. شعر "لين" بالخزى؛ فالتقاليد تقتضى أن يتكفل الرجل بكافة المصاريف إلى أن يأخذ عروسه إلى بيت الزوجية. ما كان عليه أن يسألها المساعدة. كان عليه الالتزام بالصمت وعدم مفاتحتها بالموضوع.

الفصل التاسع

التقت "مانا" صدفة فى صباح اليوم الثلاثاء "بجينج يانج" عند محطة الأتوبيس أمام مسرح المستشفى. كان هذه الأيام منهمكا فى حزم حاجاته ونقلها إلى محطة السكة الحديد لشحنها. كما كان يزور أصدقاءه ومواطنيه لوداعهم قبل السفر. ما أن رأها حتى بادرها قائلا:

-"لدى كتابان من كتب لين. هل يمكنك المجىء لاسترجاعها ؟".

-"متى ستعود إلى غرفتك؟".

-"تعالى فى أى وقت هذا المساء. سأغادر فى مساء الغد".

ردت بأنها ستذهب إليه حوالى الثامنة مساءً ، لأنها فى هذه الأيام تعمل فى وردية النهار. لمعت عيناه ببريق غريب. وافتر ثغره عن تكشيرة مريبة ، توترت معها أعصاب "مانا". تهيأ لها أنها ترى حشرات طائرة فى قزحة عينيه اللتان اصفر سوادهما. مضت "مانا" فى طريقها ، انتابها شعور غامض بأن عينيه تتفحصانها من الخلف أثناء سيرها. وقالت لنفسها:

-"آه من عينيه الجائعتين".

بالرغم من الإحراج التى كانت تسببها لها نظراته المفترسة إلا أنها كانت تشعر بالميل إليه. فهو رجل فحل ، قوى وشجاع ، وواضح إلى حد الابتذال. كانت تتمنى لو أن "للين" بعض من صفاته. لو اختلطت طباع الرجلين سويا لاصطلح حال الاثنين وأصبحا أكثر توازنا وقبولا. "فلين" ولا شك دمث ولطيف ، هادئ الطبع ، ولكن تنقصه اللهفة العاطفية والرغبة المتأججة.

شعرت "مانا" بالهدوء بعد سفر "لين" إلى مدينة "ستينيانغ". لاحظت أنها لم تفتقد له كثيرا وأنها تستمتع بوحدتها ولو لعدة أسابيع. كما أنها استراحت من غسل ثيابه ومواصلة التفكير به. كانت تتذكره إذا ما تنازعت مع إحدى الزميلات أو اذا واجهتها مشكلة فى العمل. تفتقد لوجوده حولها ، تحدثه بهمومها ويسرى عنها. جعلتها هذه المشاعر المتضاربة تعى قيمة الزواج. فهو ليس فقط لإنشاء عائلة وإنجاب الأطفال ، بل إنه يخلق حميمة يفضفض بها الزوجان عن همومهما بالاستماع لبعضهما البعض ، طالما أنهما لا يجرؤان على الإفصاح عن أفكارهما علنا.

اتسع الوقت أمام "مانا". سجلت نفسها فى مدرسة ليلية لدراسة اللغة الإنجليزية التى أصبحت اللغة الشعبية بعد زيارة الرئيس الأمريكى "ريتشارد نيكسون" للصين سنة ١٩٧٢ ، كما كانت قد سمعت أن عليها معرفة لغة أجنبية لتحصل على ترقية كمساعدة طبيب. قبل سنة ١٩٦٠ كانت اللغة اللاتينية هى اللغة الأجنبية الوحيدة الإلزامية فى مجال الطب. واتسع المجال الآن أمام اللغتين الإنجليزية واليابانية. ولذا انتسبت ما يزيد عن أربعين ممرضة إلى المدرسة الليلية. سهّلت لها "هايان" الحصول على قاموس للغة الإنجليزية؛ فقد كان هذا الأمر صعبا جدا. تزوجت "هايان" فى الصيف الماضى وترقّت لتصبح رئيسة للممرضات. لم تنتسب للمدرسة الليلية بسبب حملها. فالدروس ستبتدأ بعد عدة أيام فى الثامن من ديسمبر ، وسيقوم بالتدريس أساتذة من جامعة "موجى".

مضت "مانا" فى المساء نحو مبنى الحجر الصحى كما وعدت "جينج يانج" لتأخذ منه كتب "لين".سطع القمر بدرا فضيا ، يقشع الغيوم المتأرجحة كالموج. تسرب نور القمر من خلال أغصان الأشجار العارية وتبعثرت ظلاله المتلئلئة على الأرض المغطاة بالثلج. مما طارت بعض الطيور عاليا فى الظلام ترفرف بأجنحة فسفورية مرتعشة. تجمعت حول أقدام "مانا" كرات من الثلج الموحّل دفعت بها الرياح فانزلقت متدحرجة. أحست مما جعلها تشعر بالبرودة فىِ قدميها وانطلق صوت الرياح تصرخ كالطفل. فتحت الباب الخارجى للمبنى ودخلت. كان المكان مظلما وساكنا من الداخل كما لو كان

مهجورا. صعدت السلالم وهى تشعر بالحسد من ممرضات هذا المبنى لقلة عدد المرضى وحدّ ما يقلل من ساعات عملهن.

فتح لها الباب "جينج يانج". كان يرتدى بدلة نوم رمادية اللون وأدخلها مُرحبا. عبقت الغرفة برائحة الخمر والعفونة. كان جو الغرفة رطبا بسبب البخار المنبعث من سترة مبلولة نشرت على السخان لتجف تحت النافذة التى بدا لون زجاجها محمرا فى الظلام. افتر ثغر "جينج يانج" عن تلك التكشيرة المريبة واحمرت عيناه من شدة السكر. بدا تحت نور الفلورسنت شاحب الوجه، مقعر الوجنتين ومدبب الشارب. استقرت على السرير الذى كان يرقد عليه "لين" حقيبة سفر مفتوحة وملئ بالثياب وفوط الوجه المتعددة الألوان. وردى، برتقالى، أصفر. على ما يبدو أنها هدايا من رجال كتيبته. على الطاولة، قرب السرير، لاحظت "مانا" كتب "لين" وزجاجة كحول فارغة. قالت وهى تشير إليها وتنزع قبعة الفراء عن رأسها:

-"أمازلت تغرق نفسك بهذا المشروب؟".

قهقه ورد عليها:

-"تعالى واجلسى يا مانا ودعينى أوجه لك سؤالا".

ثم مضى نحو الباب وأحكم إغلاقه.

-"ماذا تريد؟".

قالت هذا وهى تضع كتب "لين" فى حقيبتها.

-"ما سر اهتمامك الشديد بى؟".

قال هذا وهو يحدجها بنظرات مريبة مكشرا عن أنيابه. ثم وضع يديه على كتفيها دافعا بها لتجلس على سريره. احمر وجهها وأشاحت بنظراتها نحو السقف.

-"انظرى لى. أصدقينى القول. ألا تشعرين بالميل لى؟".

شعرت بذهول منعها من الرد. بدأ قلبها فى الخفقان بشدة. بينما استمر فى حديثه:

-"قولى لى لمَ اشتريت لى الفراولة؟".

فوجئت وشعرت برغبة فى الضحك ولكنها تمالكت نفسها. وحينما لم يسمع منها ردا أمسك ذراعها بيده اليمنى. كانت القبضة من القوة بمكان أنها صرخت من الألم قائلة:

-"أبعد يديك عنى".

وقعت قبعتها على الأرض ولكنها لم تتمالك الانحناء لالتقاطها.

-"اسمعى لما سأقول يا عذرائى الصغيرة. ألا ترين أننى أفضل من لين كونج. لماذا تصرين على الولاء لهذا الحمار؟".

تساءلت صارخة:

-"من الذى أخبرك بأننى عذراء أيها الوقح. كلكم سواء أيها الرجال. قليلو الحياء. وقحون".

-"فعلا. فأنا رجل وقح وماجن حينما تكون أمامى امرأة جميلة".

-"جينج يانج ، أنت سكران ، وغير متمالك لقواك العقلية وإلا لما نطقت بهذا القول".

-"كلا. فعقلى واع تماما ، بالرغم من احمرار وجهى. فأنا أعلم أنك معجبة بى. رأيت هذا فى نظراتك لى. فأنا فى الواقع أشم رائحة المرأة الملتهفة".

بدأ يسعل وهو يغطى فمه بكفه. كانت أنفاسه ساخنة وحمضية.

-"اتركنى أذهب. أرجوك".

-"كلا ، هذا مستحيل".

-"أنت صديق لين. فكيف تخونه بهذا الشكل وتتمادى مع خطيبته. ألم تسمع بالمثل القائل: على الرجل الصالح أن لا يتعدى الأصول مع نساء أصدقائه ؟".

رمى برأسه إلى الخلف وأطلق ضحكة صاخبة هزت قلبها متسائلا:

-"كيف لعذراء أن تعتبر نفسها زوجة؟ هل تصدقين أن لين كونج سيتزوجك؟ فأنت لست حتى عشيقة له!! إنه رجل لا خير فيه لا يحسن التعامل مع المرأة".

-"كفى ، كفى. اتركنى أذهب".

وانحنت لتلتقط قبعتها. ولكنه أمسك بكتفها ومنعها من الحراك. وأكمل حديثه:

-"انتظرى. لم أنهِ حديثى بعد. أسرَّ لى لين بأنه لم يضاجعك أبدا. كيف له كبت نفسه والتحكم بعواطفه؟ شاهدت عضوه مرة ونحن فى الحمام العمومى ، ومن يومها وأنا فى حيرة. لربما أنه مزدوج الجنس".

كادت يُغمى عليها من شناعة اتهامه. مدت يدها لتمسك بحامل السرير وتستند إليه. وأعملت فكرها. لا يمكن أن يكون ادعاؤه صحيحا؛ فقد رُزق "لين" بطفلة من "شوويو". كما أن تفاحة آدم بارزة فى عنقه ، دلالة على رجولته. لو أنه شاذ أو غير طبيعى لما عَمِلَ فى المستشفى. وهنا صرخت به "مانا" محتدة:

-"لا تطعن فى سمعة رجلى. إخل سبيلى وإلا فإننى سأصرخ طالبة النجدة".

وقبل أن تضيف المزيد كانت يده الضخمة تقبض على حنجرتها. زعق بها:

-"إسكتى. إن صرخت ثانية سأضربك".

-"أرجوك يا جينج يانج لا تؤذينى. أنت قائد من رجال الثورة وليس من المفروض أن تقدمَ على مثل هذا العمل".

-"لم أعد ضابطا بعد أن سُرحت ولم يعد يهمنى شىء. ولماذا أهتم؟ أنت التى جئتِ إلىَّ بكامل رغبتك. كل من سيسمع بالخبر سيعتبرك عاهرة. فقد جئت لى غير مرغمة".

-"أنتَ الذى طلبت منى المجىء لاستلام كتب لين".

-"وهل بإمكانك إثبات هذا القول؟".

دفعها إلى السرير وبدأ فى تقبيلها ولعق وجهها ورقبتها بينما هى تصارع وترجوه نائحة. حاولت أن تخلّص ساقيها ولكنه كان متحكما بهما تحت ساقيه. أمسك بيده اليمنى بقبضتيها بينما امتدت يده الأخرى تعبث تحت قميصها. أمسك بثدييها الواحد بعد الآخر وهو يصرخ:

-"آه.. ما أطيب رائحتك. أنت لذيذة ولكن صدرك صغير".

دفس أنفه فى شعرها يتشممها ولمعت حبات من العرق على جبهته. حاولت إبعاده والتخلص من براثنه ولكن جسمه الثقيل وساقيه ألصقاها بالسرير ، بينما اتجه بيده اليسرى ليفك حزام سروالها وينزله. وهنا بدأت تجأر ثائرة:

-"اتركنى اتركنى!".

-"فلنرى. لديك مؤخرة جميلة".

-"أرجوك يا جينج يانج. اتركنى هذه المرة. سأعود إليك فى الغد. أعدك. سأتركك لتفعل بى ما تريد. ولكننى غير مستعدة الآن. أرجوك. أرجوك".

كانت ترتجف من رأسها لأخمص قدميها. شعرت بالغثيان كما لو أنه سيغمى عليها. وبدأ صدغاها ينبضان بومضات عنيفة. بدا لها أن رأسه تضخم إلى ضعف ما هو عليه.

-"لا لا. لن أتركك . أتظنين أننى لا أعلم أنك كاذبة؟".شدّها بقوة وقلبها على بطنها ثم ضغط بقوة بسبابته على مؤخرة عمودها الفقرى. كان الألم شديدا لدرجة أنها شعرت معه أنها فقدت الرؤية والإحساس بالجزئ السفلى من جسدها الذى نمّل تماما. أحست بجرح فى جسدها. بصق على رؤوس أصابعه وبدأ يمسد شق مؤخرتها. حاولت ضم ما بين ساقيها ولكنها كانت فاقدة السيطرة عليهما. لم يعد أمامها سوى البكاء بحرقة ويداها تتطوحان بدون فائدة على السرير.

-"انظرى إلى هذا".

شدّها من شعرها ورفع رأسها إلى أعلى ليجبرها على النظر. لم يخطر ببالها قط أن العضو الذكورى يمكن أن يتضخم بهذا الشكل. بدا كعضو الحمار، وهذا ما زاد من رعبها.

-"هل ترين مدى ضخامته. إنه كالبرغى. لا بل إنه كمدفع الهاون".

-"أرجوك لا. أرجوك لا تفعل هذا بى".

دفع بوجهها نحو السرير وصرخ:

-"اصمتى. فعضوى مصمم لاختراق عذراء عانس مثلك".

قال هذا وهو يغرز عضوه داخلها بقوة الكلب. أحست بشلل كامل وبآلام التنميل تجتاح طرفيها. شعرت كما لو أنها تصارع من أجل الحياة فى مياه داكنة مثلجة ومذاق الدماء يملأ فمها. اشتعل نار الغضب والحنق فى صدرها وانطلقت الشتائم من حنجرتها:

-"اللعنة عليك أيها الحيان القذر. اللعنة على كل عائلتك. ستنقطع خلفتك وسيهلك أهلك جميعا السنة القادمة".

-"قولى ما تشائين. أهلى ماتوا وانتهى أمرهم. وأنا أب لولدين ولا أرغب بالمزيد".

-"سيموت أولادك كالكلاب المسعورة!".

بدأ يتأوه منتشيا وهو ما زال يتأرجح فوقها.

-"اللعنة. سيموت أولادك منسحقين تحت عجلات الشاحنة".

دفع بوجهها نحو السرير كاتما صوتها وأنفاسها. حاولت أن تلف برأسها إلى الجنب لتسترجع أنفاسها ولكن يده سمّرت رقبتها ومنعتها من الحركة. بينما ظل جسده مختلجا فوقها. أخذت ترتجف وتصارع بكل قواها علّها تحصل على نفس قصير من

خلال الأغطية النتنة وقطن الفراش العفن. أنهى تشنجه فرفع قبضته عن رقبتها فأخذت تسعل وتلهث ثم عادت لتصب لعناتها عليه.

-"ما هذا الذى تتلفظينه أيتها العاهرة؟".

قال هذا وهو يشدّها من ياقة قميصها. أطلقت عيناها شرر الغضب وصرخت من بين أسنانها:

-"ستكون الأخير فى سلالة والدك".

صفعها على وجهها زاعقا: "اخرسى!" لترتمى ثانية على السرير. ارتعشت يداها وهى تحاول رفع سروالها وقفل حزامها. تحرك بعيدا عنها ، وتمدد على السرير الآخر. أغمض عينيه وأخذ يقهقه قائلا:

-"هائنذا حصلت على ما أريد. اذهبى وبلغى كل من تريدين. اطلبى من الرؤوساء سجنى أو طردى من الحزب. كل هذا لم يعد يهمنى. بإمكانهم عقابى بالطريقة التى تحلو لهم. ولكن علىَّ أن أنذرك بأن عليك أن تفكرى مرتين قبل الإقدام على البلاغ عنى. فلن يصدقك أحدا".

أشعل سيجارة ثم أمسك بزجاجة الخمر من عنقها وابتلع رشفة منها ثم أكمل:

-"لو لم تكونى عذراء لقذفتك بهذه".

قال هذا وهو يلوِّح بالزجاجة ويعود إلى القهقهة التى انقلبت إلى سعال جاف ومتقطع. التقطت "مانا" قبعتها دون أن تنطق بكلمة ومضت نحو الباب وفتحته وانطلقت إلى الخارج. ضج المر بصدى صوت حذائها الثقيل وهى تنزل السلم راكضة. تعثرت عند نهاية السلم ولكنها أمسكت بسوره الحديدى حتى لا تقع.

عند المدخل الرئيسى واجهتها الستارة السوداء فخُيل إليها أنها فم ضخم سيبتلعها فى أحشائه. أزاحتها جانبا وانطلقت خارجة. بدت لها الأشياء فى الخارج مزدوجة. شعرت بالبيوت والأشجار كما لو أنها تسبح حولها. وماج الشارع الأبيض

تحت قدميها كالسحاب ، بينما ارتفع عويل الرياح من ورائها كأشباح تطاردها. ما أن قطعت مسافة مائة ياردة حتى تزحلقت ووقعت على الثلج. انهارت قواها ولم تقو على النهوض فأخذت حفنة من الثلج رشقتها على وجهها ترطبه وتغسله ثم ابتلعت بضع حفنات أخرى. تسرب الطعم الصدئ للمياه المثلجة فى حنجرتها فوخز حجابها الحاجز ومعدتها وسبب لها ألما حادا أنعش تفكيرها بعض الشيء. تحاملت على نفسها ونهضت تجرجر ساقيها إلى أن وصلت إلى جناح نومها. لحسن حظها لم تكن زميلاتها بالغرفة. ذهبت اثنتان منهن إلى السينما ومضت الثالثة إلى المناوبة الليلية. تمددت على سريرها وأطلقت لدموعها العنان. ظلت تنتحب لما يزيد على نصف الساعة وهى تفكر وتتساءل ما العمل. خامرها خاطر أن تبلغ المسئولين بالاغتصاب. شكّت فى صحة هذا القرار. فهل سيصدقونها؟ كانت هى التى ذهبت إليه فى غرفته بكامل رغبتها. ألن يفترضوا أنها سعت إليه بنفسها؟ سينفى "جينج يانج" اتهامها له وسيدّعى أنها حاولت إغراءه. لن تستطيع إنكار هذه التهمة والدفاع عن نفسها. فليس هناك أى شهود عيان. فكيف لها أن تثبت براءتها من تهمة الإغراء؟ وكيف ستتهمه بالاغتصاب؟ يا إله السموات!.

شعرت "مانا" بالضياع. لو كان "لين" موجودا. ولكن حتى "لين" لن يستطيع مساعدتها. فلولاه لما مرّت بهذه المصيبة. ما الذى جعله يصاحب هذا الذئب الكاسر؟ ثم خطرت لها فجأة فكرة أن عليها غسل السائل المنوى من داخلها لتمنع احتمال حملها منه. فتحت سروالها وكشفت على نفسها فرأت بقعة حمراء مبللة على لباسها الداخلى بحجم راحة اليد. لابد وأن هناك المزيد من السائل الوسخ بداخلها. ولذا وضعت حوض غسيلها على الأرض ، قرفصت فوقه وأخذت تهز نفسها منتظرة تساقط السائل منها. فعلت هذا وهى مستمرة فى نحيبها. كانت مفاصل فخذيها الملوختين تؤلمانها بشدة وزكمت أنفها رائحة نتنة كريهة عبقت ، ليس فقط من لباسها الداخلى ، ولكن فى أرجاء الغرفة كلها. كما لو أن ثيابها كلها تلوثت بالسائل النتن لهذا الرجل. وهذا ما أصاب معدتها بالتشنج. شعرت بالغثيان فرفعت من جزعها لتصل إلى الحوض وتتقيأ.

ظلت مقرفصة فى الزاوية لما يزيد على عشرين دقيقة دون أن تسقط نقطة واحدة من سائله. أصابها رعب شديد. تذكرت الحرقة التى شعرت بها حين قذفه والتى استمرت لما يزيد عن نصف دقيقة. هل يعنى هذا أن سائله المنوى تسرب إلى داخل رحمها والتقى ببويضتها؟ حاولت أن تطمئن نفسها. لا يمكن أن يتم الأمر بهذه السرعة. انتصبت واقفة. بدلّت ثيابها ببدلة نوم نظيفة وأخذت وعاء الغسيل ومضت إلى خارج الغرفة وهى تضع فوطة على كتفها لتأتى بالماء الساخن. ما إن خرجت حتى لفحها ريح مثلج من الممر فارتجفت بردا. شعرت بوجهها منملا وملصقا كما لو أنه ملىء بالقرح. وفكرت لا يمكن أن يكون هذا بتأثير الصفعة ثم تذكرت لابد أنه لعاب "جينج يانج" مازال لاصقا بجلد وجهها. مضت إلى غرفة الغسيل ، أفرغت الحوض وملأته بالماء البارد ثم بدأت فى دعك وجهها بالفوطة مرة بعد مرة. بدّلت الماء ثلاث مرات متتالية ولكن رائحة لعابه الكريهة أبت أن تنزاح عن جلدها. عادت بذاكرتها إلى طفولتها حين لصقت يسروعة (دودة) صفراء على رقبتها. انتابها الشعور ذاته باللدغة ، يؤلم وجهها ويحقّن حنجرتها.

عادت إلى الغرفة. نزعت عنها ثيابها وبدأت فى غسل جسدها مرارا وتكرارا علّها تزيح عنها رائحة سائله القذر التى كانت شبيهة برائحة نتانة السمك. ظلت الرائحة عالقة بالجو كما لو أنها تخللت كل محتويات الغرفة وملأتها بزخمها. فكرت أن تحرق لباسها الداخلى. ولكن خطر لها الاحتفاظ به؛ فلربما احتاجته كدليل ضده. وهكذا لفته داخل قميص قديم وخبأت اللفة على اللوح الخشبى تحت فراشها. ملأها الرعب من جديد وهى تفكر بأنها لم تُنزل حتى ولا نقطة واحدة من سائله بالرغم من قفزها لأعلى وأسفل لما يزيد على الثلاثين مرة. تُرى هل تسلل إلى رحمها؟.

فى تلك الليلة ، وخيفة أن تثير شك زميلاتها بالغرفة ، غمرت رأسها بغطائها واسترسلت فى بكاء صامت ، عاجزة عن النوم. هل تُبلغ المسئولين بحادثة اغتصابها ، أم تلتزم الصمت؟ لكَم تمنت لو تسند رأسها إلى صدر حنون أو أن تركن بين ذراعين دافئتين تعتمد عليهما وهى تفرغ مكنون أحزانها. أو لو أن لها منزلا خاصا تُطلق فيه العنان لتنوح بأعلى صوتها ، لتشفى غليلها دون أن يسمعها أحد ، ولكن ها هى ذى فى غرفة ضيقة فيها ثلاثة من زميلاتها. كتمت حشرجاتها بكفها إلى أن أنهكها البكاء واستسلمت للنوم.

الفصل العاشر

في صباح اليوم التالي ، كانت هناك هالات زرقاء حول عيني "مانا" ، مما لفت أنظار الممرضات فتساءلن عمَّا بها ، ونصحنها بإستئذان الإدارة للتوقف عن العمل والراحة حتى ولو ليوم واحد. تحججت بأنها تعاني من الحساسية بعد أن أكلت سمكا مقليا في اليوم السابق، وأنها الآن بخير وتشعر بتحسن. اندهشت "مانا" من قدرتها على تأليف حجة سريعة ومقنعة. أمضت الفترة الصباحية وهي تسرع للرد على الهاتف كلما رن ، فبالرغم من كراهيتها الشديدة "لجينج يانج" وآلام الرأس الشديدة التي كانت تعاني منها إلا أنها تأملت بمكالمة هاتفية يعتذر فيها عمَّا ارتكبه في حقها بسبب احتسائه الكثير من الخمر. ظنت أن الأمر لم ينته عند هذا الحد. فلو أنه هاتفها راجيا العفو والسماح لن تغفر له وستكيل له المزيد من الشتائم ، علّها تشفي غليلها ، وحين نفد صبرها ولم تسمع منه شيئا ، اتصلت في منتصف النهار بقسم الأمراض الوبائية ، وقيل لها: غادر جينج يانج القسم في الصباح الباكر وحلَّ مكانه مريض جديد. وقد ترك باسمها حقيبة صغيرة بها بعض الكتب.

جلبت هذه المعلومات المزيد من الغضب وفيضا من الدموع. من الواضح أن "جينج يانج" خطط لعملية الاغتصاب وهرب. لم يعد بإمكانها اتهامه ليحاكم بعد أن غادر "موجي" ، مكان اقترافه لجريمته الشنعاء.

شعرت "مانا" بالضياع. حاولت شغل وقتها بأي عمل. أخذت تمسح وتنظف الطاولات والكراسي في المكتب ، وأوصلت قُرب الماء المغلي إلى المرضى ، ثم أخذت ترتب أكياس الهدايا التي بعثها المدنيون المرضى من أحذية رياضية ، وعلب سجائر ودفاتر مذكرات ، وفاكهة مجففة ، وكفوف صوفية وسكاكر. حاولت جاهدة أن تركز على

مـا تقـوم به ولكـن وجـه "جيـنـج يانج" المرعب وذكرى الليلة الماضـيـة ظل أمامـهـا يطل عليـهـا بين الحـين والآخـر. فقـدت معهـا شـهيتهـا للطعام وامتنعـت عن تـناول وجبـتهـا فى المسـاء.

كانت "هـايان" صديقتـهـا الوحيدة ، وبعد أن فقدت القدرة على كتمان سرهـا مضت نحو منزل "هـايان" ، الذى يقع فى الطرف الشرقى للمستشفـى ، لتفضـفض لها بهمّها. تزوجت "هـايان" من ضـابط مسئول عن الصحـافة والدعاية فى المسـتشفى. فقد أسـرت مـرة "لمانا" بأنـهـا لا تفكر بالزواج بطبيب ، فـهـو فى نظرها ليس أكثـر من تقنى أُحسن تدريبه. بهرتـها قدرة "هونجان" الخطابية وبلاغته الكتابية.

سُرَّت "هـايان" بزيارة "مانا" ، رحبت بها قائلة:

-"تفضلى بالدخول يا مانا".

كان زوجـها منهمكا فى تنظيف المائدة ، ما أن رأى "مـانا" حتى انحنى لها محيّيا وأطفأ المذياع. كان رجل طويل القامـة ، صـارم الوجه يميزه سنيين من الذهب يبرقـان فى فمـه. بدت "هـايان" سعيدة بزواجـهـا بـالرغم من نظرة الناس إلى زوجـهـا الذى علّق أحدهم بقوله:

-"زهرة يانعة مزروعة فى مستنقع".

همست "مانا" "لهايان":

-"أود التحدث معك على انفراد ، فى أمر شخصى".

اصطحبتها "هـايان" إلى غرفة نومها وسـألتها وهـى تضع يديها على بطنها المنتفخ:

-"ما وراءك؟".

-"اغـ..اغـ.. اغتصبت".

-"ماذا؟".

"اغتصبنى جينج يانج".

-"كيف كان هذا؟".

-"نصب لى كمينا فى غرفته واغتصبنى".

-"اهدأى واشرحى لى ما حصل. ماذا تعنين بأنه نصب لك كمينا؟".

بصوت مرتجف أخذت "مانا" فى وصف كيف أنه دعاها إلى غرفته لتسليمها كتب "لين" وكيف قام باغتصابها. كانت تتكلم والدموع تنساب من عينيها تغرق وجهها. كانت كل فترة تخرج لسانها لتلعق دموعها عن شفتها العليا. نادى"هونجان" من غرفة المعيشة قائلا:

-"وضعت الماء على السخان لتصنعى شايا. سأخرج الآن".

-"إلى أين؟".

-"إلى المكتب".

-"حسنا ولكن لا تتأخر".

عادت إلى "مانا" وسألتها:

-"هل بلغتِ عن الحادث؟".

-"كلا ، لا أعلم كيف سأتصرف".

-"وأين جينج يانج الآن؟".

-"غادر إلى بلدته فى صباح البارحة. هل كان علىّ أن أُبلّغ فى الحال؟".

-"اتركى لى فسحة لأفكر".

قالت هذا وقطبت جبينها لتظهر الغضون حول أنفها. قالت "مانا" وهى تمسح دموعها بظهر يدها:

-"خفت أن أُبلغ فلا يصدقنى أحد".

-"أظن يا مانا أنك تأخرت بالبلاغ. من الصعب جدا إثبات عدم وجود موعد بينكما. فأنتِ ذهبت إليه فعلا بمحض اختيارك. فكيف ستدعين أنه اغتصبك؟".

-"إذن ما العمل؟ أنا المذنبة وأستحق كل ما جرى لى".

وعادت إلى البكاء.

-"يا عزيزتى أنا لا ألومك".

قالت "هايان" هذا وهى تلّف ذراعها حول "مانا" ثم أكملت:

-"كفى ، لا تعذبى نفسك هكذا كما لو أنك مخطئة. أعرف الكثيرات من النساء وقعن فريسة للاغتصاب. فأنا لدىّ مثل: قام صديق أختى باغتصابها منذ سنوات ولم تتمكن حينذاك من تقديم أى بلاغ. فبعض الرجال حيوانات فى ثياب إنسانية".

-"إذن فأنت تنصحينى بالالتزام بالصمت؟".

-"وهل عندك رأى آخر؟".

-"هل أخبر لين؟".

-"كلا ، ليس فى الوقت الحاضر. ولكن يجب أن تخبريه فى المستقبل. فهو يحبك وسيتفهم الأمر. لقد أخبرت أختى زوجها عن حادثة اغتصابها. لم يتقبل الوضع فى أول الأمر. فكما تعلمين يعتبر معظم الرجال أن زوجاتهم عذراوات ، ولكنى أعلم أن لين مختلف. فهو رجل طيب ومثقف وسبق له الزواج. كما أنكما على علاقة حب منذ سنوات طويلة ، سيتفهم الأمر".

ارتاحت "مانا" للنصيحة ، وقبل أن تغادر منزل صديقتها أمّنتها بأن لا تبوح بسرها لأى شخص كان. وعاهدتها "هايان" قائلة:

-"بالطبع ، لن أتنفس بكلمة لمخلوق".

فى الأيام التالية عانت "مانا" من شعور بالإحباط واليأس. كان يتهيأ لها أن وجهها ما زال ملطخا بلعاب "جينج يانج"و كانت تمضى لياليها مسهدة تدعو إله السموات أن يأتى حيضها فى وقته المرتقب فى منتصف ديسمبر ولا تصاب بالحمل. يؤرقها هاجس ، ما العمل لو حملت بالفعل؟ إنها لفضيحة لا ريب فيها. هل ستجهض نفسها؟ هذا مستحيل. من المفروض أن يوقع معها شريك من الذكور على الأوراق ، وإلا فسترفض كل المستشفيات إجراء عملية الإجهاض. وفى حال اعترافه بالمشاركة سيُحاكم ويُعاقب. من ذا الذى سيتحمّل هذه المسئولية ويرضى بهذا العقاب؟ حتى ولا "لين" نفسه سيوافق على الاشتراك فى هذه المصيبة. لن يحضر "لين" إلا بعد شهرين ، فما العمل لو اكتشف حملها؟ لم تجد أمامها من سبيل سوى الانتحار. وهكذا بدأت فى اختلاس عشر حبات مخدرة كل يوم من زجاجتين تحتويان على أقراص مُسكنة للألم من دولاب الأدوية الموجود بمكتبها.

بدأت الدراسة الليلية للغة الإنجليزية ولكن "مانا" كانت قلقة لدرجة لم تستطع استيعاب أى شىء فقررت الانسحاب وباعت القاموس الإنجليزى لزميلتها "يوينج ديو" المتخصصة فى الصيدلة ، والتى كانت مثلها فتاة عانسا. احتجبت "مانا" عن الأنظار متعللة بأنها تعانى من آلام الحيض والتزمت غرفتها تحاول أن تخفى مخاوفها وحزنها.

بعد أسبوع تلقت رسالة من "لين" يخبرها فيها أنه على ما يرام فى "ستينغ يانغ" ويسأل عن أحوالها. لم ترد عليه مباشرة. ظلت تنتظر بفارغ الصبر طمثها الذى جاء متأخرا عدة أيام. أخيرا فى الثالث والعشرين من ديسمبر شعرت بانتفاخ فى ثدييها وبتقلصات فى بطنها ، وفى مساء اليوم التالى تدفق الحيض المتأخر نازفًا. ظنت معه أن هذا المجرم الحقير "جينج يانج" لابد وأنه سببّ لها خرقا داخليا فى أوعيتها.

الفصل الحادى عشر

عاد "لين" بعد ستة أسابيع ، قبل احتفالات الربيع فى شهر فبراير. اندهش لرؤية "مانا" وقد بدا العجز على وجهها واضحا. انطفأ بريق عينيها وحلَّت مكانه نظرة حزن دفين وانسحبت الدماء من شفتيها ووجهها. جفّت بشرتها وتهدلت بعد أن كانت تمتلئ بالحيوية والإشراق. لاحظ خطين رأسيين محفورين فى جبهتها. وأهملت تسريح شعرها ليبدو على آخر النهار مشعثا. كما كانت سارحة ساهمة متباعدة لا تعير اهتماما لما يقول. وظهرت فى صوتها نبرة حادة ، لم يلحظها من قبل ، وحتى نفسها أصبح ثقيلا لدرجة توسعت معه فتحتا أنفها. ذكرته حالتها بالنساء الحوامل اللاتى يعانين من شعور بالغثيان والقيء فى الصباح ، وضيق النفس والرغبة للانفجار فى البكاء.

شعر بأن شيئا ما أصابها فى غيابه. ترى ما هو؟ حاول استجوابها ولكنها كانت تصر أنها بخير. بينما كانت فى السر تتناول علاجا بالأعشاب يساعدها على تقوية جهازها المناعى ، ويغذى "الين" عندها لتسترجع عافيتها ويساعدها جسميا ونفسيا.

أثناء احتفالات الربيع تعمدت الابتعاد عن "لين" مدعية بأنها مرهقة ولا تقوى على السير وترغب فى الانفراد بغرفتها. كثيرا ما أصابتها الكوابيس فى نومها. كانت تصرخ وهى نائمة مما يوقظ زميلاتها فى الغرفة فيُقفذن من أسرَّتهن ظنا أن هناك حالة طوارئ. مع الوقت تحسنت حالتها ، ولكنها ظلت مستسلمة للاستلقاء على سريرها لما يزيد عن الأربعين ساعة أثناء الأجازة.

بعد انتهاء الاحتفالات بأسبوعين عزمت "مانا" أمرها وحدّثت "لين" بما أصابها. كانا يقفان بالقرب من عامود مسلح للكهرباء. كانت الأسلاك تتأرجح فى الهواء من

شدة الريح باعثة صفيرا حادا. اتسعت عينا "لين" وظل شاخصا وقد تسمرت نظراته على وجه "مانا". وأخذت ذقنه فى الاهتزاز وشفتاه فى الارتعاش وهو ينصت إلى كلماتها وقد انسحبت الدماء من وجهه وتعرق أنفه.

بعد أن انتهت "مانا" من رواية حادثة اغتصابها ساد صمت قطعه صوت "لين" متحشرجا من بين أسنانه وقال:

-"حيوان ، إنه فعلا لحيوان!".

تقلص وجهه وأخذ خده الأيسر يرتج متشنجا. ودت أن تقول:

-"هل نسيت. لقد اتخذته صديقا!".

ولكنها قاومت هذه الرغبة. استسلم "لين" لحالة من الصمت والذهول وأخذت يداه تلوى كراسة التقارير الطبية التى كان من المفروض أن يطّلع عليها. قطعت "مانا" الصمت قائلة:

-"أخطأتُ بالذهاب إلى غرفته. هل ستغفر لى هفوتى يا لين؟".

قالت هذا وهى ترتعش من البرد. لم يجب على سؤالها. بدا كما لو أنه لم يسمعه ، وظل عابسا. وضعت "مانا" يديها فى جيبى معطفها وأكملت حديثها:

-"لا تنزعج يا لين. تحسن حالى الآن بعد علاجى بالأعشاب ، فقد ساعدنى كثيرا".

عصفت الريح وأطلقت صفيرا حادا ، وحلّق سرب من النسور ثم حط على أغصان شجرة الصفصاف العارية. سُمع صوت بندقية صيد من الجانب الآخر من المبنى لينطلق على أثره سرب من الحمام مبعثرا فى الجو وناشرا نتفًا من الثلج.

ظل "لين" صامتا وسارحا مع أفكاره. اجتاح الغضب "مانا" وقد تذكرت أنه السبب فى ما حصل لها بعد أن أفشَى "لجينج يانج" بأنها ما زالت عذراء. ولم تتمالك نفسها فصرخت به:

-"يبدو أنك الآن تعتبرنى امرأة رخيصة عاهرة بعد أن فقدت عذريتى!. انطق! قل أى شىء! خبرنى بما يجول فى ذهنك ولا تعذبنى بصمتك هذا! تذكر أنك أنت الذى أخبرت جينج يانج بأننى عذراء. وهو ما يجعلك مذنبا أيضا!".

-"أوه.. أنا آسف جدا. لو أنى عرفته أكثر. كان علىّ أن أفهمه حين قال أن القلب ليس سوى قطعة من اللحم".

قال هذا وهو يضرب جبهته بكفه ، ثم يعود للصمت من جديد. انتظرت "مانا" أن يواسيها وأن يفصح عن المزيد من التعاطف ولكنه التزم الصمت. أغاظها سكوته؛ فهو إما غير مهتم بها أو غير مقتنع بادعائها. أرعبتها الفكرة. وسألت نفسها: ما الذى سيؤول إليه حالك ورجلك لا يصدقك؟ هل يعتبرك هو أيضا عاهرة؟. أخذ فكها يهتز مرتجفا وداهمتها رغبة قاهرة على البكاء ولكنها تمالكت نفسها. وأخيرا بعد أن لاحظ القهر والألم واضحا فى عينيها قال:

-"ذهلت لدرجة أفقدتنى الوعى. هل أنت الآن فعلا بخير؟".

-"نعم".

امتلأت عيناها بالدموع. أراد أن، يضمها بين ذراعيه ويطيب خاطرها ولكنه لاحظ أنه على بعد ثلاثين ياردة منهما انهمك سبعة أو ثمانية من الجنود يزيحون الثلج عن أرصفة الطريق وهم يصفرون. حافظ على المسافة بينهما وأجبر نفسه على القول:

-"أظن أنك بحاجة لمساعدة طبية يا مانا. فأنت شاحبة ومريضة".

-"لا يمكننى اللجوء وطلب العناية الطبية ، أحاول علاج نفسى".

-"علينا أن نفكر بطريقة ما. اتركى لى فسحة لأفكر بالأمر. هل يمكننا اللقاء للحديث بهذا الأمر الليلة؟".

-"طبعا. ولكن لا تقلق علىّ. فقد تحسنت فعلا".

أشار بعينيه وبيده محذرا. كان عليهما ألا يقفا سويا لفترة طويلة وهكذا سارا سويا إلى المبنى الطبى.

أخذت حادثة الاغتصاب جلَّ تفكير "لين" وكان كلما أوغل فى التفكير اشتعل غضبه وحنقه على نفسه. فمن الواضح أن "جينج يانج" استغل سلبية "لين" وعدم اتخاذه قراراً سريعًا للارتباط "بمانا". فهى حتى لا تُعتبر خطيبة له. وهذا ما شجع هذا الشيطان على استغلال الفرصة واقتراف جريمته الشنعاء. ساعد تردده وتباطأه على فتح الباب أمام الذئب. إنه فعلا مسئول بشكل ما عن عملية الاغتصاب كما قالت "مانا". لابد وأنها تكرهه الآن وتحتقره. فهو كرجل عاجز عن حماية امرأته ومتردد فى اتخاذ قرار فورى وسليم. شد شعره ولعن نفسه قائلا:

-"يا لك من رجل حقير".

تساءل الطبيب الشاب الذى يشاركه مكتبه:

-"ماذا تقول؟".

-"أوه. لا شيء".

شعر "لين" بأن القضية لم تحسم بعد. كان قلقا على "مانا" ، ليس فقط على صحتها ، بل أكثر على حالتها النفسية والعاطفية. ولكن ما باليد حيلة. فهو لن يجرؤ على طلب إجراء فحص شامل لها خيفة أن يكتشف أمرها. وهو كطبيب ليس بيده سوى أن يصف لها بعض المهدئات ومضادا للاكتئاب.

احتار. ما هو العلاج الطبى الصحيح لمن تقع ضحية للاغتصاب؟ فكُتُب الطب التى درسها لم تأت على ذكر هذا الموضوع. ازداد شعوره بالضيق والذنب وازدادت معه نقمته من سلبية "هايان" التى لم تُقدم "لمانا" أية مساعدة إيجابية بعد أن أسرَّت لها بحادثة اغتصابها.

بعد العشاء تقابل "لين" و"مانا" وتحادثا. قال لها:

-"أرى أن نبلغ ران سو بالحادث".

-"لماذا؟ هل جننت؟ هذا يعنى أننا سننشر السر على الملأ.

-"من الأفضل إبلاغ الرؤساء درءا للمشاكل".

-"ماذا تعنى يا لين؟".

-"لو أخذوا علما بالحادثة سيمكنك الحصول على المساعدة الطبية أو النفسية إذا ما لزم الأمر. بالنسبة لنا هذا أهم ما فى الموضوع".

-"أنا بخير ولست بحاجة لأى علاج".

-"استمعى لى ولو لمرة واحدة".

-"كلا. لن أقوم بهذا. فلو علم الناس بالاغتصاب سأُبتذل وأرخص فى نظر الجميع. وأصبح أقل قيمة من الأرملة".

تنهد "لين" ولكنه لم يستسلم وأكمل:

-"هناك سبب آخر يجعلنى أعتقد أن علينا إبلاغ ران سو".

-"ما هو؟".

-"لقد أبلغت هايان بالأمر. وهى شخص لا يمكن الاعتماد على تكتمها. علينا اتخاذ الاحتياط فيما لو تسرب الخبر".

-"وعدتنى بأنها لن تخبر أحدا".

-"لا أثق بها".

-"لماذا؟".

-"لا يمكننى أن أحدد تماما. ولكنى بالفطرة فقط أخمن بأنه لا يمكن الوثوق بوعدها، لقد وضعت الكثير بين يديها. لو سربت سرك ستدخلك فى محنة كبيرة. سيقتلك الناس بألسنتهم. استمعى لى. من الأفضل إبلاغ ران سو حالا".

استندت "مانا" إلى مكتبه وأحاطت وجهها بكفيها وأطلقت العنان لدموعها. قال لها مهدئا:

-"لا تبكى يا عزيزتى. إن فضلّتِ كتمان السر فلن أخبر أحدا".

-"أود أن أحتفظ به سرا بيننا".

-"حسنا. ولكن تحدثى فى ثانية مع هايان وأكدى عليها الالتزام بوعدها".

-"سأفعل هذا غدا".

بعد هذا الحديث أصبح "لين" أكثر اهتماما "بمانا". فأكثر من شراء الفاكهة لها من برتقال وكمثرى وفاكهة مجففة ومسكرة. كما اشترى لها من عند العطار فرعًا صغيرًا من قرن الإبل دفع فيه اثنين وخمسين ينا. أى أكثر من ٤٠٪ من راتبه الشهرى. ومع الأسف لم تتمكن "مانا" من استعمال القرن لأنه ولدّ فى جسمها كمية كبيرة من "اليانج"، إلا أنها سُرت لاهتمامه. شعرت أخيرا بأنه يمكنها تجاهل حادثة الاغتصاب والمضى من جديد لاستكمال حياتها.

× ملاحظة: تبعا للعقيدة الصينية يجب أن يكون هناك توازن بين "اليان"، طاقة ذكورية، و"اليانج"، طاقة أنثوية، فى جسم الإنسان.

الفصل الثانى عشر

فى صباح يوم من أيام أبريل ، قابلت "مانا" المدير "ران سو" أمام مدخل مبنى التحاليل الطبية ، ومع أنه سلَّم عليها كعادته بلطف إلا أنها شعرت أن عينيه المبطنتين ترمقانها بنظرة مريبة ، كما لو أنه يحاول تحديد مقاييسها . التفتت لتواجهه فأشاح ببصره عنها ثم أدار وجهه نحوها بابتسامة مفتعلة ووجه متجهم. وفجأة خطر لها: يبدو أن المدير "ران سو" قد اكتشف حادثة الاغتصاب. تخضب وجهها خجلا واعتصر الألم قلبها . شعرت بأن حدسها فى مكانه فمضت إلى "لين" لتخبره وتستشيره. حاول أن يخفف من مخاوفها ولكنه كان أكثر اضطرابا منها ، وأقسم بأنه لم يكشف عن سرها لمخلوق.

كان شكّها فى مكانه ، فى اليوم التالى وبينما كانا هى و"لين" فى طريقهما لملأ قواريرهما الحافظة للحرارة (الترامس) ، شاهدا السيدة "سو" قادمة من الجهة المعاكسة. وما أن اقتربت منهما حتى بصقت على الأرض وقالت بصوت عال:

-"هذه هى التى سلمت نفسها لرجل بكامل رقبتها!".

كانت بكامل ثيابها السوداء وبدت منتفخة العينين. تظاهرا بأنهما لم يسمعا شيئا ، بالرغم من شعورهما بالصدمة. وما أن مضت المرأة بعيدا عن مدى السمع حتى انهالت "مانا" تلعن"ران سو". دافع "لين" عن "ران سو" ، فهو لا يمكن أن يأتمن زوجته ويبلغها بالحادثة ، فهو يعلم مدى ثرثرة وبذاءة لسان زوجته. حتى أنه قلما يوجه إليها أى حديث. لابد وأن السر تسرب من زوجات الضباط اللواتى كن يتسلين بخوض سيرة الناس ونشر الأخبار.

ومن يومها أخذت هذه المرأة تكيل الاتهامات البذيئة لمانا فتصفها بالعاهرة أو بمخرزة الرجال أو بالشيقة .

-"العاهرة ، مخرزة الرجل ، الشبقة".

كان هذا الاسفاف يصيب "مانا" فى مقتل . تشعر معه بالخزى والعهر وكما لو أنها فقدت عضوا من أعضائها. لكم ندمت لأنها باحت بسرها "لهايان" ، هذه الثرثارة الخائنة التى تخوض فى الأعراض. كان عليها أن تستمع لنصيحة "لين" وتبلغ المسئولين عن الحادثة فى حينها.

ومن جانبه ، كان "لين" لا يَقِل عن "مانا" شعورا بالإهانة. فهذه المرأة الضامرة المتخلفة لم ترعو عن نعته أيضا:"صاحب القبعة الخضراء المخدوع" أمام الآخرين. ومع أن "ران سو" - كان صديقه ولكنه لم يجرؤ بأن يطلب منه إجبار امرأته لتكف لسانها عنهما. فقد كانت السيدة "سو" تعانى من اختلال عقلى بعد أن فقدت ابنها الوحيد فى الصيف الماضى. ذهب الولد مع أصحابه إلى ضفاف نهر "شنغهوا" ليلتقط حشرات صغيرة من أجل أسماك الزينة التى كان مولعا بتجميعها ، وغرق فى النهر. بعد الحادثة فقدت الزوجة عقلها وانطلقت الشائعات تتحدث عن تصرفاتها العدوانية. فمثلا كان على "ران سو" أن يفرغ لها كل ما بمحفظته من نقود كل ليلة وإلا فإنها ستبتدأ بلعن أجداده فى منتصف الليل بصوت عال ، أو تأخذ فى قذف الأطباق والقصع من النافذة ، أو تجلس تنتحب كالأطفال ، أو تلف حوله وبيدها قضيب من الصلب تضربه به. ولذا كان "ران سو" يضع أوراقا مالية داخل الغلاف البلاستيكى لمفكرته ويقدمها لها فى الحال. كان الرجل على مثلٍ وأخلاق عالية ، ولم يفكر أبدا بإدخالها مصحة للأمراض العقلية. كانت شهامته وكرم أخلاقه موضع إعجاب وتعاطف كل العاملين فى المستشفى. وفرح الجميع لترقيته لمنصب نائب مدير المستشفى وعلّقوا بأنه نال الترقية عن استحقاق.

كان من الطبيعى أن تغضب "مانا" من "هايان" وترفض الحديث معها. كما أنها لم تذهب لتبارك لها بعد أن رزقت بمولودها. حاولت "هايان" بعد أن أنهت

إجازة ولادتها أن تقترب من "مانا" لتحكى لها كيف انتشر سرها ولكن "مانا" صممت على تجنبها والابتعاد عنها دون أن تصغى لأعذارها وثرثرتها. وحين فقدت الأمل مضت "هايان" إلى مكتب "لين" فى أمسية يوم من أيام الآحاد وأجبرته على الاستماع لروايتها:

-"لم أتعمد إفشاء سر مانا أو إيذائها أبدا. كانت زلة لسان منى. فكما تعلم حين يسترخى الزوجان فى السرير يتحدثان عن أى شىء وكل شىء ، خاصة حينما يتملك منهما الضجر. وهكذا سربت لهونجان بالحادثة بعد أن عاهدنى بأنه سيكتم السر ولن يتحدث به لأى شخص كان. ولكن ليلة الاحتفال بعيد الربيع ، أكثر من الشرب مع أصدقائه .سكر وباح لهم بكل شىء بالتفصيل. بعد أن علمت ذهبت إلى بيوتهم وحاولت إقناعهم بالتستر وعدم نشر الخبر. ولكن كان الأمر قد خرج من بين يدى. لم أقصد أبدا إيذاء مانا ، فهى كانت وما تزال أفضل صديقة لى. عرفتها منذ سنين طويلة ، فما الذى يجعلنى أؤذيها بهذا الشكل؟ وما الفائدة التى جنيتها سوى خسارتها؟ أشعر كما لو أننى فى الجحيم؟".

قالت هذا وانخرطت تبكى بحرقة. رد "لين" بحزن:

-"أنا مُتفهم لموقفك".

-"لو تعلم كم أكره هذا الزوج الحمار. كنت على وشك أن أحطم جمجمته بعصا المكنسة حينما اكتشفت فعلته. إن لم تصدقنى اذهب واسأله".

-"أنت صادقة فى قولك. ولكن ما الفائدة الآن؟".

-"أوه. كيف لى أن أصلح خطئى مع مانا؟".

-"ليس هناك أى مجال فى الوقت الحاضر".

-"هل يمكنك أن تخبرها عن شدة أسفى؟".

-"سأخبرها طبعا".

فاحت رائحة الصابون من "هايان" ، يبدو أنها عائدة للتو من الحمام الجماعى حيث قامت بغسل حفاضات طفلها قبل حضورها لمكتبه. مع أنه أبلغ "مانا" بأسف "هايان" الشديد إلا أنها أصرت على المقاطعة ، فالاعتذار زاد من أحزانها ، لم يواسها ولم يشعرها بالرغبة فى الغفران. ووجد "لين" أن لها كل الحق فى موقفها هذا ، خاصة بعد أن شاع خبر الاغتصاب ولاكت سيرتها ألسن جميع موظفى المستشفى. تغيرت معاملة العاملين بالمستشفى "لمانا" و"لين". أصبحوا يعاملونهما كما لو كانا زوجا وزوجة. تصل إلى مكتبه قسائم طعامهما وحتى راتبها فى آخر الشهر. كما كان الجندى المسئول عن توزيع البريد يسلم "مانا" بريد "لين" بشكل تلقائى. أرسل لهما أحد الموظفين خطأً ، كتيبا عن تنظيم العائلة لا يستلمه سوى المتزوجين ، وكانت المرضات الجديدات يحدثن "مانا" عن الطبيب "كونج" كما لو أنه زوجها ، ويظهر عليهن الحرج بعدئذ حين تخبرهن بأنها غير متزوجة. كانت هذه الأحداث تؤلمها وتسبب لها الحرج ولكنها وفى الآونة الأخيرة استسلمت لها ومنعها حياؤها من الرد أو الدفاع عن نفسها أو القتال مع الآخرين كما كانت تفعل فى الماضى حين يتهجم عليها أحد. انكسرت وصمتت خوفا من أن يذكرها أحد بحادثة اغتصابها وأخيرا بدا واضحا بأنه لم يعد أمامها من خيار سوى الانتظار بصمت. فقد قُدر لهما أن تستمر علاقتهما وتصبح أكثر متانة مع مرور السنين.

صيف بعد صيف كان "لين" و"شويو" يمضيان إلى قاعة المحكمة لإتمام إجراءات الطلاق فى مدينة "يوجيا" ، ليعودا معا إلى منزلهما كزوج وزوجة دون أى تغيير. سنة بعد سنة كان "لين" و"مانا" يأملان أن يعيد القاضى النظر ويحكم بالطلاق متغاضيا عن القانون الذى لا يسمح بالطلاق إلا بعد انفصال الزوجين لمدة ثمانية عشر عاما. ولكن ظل كل شىء على ما هو عليه.

اقترح "ران سو" أمام إدارة الحزب أن يُنقصوا المدة ، بعد أن أهداه "لين" نسخة مستعملة من كتاب "حول العالم فى ثمانين يوما". كان كتابًا نادرا ومرغوبا. ولكن الأغلبية عارضوا الفكرة خوفا من رد فعلها المعاكس. فمع مرور الزمن يغفل الناس عن

سبب صدور القانون ويظلون يعملون بموجبه كما لو أنه مرسوم مقدس لا يجرؤ أحد على التساؤل عن شرعيته ومدى فعاليته.

مع مرور الزمن كثر الشيب في رأسي "لين" و"مانا" وترهل جسماهما وثقلت حركتهما وازدادت الغضون والتجاعيد وضوحا على وجهيهما. بينما ظلت "شويو" على حالها. لم تعد تبدو كعمة مُسنة "للين" بل أصبحت أشبه ما تكون بأخته الكبرى.

خلال هذه السنوات ترقى معظم زملاء "لين" و"مانا" إلى مستويات أو مراكز أعلى أو أنهم استقالوا من الجيش. بينما ظل "لين" و"مانا" على حالهما يعملان على ذات المكتبين، وبنفس الرتبة مع الحصول على العلاوة التى عمت الجميع. ترقى "ران سو" مرة أخرى وأصبح مديرا للمستشفى فى سنة ١٩٨٠. كما عرف "لين" أن ابن عمه "ليانج مينج" تزوج من عاملة تليفون نالت لقب العاملة المثالية وأصبحت مشهورة على مستوى الدولة، إذ كانت قادرة على حفظ ما يزيد على إحدى عشرة ألف نمرة تليفون. فى سنة ١٩٨١ مات القوميسار "وى" فى السجن بعد أن أُتهم باتصاله بقوى مقاومة للحكم. وأخيرا فى سنة ١٩٨٤ طلب "لين" من "شويو" أن تحضر إلى المستشفى ليأخذها إلى محكمة الشعب فى مدينة "موجى" ليحصل على الطلاق بعد أن مضى على انفصالهما المتواصل ثمانيِ عشرة سنة. كما حدد القانون. لم يعد بحاجة لموافقتها.

الجزء الثالث

الفصل الأول

اصطحب "بنشنج" أخته "شويو" إلى مستشفى الجيش فى مدينة "موجى" فى يوليو من سنة ١٩٨٤ . لم يمض معها سوى يومٍ واحد ، كان عليه العودة إلى قريته ومتابعة أعماله. فبعد أن سُرح من العمل فى الجمعية التعاونية فتح محل بقالة فى قرية قريبة اختص فيها ببيع السكاكر ، والخمر ، والسجائر وصلصة الصويا ، والخل ، والتوابل والبذور. ومع أنه ترك "هويا" لتحل محله أثناء غيابه إلا أنه ظل قلقا ، وصمم على العودة فى اليوم ذاته. لحسن حظه انضمت "هويا" للعمل معه ، تساعده فى البيع فى مخزنه بعد أن سقطت فى امتحان القبول للجامعة فى الصيف الماضى.

أصابت الدهشة كل العاملين بالمستشفى من أطباء وطبيبات وممرضات وموظفين وزوجاتهم ، وهم يشاهدون "شويو" تتجول بقدميها المقيدتين. كانت تسير دائما بمفردها؛ "فلين" يخجل منها ولا يرضَ أن يراه أحد بصحبتها. لفتت الأنظار ، وكانت كلما عبرت الساحة أمام المبنى الطبى تجمعت الممرضات الشابات وراء النوافذ لمشاهدتها. كن يعتقدن أن معظم النساء المقيدات الأقدام تتضخم أفخاذهن ومؤخراتهن. ولكن ها هى ذى "شويو" تبدو نحيفة جدا كما لو أنها بدون أوراك.

بعد وصولها بعدة أيام عانت "شويو" من آلام مبرحة أسفل ظهرها. لم يعد بإمكانها الجلوس إلى الكرسى لأكثر من نصف ساعة ، ويزداد الألم إذا ما سعلت. تحدث "لين" مع الطبيب "نينج" عن الأعراض التى تشكو منها "شويو" ، ثم طلب منها الذهاب إليه ليعاينها. ذهبت إلى عيادة الطبيب فى اليوم التالى الذى شخّص حالتها بأنها عرق النساء أو التهاب بالأعصاب فى أول مراحله ، ووصف لها إجراء علاج طبيعى فى الحال.

بدأت "شويو" فى تلقى العلاج اللازم. أحسنت الممرضات معاملتها. تعاطفن معها بعد أن علمن عزم "لين" على طلاقها قريبا. كن يسلطن عليها الأشعة الضوئية اللازمة لعلاجها ثم يجلسن بجوارها لتبادل الحديث معها. كانت "شويو" ترقد على بطنها ووجهها مواجه للأريكة الجلدية ، فلا يسعها رؤيتهن ، تجيب على أسئلتهن وترضى غريزة حب الاستطلاع لديهن. أحبت رائحة الليزول العابقة فى جو الغرفة ، كانت تذكرها باللوز الأخضر. لم يسبق أن وجدت نفسها فى مكان تعم فيه النظافة والهدوء كما وجدته فى هذه الغرفة بجدرانها الناصعة البياض. حيث تسربت أشعة الشمس الساطعة من خلال زجاج النوافذ النظيفة لتنعكس على أسطح الطاولات الزجاجية والسجادة الحمراء. لم تلحظ شوية أية ذرة من غبار فى الغرفة . وفى الخارج أخذت الدبابير تئز برقة من على أعلى الأشجار ، وحتى عصافير الدورى بدت زقزقتها أقل حدة مما هى عليه فى القرية. أخذت "شويو" تسأل نفسها مستغربة لمَ يبدو الإنسان والحيوان أكثر إلتزامًا تحت سيطرة الجيش؟.

شعرت فى أول الأمر بالإحراج من فك سروالها وإنزاله لتكشف عن أسفل ظهرها ، كما اخافتها ذبذبات الحرارة. ولكنها سرعان ما اعتادت وتفهمت أن الضوء الكهربائى الموجه عليها لن يحرقها. أخذت تستمتع بالاستلقاء على الملاءة النظيفة وتشعر بالاسترخاء وبأن الحرارة خففت من أوجاع ظهرها. تحجبها ستارة زرقاء بلون السماء عن بقية المرضى لتنفرد بنفسها وتغمض عينيها وتسرح بأفكارها نحو بيتها وحياتها الماضية فى القرية؛ فهم الآن فى موسم جمع التفاح والثوم وزرع بذور خضروات الشتاء كاللفت والكرنب والجزر والقرنبيط.. أدهشتها الرفاهية والراحة التى يستمتع بها سكان المدن. تعمل الممرضات داخل جدران المستشفى محميات من العواصف والأمطار ، لا تبدو عليهن اللهفة لإنهاء أعمالهن. فحياة الفتيات فى المدينة مريحةحقا ، تتميزن بالمظهر الحسن والأناقة وهن يتجولن بثياب العمل النظيفة وغطاء الرأس الأبيض. صحيح أن البعض منهن كن مرهقات شاحبات ولكنهن لا يتقاعصن عن أداء الواجب. يقمن بتدليك جنبها لبضعة ثوان قبل حقنها بالإبرة بلطف ثم يسألنها

برقة إن كانت تشعر بحرقة أو بأى ألم ، وهن يحسدن بأناملهن جلدها بعد حقنها بالإبرة برفق . هذه الزغزغة كثيرا ما جعلتها راغبة بالضحك. سألتها إحداهن مرة هل أخطأ "لين" فى حقّها أو آذاها؟ وأجابت:

-"كلا فهو رجل طيب ويحسن معاملتى".

وسألتها أخرى:

-"هل يشترى لك حاجتك من الطعام؟".

وردت "شويو":

-"نعم ، يشترى لى دائما أرغفة بيضاء من الدقيق الفاخر ، والسكاكر ، والحلوى. ويأتى لى كل يوم باللحمة والسمك كما لو أننى فى عيد دائم. كل ما يزعجنى هو الحر ساعة الظهر".

تبادلت المرضات النظر. بدأت إحداهن فى الضحك وتبعتها الأخريات ثم بادرتها إحداهن:

-"وماذا يأكل هو؟".

-"لا أعلم. فنحن لا نتناول الطعام سويا . يأتى لى بالطعام بنفسه".

-"إذن لا ينقصك شيء من الغذاء".

-"نعم ، هو كذلك".

تهامست المرضات فيما بينهن ، شعرن بالحيرة من أجوبة "شويو". فمع أن رتبة "لين" تعادل رئيس كتيبة إلا أن حصته من القمح لا تزيد عن اثنى عشر بوندا فى الشهر. كيف له أن يقدم لزوجته كل هذا الطعام الفاخر كل يوم؟ من أين له بكل هذه القسائم؟ هل يأخذها من "مانا"؟ هذا مستحيل. لأنها أعلنت صراحة أن لا علاقة لها "بشويو". إذن ماذا يأكل "لين". هل يأكل دقيق الذرة؟

فعلا ، إنه لرجل غريب. يبدو أنه ادخر الكثير من قسائم الدقيق مترقبا زيارة "شويو". إذن لا يزال مهتما بزوجته وإلا ما عاملها بمثل هذه الطيبة والرقة.

أحبت "شويو" الممرضات ولكنها وبالرغم من إلحاحهن الشديد رفضت خلع حذاءها الصغير. اشتدت رغبتهن لرؤية قدميها. وفي أحد الأيام وبعد أن انتهت من الجلسة العلاجية قالت لها الممرضة "لي" وهي فتاة ضخمة من "هانجرو":

-"لم نر أبدا أقداما مربوطة. لو سمحتِ لنا بالنظر إلى قدميك سأعطيك ينا".

وردت "شويو":

-"كلا ، لن أفعل".

-"لماذا؟ فأنا أمنحك ينا مقابل نظرة واحدة فقط. لم يخطر لي أن قدميك بهذا الغلاء".

-"هل تعلمن شيئا يا فتيات؟ لا أسمح لأحد برؤية قدميّ سوى زوجي".

-"لماذا؟".

-"هكذا تربيت".

قالت لها إحدى الممرضات الشابات الطويلات وهي تبتسم لها مشجعة:

-"أرجوك. دعينا نراهما ولو لمرة واحدة. ولن نخبر أحدا".

-"كلا ، لن أفعل. هل تعلمن؟ بالنسبة لي خلع جواربي وحذائي عمل شائن كخلع سروالي".

تساءلت المرأة الطويلة:

-"لماذا؟".

-"لأنكِ حين تربطين قدميك وأنت طفلة تتعهدين بأن لا يراهما سوى زوج المستقبل. وليس أي إنسان آخر. وهكذا تصبح لقدميك قيمة خاصة عند زوجك".

ثم ربتت على قدمها اليسرى التى بدت ككتلة صغيرة وأضافت:

-"هل تعلمن بما كانت تسمى القدم المكبلة قديما؟".

هزت الممرضات رؤوسهن نفيا. واستمرت "شويو" قائلة:

-"اسمها اللوتس الذهبية ، فهى ثمينة كالجوهرة".

نظرن إليها مندهشات وغير مصدقات ثم تبادلن الغمزات وبادرتها الممرضة "ما":

-"لابد وأن ربط القدمين مؤلم".

-"مؤلم جدا. لا تسألينني عن الألم. بدأت فى ربط قدمىّ وأنا فى السابعة من العمر. يا إلهى. ظللت لمدة سنتين وأنا أبكى من شدة الألم طوال الليل. كانت القرح والبثور تملأ قدمىّ فى الصيف. يهترئ اللحم ويمتلئ بالصديد ومع هذا لا أجرؤ على نزع الأربطة خيفة أن تضربنى والدتى بعصا من الخيزران. كنت كلما آكل سمكا يتقرح كعباى وينزفان. هناك قول مأثور:للحصول على قدمىّ اللوتس لابد من دلو ملىء بالدموع".

-"لماذا ربطتيهما إذن؟".

سألتها فتاة بخدود حمراء.

-"لأن أمى قالت إن هذا هو الحل الوحيد للحصول على زوج. فنظرا لقبح وجهى لم يكن أمامى سوى هذه الفرصة. فالرجال فى تلك الأيام كانوا مهووسين بالأقدام الصغيرة ، كلما صغرت القدمين ازدادت رغبتهم بالفتاة".

تساءلت الممرضة "لى" بجدية:

-"و هل أعجب الطبيب كونج بقدميكِ الصغيرتين؟".

حيّر هذا السؤال "شويو" فتلكأت فى الإجابة ثم قالت مترددة:

-"لا أدرى. فهو لم يرهما قط".

نظرت الفتيات لبعضهن البعض وهن يحاولن كتم ضحكهن بتكلف الابتسام. كان البريق فى عيونهن يكشف مدى لهوهن وتسليتهن. انفجرت إحداهن بالضحك ولحقت بها الآخريات يقهقهن بصوت عال.

لم يعد هناك من مانع لحصول "لين" على الطلاق تبعا للقانون. ولذا بدا فى السعى لنقل "شويو" من الريف مستندا على مساعدة الجيش والقيادة ذاتها. فالقانون يتيح للضابط الذى أمضى أكثر من خمسة عشر عاما أو كان برتبة أعلى من قائد كتيبة من استخراج بطاقة لزوجته أو لطليقته تتيح لها العيش بأى مدينة تختارها بشكل قانونى. بالنسبة "للين" كان قد أمضى واحداً وعشرين عاما ولم يعد هناك من عائق لنقلها هى و"هويا" ، خاصةً أن هويا لم تنجح فى امتحان القبول لدخول الجامعة فى القرية. كان هذا التدبير هو الفرصة الوحيدة لابنته للإقامة فى المدينة والابتعاد عن الريف.

اعتمد "لين" على طاعة "شويو" العمياء ورضوخها لمشيئته. فلم يكن بإمكانها أن تستوعب ضرورة وتعقيدات هذه الإجراءات. واتبع الأسلوب ذاته بعد وصولها. فلو أنه قال:

-"لا تتركى غرفتك ولا تحضرى بنفسك الماء الساخن".

كانت تستجيب بدون نقاش ولا تغادر غرفتها مهما كانت الظروف. وحين كان يقدم لها الدواء قائلا:

-"خذى هذا العلاج ، سيخفف ألمك".

كانت تبتلعه على الفور دون تردد. بالنسبة لها كانت كلماته أوامر وما عليها سوى الطاعة ، ولا يمكن أن تشك فى أنه يعمل إلا لمصلحتها ومصلحة ابنتها . وفى صباح أحد الأيام أعطاها "ينا" وطلب منها الذهاب لمحل الحلاقة ، الذى كانت تديره ثلاثة من زوجات الضباط ، لتقص شعرها. ما أن غادر إلى عمله حتى انطلقت إلى المحل لتنفيذ طلبه. كانت "هويا" فيما مضى تقص لها شعرها فى الريف بمقص ومشط طويل. انزعجت "شويو" حين أبلغتها الشابة البدينة فى المحل أن قص الشعر سيكلفها ثلاثين

فنا. فهو سعر مبالغ فيه وهى التى لم تفرط يوما فى المصروف. فبإمكانها شراء قطعة كبيرة من الصابون بهذا المبلغ تكفيها على الأقل أسبوعين. ومع هذا أذعنت لمشيئة "لين" وجلست على كرسى من الجلد. قامت امرأة بمنتصف العمر بلفّ قطعة من القماش الأبيض حول "شوبو". ضمت نهايتيها حول رقبتها بمشبك خشبى ثم سألتها وهى تمسك بيدها بمشط بلاستيكى أحمر:

-"كيف تريدين قصة الشعر يا أختاه؟".

-"لا أدرى".

ضحك الرجلان الجالسان إلى كرسيين مجاورين لكرسى "شوبو" وعلّق أحدهما:

-"ما رأيك بقَصّة كقَصّتى؟ وهكذا أضمك للمشاركة فى فريقى. إنها قصة كما ترين تحلق الشعر تماما ماعدا المساحة المحيطة بأعلى الرأس. ستجعلك أكثر انتعاشا فى هذا الحر الشديد".

كان الرجل ذا شهرة كبيرة بالمستشفى كبطل من أبطال حمل الأثقال. استطاع أن يحمل خنزيرا يزيد وزنه عن ألف ومئتى "بوند". علّقت الصحف الرئيسية حينذاك عن كفاءته ولقّبه الأطفال بالمستشفى بالرجل الخنزير. قالت المزينة "لشوبو":

-"عليك أن تقررى بنفسك. إنه شعرك. حددى لى القصة التى ترغبين بها وأنا سأنفذها لك".

-"حسنا. ما رأيك بقصة مثل قصتك".

وأشارت إلى شعر المزينة الذى كان مقصوصا قصيرا وملتفا حول الوجه. علّقت المرأة الشابة الممتلئة:

-"أحسنتِ الاختيار، ستليق عليك هذه القصة".

سألتها المزينة:

-"هل ترغبين فعلا بقصة كقصتى؟ لن يمكنك بعدها من عقص شعرك".

-"نعم أنا متأكدة. قصى قدر ما تستطيعين".

كانت ترغب بقص شعرها قصيرا حتى لا تضطر لقصه قريبا وبعثرة أموال "لين". فكت المرأة عقصة شعر "شويو" وبدأت فى تسريح الشعر المتشابك ، بينما أخذت "شويو" فى مصمصة شفتيها بصوت مسموع. أوجعت الضربات الأولى للمشط رأس "شويو" ولكنها استعادت عليها بعد حين وأخذت تساءل نفسها مندهشة كيف تطقطق المزينة فلقتىّ مقصها بهذا الاتساق والسرعة وبدون توقف. فى الزاوية اليمنى من الغرفة استسلمت للنوم قطة بدون ذيل. كانت تفرد قوائمها بين الحين والآخر وتنتصب أذناها لتذب عنها الذباب. كان إلى جانبها قصعة مليئة بالعصيدة وتعجبت "شويو" من أهل المدن الذين يهتمون بالقطط ويوفرون لها الطعام كالناس. ما حاجاتهم للقطط فى غرف أسمنتية لا يمكن للفئران أن تعيش بها؟ إن أمر الناس هنا حقا لعجيب. سألتها المزينة وهى تسوى لها نهايات شعرها:

-"هل يحسن لين كونج معاملتك؟".

-"نعم".

-"هل تعيشان فى غرفة واحدة؟".

-"نعم".

-"كيف تنامان؟".

-"ماذا تعنين؟".

-"أعنى هل تنامين مع لين كونج فى سرير واحد؟".

قالت المزينة هذا مبتسمة وتوقفت المزينتان الأخريان عن حلق شعر الرجلين.

-"كلا ، ينام كل منا فى سرير منفرد".

-"هل تعلمين أنه سيطلقك؟".

-"نعم".

-"هل تريدين الطلاق؟".

-"لا أدرى".

-"سأقدم لك نصيحة. اقفزى إلى سريره أثناء نومه".

-"كلا لن أفعل ذلك".

ضحك الجميع ونظرت إليهم "شويو" مندهشة لا ترى سببا لضحكهم. بدت بقصة الشعر أصغر سنًا بعشر سنين من عمرها الحقيقى. أصبح وجهها بيضاويا مزينا بحاجبين كالهلالين الرفيعين. صبّت المزينة ماء ساخنا من غلاية الماء فى دلو برونزى معلق على الحائط وأضافت إليه ثلاثة أكواب من الماء البارد ثم طلبت من "شويو" أن تضع رأسها على الحوض لتغسل لها شعرها. وفيما هى تقوم بغسل رأسها أعادت عليها مشورتها:

-"لا تكونى بلهاء. تسللى لفراش لين ليلا. إن فعلت ذلك لن يتمكن من طلاقك بعدها أبدا".

-"لن أفعل ذلك".

وعاد الجميع للضحك ، وصرخت "شويو":

-"عيناى تحرقانى من الصابون!".

-"اقفليهما بقوة. سأنتهى خلال ثوان".

صبّت المرأة بقية الماء على رأس "شويو" ثم جففت عينيها ووجهها بمنشفة جافة ودافئة بعد نشرها بالشمس. عبقت المنشفة برائحة النظافة وأعطت "شويو" شعورا بالراحة والانتعاش.

-"هل ما زالت عيناك تحرقانك؟".

-"كلا ، فأنا بخير".

عادت "شويو" إلى كرسى الحلاقة. مشّطت لها المزينة شعرها وهى تبدى إعجابها بجمال ملمسه ثم أضافت إليه بعض القطرات من العطر وأنهت تسريحه. قدمت "شويو" الين إلى المزينة التى أعادته إليها قائلة:

-"كلا يا أختى الكبيرة ، فنحن لا نأخذ أجرة فى الزيارة الأولى ستدفعين المرة القادمة. هل أنت راضية عنا؟".

شكرتها "شويو" وأعادت النقود إلى جيبها. رفعت المرأة المشط لتضع اللمسات الأخيرة فوضعت خصلة وراء أذن "شويو" وهى تقول:

-"هل تعلمين ، أنتِ جميلة فى هذه التسريحة. فحافظى علىها واستمرى فى قص شعرك بهذا الشكل".

ثم أمسكت بمرآة بيضاوية ولفّت حول "شويو" تعرض عليها التسريحة من كافة الجوانب ، ثم أكملت:

-"والآن أخبرينى ما رأيك؟".

هزت "شويو" رأسها مبتسمة. وبعد أن شكرت المزينة ثانية نهضت من على الكرسى ومشت تترنح خارج المحل. كان مفصل وركها يؤلمها بعد أن جلست لما يزيد عن نصف الساعة.

ما أن ابتعدت "شويو" عن مرأى البصر حتى بدأ الحاضرون فى المحل فى لَوْك سيرتها. اتفقوا جميعا أنها فى الواقع ,مقبولة الشكل ولكنها لا تحسن الاعتناء بمظهرها وزينتها. فالسترة الكحلية الداكنة التى ترتديها تصلح لسيدة عجوز جاوزت الستين من عمرها. ولو أنها أطالت سروالها لما لفتت الأنظار لقدميها المقيدتين. يبدو أن للنساء فى الريف ذوقا مختلفا عنه فى المدينة. كما أن عملها الدائم والمضنى فى الحقل

تحت أشعة الشمس الحارقة أثرت على جلدها الذى تغضن وظهرت التشققات على كفيها واللطخ السوداء على وجهها الداكن. ثم تدرج الحديث نحو الزواج والطلاق. كيف لها أن تضمن عيشها بعد طلاقها من "لين كونج"؟ لا شك أنه رجل معدوم المشاعر بلا قلب. يجدر بالشعبة السياسية حماية المرأة المسكينة وإصدار أمر بإنهاء العلاقة بين "لين كونج" و"مانا يو". فالدولة تبنى مجتمعا جديدا ، ويجب عليها أن لا تسمح لمخلوق ببناء سعادته على تعاسة شخص آخر. وعلى الرجل المتزوج أن يحافظ على أسرته ويلتزم بواجباته نحوها. فلا يسمح له بالانقياد لعواطفه ورغباته وإلا تفككت أُسس العائلات وعمّت الفوضى فى المجتمع.

أصبحت مقولة "شوبو": "كلا ، لن أفعل هذا" سيرة على كل لسان يتداولها موظفو المستشفى جميعا. ترددها الممرضات مازحات ضاحكات حين يردن التعبير عن رفضهن لأى طلب أو اقتراح .يضغطن على اللفظ الأخير"هذا" بنغمة طويلة إيقاعية يضحك بعدها الحضور هازئين.

انطلق بعض من الضباط الشباب الفضوليين ، متسترين بالظلام ، نحو البيت الذى استأجر به "لين" غرفة مؤخرا ليقيم بها مع "شويو". كانوا يقفون وراء النافذة والباب يتنصتون علّهم يكتشفون كيف ينام الزوجان. كانوا يلصقون آذانهم على قفل الباب أو النافذة. ولكن الهدوء والسكون ظل مخيما على الغرفة كما لو أنها غير مسكونة. واظبوا على المراقبة لثلاث ليالٍ على التوالى بدون فائدة. لم يسمعوا سوى صوت سعال "لين" أحيانا. انتهت عملية المراقبة بالفشل ولم ينالوا سوى أن أحدهم لوى كاحله عند مدخل الباب الجرانيتى حينما داس على ضفدع نائم وطرف آخر عينه بغصن شجرة وهو يحاول التصنت تحت النافذة. وهكذا توقفوا عن التحرى معترفين بأن الزوجين لا يمارسان "هذا". وانتشر الخبر:

"الزوجان لا يمارسان هذا"



الفصل الثانى

جلس "لين" و"شويو" إلى طاولة الطعام وأمامهما طبق أبيض مطلى بالميناء ، به بطيخة صفراء قطعت نصفين بعد أن قُشرت وانتزعت بذورها . كانا يتبادلان الحديث ، فقد حُدِّد لهما الحضور إلى المحكمة فى اليوم التالى لإنهاء إجراءات الطلاق. بدت الغرفة أكثر إشراقا بعد أن نزعا عن حوائطها البيضاء الإعلانات الدعائية التى كان الساكن السابق لهما قد ألصقها على الجدران. رفعت "شويو" رأسها تبحث عن ناموسة طائرة فى الجو ، ولم تكن سوى أزيز نور الفلورسنت ، التى أخطأت "شويو" للمرة الثانية وظنته طنين ناموسة.

فى الخارج ، وبين أحراش شجر السرو تحت النافذة ، سُمع صوت تغريد طائر الدورى بين الحين والحين. وهبت نفحات من براعم عطر زهرة الأقحوان التى زُرعت على جانبىّ الطريق مخلوطة برائحة روث الأحصنة الذى نثر على الأحواض. سأل "لين":

-"هل فكرت يا شويو بمستقبل هويا؟".

-"كلا. يمكنها الاستمرار فى العمل فى مخزن بنشنج ، فهو يحبها ويحسن معاملتها ويدفع لها بسخاء. كما أنه اشترى لها معطفا مبطنا واقيا للمطر فى الشتاء الماضى".

-"كلا كلا. فأنا أريدها أن تنتقل من الريف إلى هنا . أود لو أُدَبر لها عملا. فهى طفلتنا الوحيدة ويجب أن تعيش بالقرب منا ، ألست معى فى هذا؟".

لم تنطق"شويو" بجواب. فاستمر فى حديثه:

-"حين يسألك القاضى فى الغد عما تطلبينه منى ردى عليه بأنك ترغبين بأن أبحث لهويا عن وظيفة فى موجى ، هل اتفقنا؟".

-"لماذا تريدنى أن أطلب هذا؟ لم أرغب قط بشىء منك".

-"انصتى لى. مضى لى فى خدمة الجيش ما يزيد على عشرين عامًا ، وطبقا للقانون على الجيش الاهتمام بأولاد المجندين. ثقى بى ، سيجدون وظيفة لهويا. إنها فرصتها الوحيدة للانتقال إلى المدينة والابتعاد عن الريف. أرجوكِ اذكرى للقاضى عن رغبتك هذه ، هل اتفقنا؟".

-"حسنا سأفعل".

أخذ قطعة من البطيخ وأشار نحو الأخرى قائلا:

-"تذوقيها ، فهى حلوة الطعم".

لم تمد يدها ، راغبة أن تؤثره على نفسها كالعادة.

فى الصباح الباكر من اليوم التالى مضى"لين" خارج الغرفة ليحضر الفطور له و"لشويو" من المطعم. كان هناك المئات من العاملين يتناولون إفطارهم فى غرفة الطعام. انطلقت من المطبخ أصوات قرقعة المغارف وهى تقلب المقليات على الموقد. عبق الجو برائحة تحمير القواقع مع الكرفس. شاهد "لين" "مانا" وبيدها صينية طعامها. ما أن رأته حتى تقدمت نحوه وهى تعتصر ابتسامة. شوّه المجهود وجهها فتغضن بثنيتين واضحتين بدتا كقوسين يحيطان بأنفها وفمها. زاغت عيناها اللامعتان تنظران يمينا ويسارا وقد بدا الارتباك واضحا عليها للقائها له فى هذا المكان. لاحظ "لين" امتعاضها ، على الأرجح كانت غاضبة من تعمده الامتناع عن رؤيتها خلال الأيام الماضية. بادرته قائلة:

-"لا تكثر من الكلام فى المحكمة ولا تحاول مناقشة القاضى".

قالت هذا وهى تعض على شفتها السفلى.

-"سأفعل. ولكن لا حاجة للقلق ، تحدثت مع شويو البارحة مساء وستلتزم بعهدها هذه المرة. هذا نهائي".

تمتمت بين أسنانها:

-"أتمنى ذلك. حظا سعيدا".

قالت هذا ومشت بعيدا ، فهي لا تجرؤ على الحديث معه لمدة أطول في مثل هذا الحضور. لاحظت أن البعض بدأ في النظر باتجاههما. فمنذ وصول "شويو" انقلب الرأي العام ضدها ولذا حاولت تجنب البقاء في مكان عام إلا إذا اضطرت. كما امتنعت عن تناول الطعام في المطعم الرئيسي وهذا ما تسبب في ضعفها وشحوبها.

عاد "لين" إلى الغرفة ومعه أربعة أرغفة ساخنة ونصف دورق من الأرز بالحليب وبضع قطع من الحلوى. كانت هذه هي المرة الأولى التي يتناول فيها طعامه مع زوجته منذ وصولها إلى "موجي". وفيما هو يأكل خطر له خاطر غريب. كان قليلا ما يلتقي "بمانا" في هذه الأيام ، كما لو أنه في إجازة بعيد عنها. لم يعد يتجول معها في المساء كما كان يفعل خوفا من كلام الناس الذي ربما أثّر على قرار الرؤساء في قضيته. لاحظ أن بعده عن "مانا" لم يزعجه ، كما أن نومه مع "شويو" في غرفة واحدة لم يسبب له أي ضيق. عليه أن يكون صادقا مع نفسه ، فهو لا يفتقد "لمانا" بل يشعر بالأسف من أجلها. هل هذا شكل من أشكال الحب؟ صدق من قال إن الزواج مقبرة للحب. وحدث نفسه:

-"هأنذا كلما اقترب موعد زواجي من مانا قلّ ميلي ورغبتي بها. هل معنى هذا أنني توقفت عن حبها؟ ما هذا الكلام الفارغ! دام انتظارنا لسنين عديدة وآن لنا الارتباط الأبدي. فعليّ التفكير عمليا والكف عن الحلم. فليس المطلوب من الحبيبين تمضية الوقت في النظر لبعضهما البعض بل عليهما توحيد أهدافهما والنظر باتجاه واحد. تُرى من صاحب هذه المقولة؟ لابد وأنه راهب أجنبي. والآن ما رأى مانا في إقامتي مع شويو في غرفة واحدة؟ هل أزعجها هذا الترتيب؟ لابد وأنها تأثرت به. هل تفتقدني؟".

انتقل بذهنه نحو الطلاق والذى أصبح الآن قاب قوسين أو أدنى. ولم يعد بحاجة لبذل أى مجهود للحصول عليه. بدا الأمر برمته كثمرة آتت أكلها وسقطت بتأثير الصقيع. شعر كما لو أن هناك قوة ما خارج إرادته تُسيِّره نحو الطلاق لبدء حياة جديدة. لربما أن هذه القوة هى ما يدعوها الناس بالقدر.

ما أن انتهت "شوبو" من غسل الأطباق حتى وصلت سيارة جيب ووقفت أمام المنزل. لبست "شوبو" القميص "التافتاه" الأصفر الذى اشتراه لها "لين" من أسبوع مضى. ركب الزوجان العربة التى سارت بهما نحو المحكمة بالقرب من مركز الشرطة بالمدينة.

جلس على الكرسى الأمامى للسيارة "مينج تشين" مدير القسم السياسى ، ممثلا عن المستشفى. تضخم وجهه وظهر عليه العجز. أشارت عقارب الساعة إلى الثامنة والنصف صباحا. امتلأ الطريق المخطط براكبى العجلات ، وهم إما فى طريقهم إلى أعمالهم أو عائدين إلى بيوتهم بعد انتهاء مناوبتهم الليلية. لمعت المبانى الأسمنتية ، بأسقفها القرميدية المغطاة بالندى ، بضوء شمس الصباح. عبرت العربة بالقرب من مدرسة ابتدائية وشاهد ركابها جمهرة من الصبية يلعبون كرة القدم وهم يصرخون ويلحقون بعدد من الكرات. وفى الجانب الآخر انهمكت بعض الفتيات فى القفز على الحبل أو اللعب بالريشة الطائرة. انقلب جرار زراعى على ناصية شارعى السلام والمجد على جنبه بعد أن صدمته عربة شحن كبيرة. انتشرت الحمولة من الكوسا على أرض الشارع ، وتجمع المارة يراقبون ويثرثرون. قفزت سيارة الشحن فوق الرصيف تكسرت مقدمتها بعد أن اصطدمت بجزع شجرة ضخمة. كان هناك بعض السيدات المسنات يجررن عربات امتلأت بعلب زرقاء. كن ينادين على بضاعتهن من الحلوى المصنعة من الحليب والشوكولاتة. القطعة بعشرة فنى. صدح صوت صفارة سيارة الشرطة على بعد عدة شوارع ، ازداد صخبها أكثر وأكثر مع اقترابها. شقت العربة التى تقل "لين" و"شوبو" طريقها فى وسط الزحام ثم استدارت شمالا إلى شارع "الجادة الغربية" نحو مركز الشرطة. شاهدوا على مدخل المحكمة ، والتى كانت قديما كنيسة أقامها المبشرون

الهولنديون سنة ١٩١٠ . زوجين شابين يخرجان من باب المحكمة. تجهم وجه الزوج وظهرت عليه الكآبة بينما انخرطت الزوجة فى البكاء وفى مسح دموعها بمنديل فى يدها، وهى تستند على ذراع رجل عجوز يبدو أنه والدها. أخبر الحارس المدير "تشين" أن القاضى رفض التماس الزوجة للطلاق بعد أن اتهمت زوجها بالاعتداء عليها بالضرب وسرقة أموالها. رفض القاضى الجزء الثانى من الاتهام ، فهما كزوجين يعيشان تحت سقف واحد وينامان فى سرير واحد ويأكلان من قدر واحد. وبالتالى لا يمكن فصل حسابهما المشترك فى البنك. وأسقط عن الزوج تهمة السرقة.

ارتص فى منتصف القاعة ، التى كانت فى الماضى كنيسة ، صفوف من الكراسى المعدنية. كما احتلت طاولة طويلة صدر القاعة ، فرشت بغطاء مخملى أخضر وارتفعت عن الأرض على منصة منخفضة. عُلق على الجدار أعلى الطاولة لوحة كُتب عليها بكلمات بارزة: حافظ على القانون فهو راسخ كالجبل". وبرز على الواجهة الأمامية للقاعة الرمز الوطنى للصين: خمس نجوم تعانق سنابل القمح الممتلئة ، لتحل مكان الصليب .

أُعجب "لين" بجمال هندسة النوافذ والعارضات والثريات الكريستال. أدهشه البناء الهندسى ، فقد ارتفعت الأسقف عاليا دون الارتكاز على أعمدة يستند عليها هذا الصرح البنائى الضخم. كما انبهر بفن النحت الذى زين واجهة الكنيسة وأسقفها. وسرح بفكره متخيلا روعة الكنيسة قديما وقد أُنيرت كل ثرياتها وخلت من هذه الكراسى والطاولة المعدنية التى شوهت جمال القاعة.

بعد أن اتخذ الجميع أماكنهم فى الصفوف الأمامية ، دخل القاضى. كان رجلاً فى منتصف العمر يميزه شاربٌ رفيع وعينان ضيقتان. سار نحو المنصة المنخفضة واحتل مكانه وراء الطاولة. صبّ لنفسه كوبا من الشاى من إبريق من الخزف الصينى. جلست إلى يمينه سيدة فى الأربعينيات من عمرها وإلى يساره جلس الكاتب الشاب وبيده قلم رفيع. كتم القاضى سعاله بقبضة يده ثم تنحنح وطلب من "لين" عرض قضيته. وقف "لين" وقال:

-"الرفيق القاضى المحترم. حضرت اليوم لأطلب من المحكمة الحكم لى بقضية طلاقى من زوجتى. فقد دام انفصالنا أنا وزوجتى شويو ليو ثمانية عشر عاما مع اعتراف الجميع بنا كزوجين. منذ ولادة ابنتنا والعلاقة العاطفية بيننا منقطعة. أرجو أن لا تتهمنى بأننى رجل مزواج وأرغب بالتغيير أو أننى بدون قلب. لقد عاملت زوجتى طيلة فترة زواجنا معاملة طيبة. ولم أقم أية علاقة جنسية مع امرأة أخرى".

احمر وجه "لين" وهو ينطق بكلمة "جنسية". ثم أكمل:

-"أرجو أن تراعى حالتى وتوافق على منحى الطلاق".

كان القاضى على بينة بعريضة الالتماس ولذا استدار نحو المدير "تشين" وطلب منه الإقرار بصحة طلب "لين". لم يكلف "مينج تشين" نفسه بالنهوض ، فهو برتبة أعلى من رتبة القاضى ولذا قال بصوت جهورى وهو جالس فى مكانه:

-"أُقر بأن ما ذكره الرفيق لين كونج صحيح. كنت رئيسا عليه لعدة سنوات وقد انتُخِبَ عدة مرات كضابط مثالى ، وليس هناك من مشكلة خطيرة فى حياته تشينه. إنه رجل جيد".

وجه "لين" نظرة جانبية نحو "مينج تشين" وقال لنفسه:

-"إذن فهو يظن أن لا وجود لمشكلة خطيرة فى حياتى. وهذا يعنى أن هناك مشكلة صغيرة لا تروقهم. وهذا ما جعلهم يمتنعون عن ترقيتى فى السنوات العشر الماضية".

سأل القاضى المدير متجهما:

-"هل يوافق القادة فى المستشفى على هذا الطلاق؟".

قال هذا وهو يرفع كوب الشاى ليأخذ رشفة.

-"بالطبع لا ، فنحن لا نقر بالطلاق. ولكن انفصال الزوجين دام لمدة طويلة. استنادا إلى القانون ، من حق الضابط الذى دام انفصاله عن زوجته لأكثر من ثمانى

عشـرة سنة أن ينهى زواجه منها بدون شرط مـوافقـتـهـا . ظل لين كـونج منفصـلا عن زوجته منذ سنة ١٩٦٦ وهى مدة كافية. فلا مانع لدينا من قبول طلبه".

هزّ القاضى رأسه مؤكدا علمه بهذا القانون والتفت نحو "شويو" طالبا رأيها . قالت بدون أى انفعال:

-"بإمكانه الحصول على الطلاق. ولكنى أريد شيئا من...".

نهرها القاضى أمرا:

-"قفى حين يطلب منك الكلام".

انتصبت على قدميها . سألها القاضى:

-"والآن ما هو طلبك؟".

-"لدينا ..لدينا ابنة..ابنة كبيرة فى الثامنة عشرة من العمر. إنها ابنته. عليه أن يجد لها عملا مناسبا فى المدينة. فلن أتركها فى الريف".

رفع المدير "تشين" ذقنه وضحك ضحكة رنانة ترجرجت معها طيات لحم رقبته ، وبدا القاضى محتارا . وفسر له "مينج تشين" الأمر قائلا:

-"تحـاول المسـتـشـفى أن تهـيئ لشـويو مـنزلا فى هذه المدينة لتنتـقل مـن الريف. وبالتالى فعلينا نقل إقامة ابنتها معها . وستتكفل إدارة المستشفى بمساعدة الفتاة للحصول على عمل لائق. فهى ابنة لين كونج وستعامل كما يعامل أولاد الضباط جميعا ، معاملة محترمة. ليس هناك من مشكلة ، سنبحث فى هذا الأمر".

وهنا أعلن القاضى أنه وفقا للقانون ، على "لين" أن يدفع "لشويو" مبلغ ثلاثين ينا شـهريا كنفقة إعالة للزوجة المطلقة. وافق "لين" على الفور ولكن "شـويو" رفـعت يدها معترضة. سألها القاضى:

-"ماذا تريدين؟ هل ترغبين بزيادة هذا المبلغ؟".

-"كلا. فأنا لست بحاجة لكل هذا المبلغ. يكفينى عشرون ينا. فأنا بالفعل لا أحتاج لكل هذا المبلغ".

انفجر بالضحك كل من الموظفة والكاتب والحراس الثلاثة الجالسون فى نهاية القاعة. ولكنهم كتموا ضحكاتهم حينما حدجهم القاضى بنظرات متجهمة. ثم سأل الزوجين إن كانت بينهما ملكية يختلفان عليها. وأجاب كلاهما بالنفى وهما يهزان رأسييهما. "فشويو" لا تملك شيئا. والبيت فى الريف يملكه "لين".

وقّع القاضى شهادتى طلاق وغمس الختامة فى علبة حبر أحمر. ختم الشهادات وسلّم واحدة لكل من الزوجين. انتصب واقفا وقال بصوت جهورى:

-"على الرغم من الحكم بالطلاق إلا أنكما رفيقان تنتميان للأسرة الثورية العظمى. المطلوب منكما أن تحسنا معاملة بعضكما كأصدقاء بمنتهى الاحترام والرعاية".

أجاب "لين":

-"سنفعل أيها القاضى".

-"حسنا ، أُقفلت القضية الآن".

نهض القاضى وتبعته الموظفة والكاتب. كان أمامهما قضية طلاق أخرى عليهم النظر بها هذا الصباح. وكان عليهم الانتهاء بسرعة.

شعر "لين" بالاندهاش من سهولة سير المحكمة وسرعتها. فلم تأخذ أكثر من نصف الساعة. انتهت معها كل سنين الإحباط والمعاناة. وها هو الآن سيفتح صفحة جديدة فى حياته.

لم تعد "شويو" إلى الريف بعد الطلاق. انتقلت للإقامة فى غرفة أخرى بنفس المبنى المخصص للنوم. وبدأت تتكفل فى تدبير أمور حياتها بنفسها. وكّل القسم السياسى فى المستشفى ضابطا شابا ليعمل مع الشرطة والمسئولين فى الريف لنقل أوراق "هويا" لتستلم عملها الجديد فى شركة زراعية كبيرة بالمدينة تم تعيينها بها.

خاف "لين" أن ترفض ابنته الانتقال إلى المدينة. لا شك أنها غاضبة منه لطلاق أمها. فقد حاول فى السنين الماضية أن يتحدث معها عن رغبته فى طلاق أمها ولكنها كانت تتجنب اللقاء به وتهرب منه متذرعة بأعمال عليها القيام بها ، كإطعام الخنازير أو غسل الملابس قرب الجدول. ازدادت مع الأيام تباعدا وجفاء. ولذا قرر "لين" أن يرسل لها رسالة يرجوها فيها بالانضمام إليهما فى مدينة "موجى".

جلس إلى مكتبه وهو يمسك بقلم من نوع "التنين الذهبى". ملأه شعور بالحزن ، فها هى المرة الأولى التى يراسل بها ابنته. إنه حقا لأب مستهتر ، قاس ، عديم القلب. لِمَ ظل غافلا كل هذه السنوات غير شاعر بأن عليه مراسلة ابنته؟ ألم يفكر بأن ابنته ترغب فى معرفة أخباره؟ لا غرابة من تباعدها ورفضها الاعتراف بوجوده كأب. كتب:

-"ابنتى العزيزة هويا:

ذهبت و والدتك يوم الاثنين الماضى إلى المحكمة فى مدينة موجى وانتهت الإجراءات بسهولة. طلبنا من الجيش مساعدتك للعثور على عمل فى المدينة ووافق القادة على نقلك لتعملى فى شركة "سيلاندور ماتش بلانت" فى موجى. كان هذا طلب أمك الوحيد فى المحكمة. ولذا أرجو أن تحترمى أمنيتها وتأتى لتعيشى معنا بعد استلامك هذه الرسالة. أرجو أن تتفهمى يا هويا أن هذا الإجراء من أجل صالحك. ففى المدينة ستصبح حياتك أفضل. كما أن أمك امرأة عجوز ولا أرغب بعودتها إلى القرية. فالرجاء أن تسرعى بالمجيء مهما كان شعورك نحوى. ضعى ثقتك بى ولو لمرة واحدة ، فأنا والدك وكل ما أتمناه لك حياة هانئة سعيدة. إذا ما قررت البقاء فى القرية سأصاب بخيبة الأمل والحزن والأسف.

والدك. لين كونج.

قرر "لين" أن يكتب رسالة أخرى إلى "بنشنج" علّه يقنع "هويا" بضرورة انتقالها إلى "موجى" وعدم رفض هذه الفرصة. لم يكن واثقا أن رسالته "لهويا" كافية لإقناعها. وضع قلمه جانبا تثاءب وطرقع أصابع يديه باسطا ذراعيه إلى ما فوق رأسه.

استمتع بهدوء الليل وشعر بذهنه أكثر كفاءة حين يكون بمفرده. نبهه حفيف الأشجار لينظر خارج النافذة التى التمعت حوافها الخارجية بقطرات من الندى. راقب تساقط أوراق الشجر فى الخارج ثم نهض من مكانه ومسح وجهه بفوطة مبللة ومضى نحو سريره.

مازحه بعض الضباط متسائلين متى سيأكلون حلوى زفافه ورد عليهم:

-"خلال الأشهر القادمة".

قررا هو و"مانا" أن يتريثا بعض الشىء فى الزواج حتى لا يتركا مجالا للغو الآخرين ، بأنهما يبنيان سعادتهما على تعاسة زوجته السابقة.

تغيرت حياة "شويو" تماما بعد مرور أسبوعين على طلاقها. تمت إجراءات نقل "هويا". ولكن لم يسمع "لين" شيئا من طرفها ، وهذا ما جعله قلقا ومتكدرا. وأخيرًا وصلت رسالتها ، كما توقع ، تخبره فيها أنها غير مهتمة بالعيش فى مدينة مزدحمة بالسكان ، وأنها تنتمى للطبقة العاملة المؤلفة من الفلاحين والعمال وأنها قررت البقاء فى الريف تعمل كفلاحة اشتراكية منتمية للجيل الجديد. يبدو أن "هويا" التقطت هذه الجملة من الصحيفة المحلية. غضب لقرارها هذا ولكنه كان عاجزا عن أى فعل. كما أنه لم يتلق أى جواب من "بنشنج" مما أثار شكوكه فى صهره. فهو ولا شك يرغب فى استغلالها للعمل معه فى متجره. حتى "شويو" ما أن سمعت بالخبر حتى نعتت ابنتها بالبيضة البلهاء.

وحين تحدث "لين" مع "مانا" بالأمر اقترحت عليه أن يذهب بنفسه إلى القرية لإقناعها واصطحابها معه. بدت له فكرة صائبة. كان عليه أن يبيع بيته بالريف من أجل مصاريف زواجه. وهكذا أخذ إجازته السنوية فى أول الخريف وعاد من جديد إلى "قرية الوز".

الفصل الثالث

وصل "لين" إلى بيته فى الريف ليفاجأ بأن هناك ما يزيد عن عشرة أشخاص يتجمعون فى حقله. كانت الحرارة ، بعد الظهر ، قد هبطت ولكن الذباب ظل يئز بجنون، وذلك بسبب وجود حمار مذبوح فى الحقل بالقرب من سور حديقة الخضروات. أهيل على دماء الذبيحة بعض من أغصان الأشجار اليابسة والتى لم تغمرها كليا. انبعثت من جلد الحمار المسلوخ رائحة المواد المطهرة منعا لانتشار الديدان ، كما عبق الجو فى الحقل برائحة اللحم المطبوخ والمبهر. رأى "لين" ابنته "هويا" واقفة أمام الموقد وقد غطت رأسها بمنديل بنفسجى ، وأخذت تحرك شيئا فى قدر كبير وضع فوق موقد مبنى على الصخر. عُلق أمام تكعيبة العنب لوحة كبيرة كُتب عليها بالحبر الأسود:

"أشهى طعام على الأرض. لحم الحمار بطعم لحم التنين فى السماء. "البوند" بثمن" ٢ "ين ونصف".

وضعت "هويا" المغرفة جانبا حين رأت والدها قادما ومضت لترحب به قائلة:

-"أنا سعيدة بمجيئك".

وأخذت الحقيبة من يده.

-"ماذا تفعلين؟ وما سبب هذا الجمع من الناس؟".

-"مات حمار الخال بنشنج وهأنذا أقوم بطهيه بوصفة: لحم الحمار المبهر بالبهارات الخمس. وقد تجمع الناس لشراء اللحم المطبوخ".

-"أين هو؟".

-"فى بيتنا يتحدث مع بعض الناس. تعال لندخل إلى البيت".

ثم استدارت وغطت القدر بغطاء خشبى.

انزعج "لين" من هذا المشهد وحدث نفسه:

-"لمَ لم يستخدم بنشنج حقله لطبخ وبيع قطع لحم الحمار المطبوخ؟ إنه فعلا لشيطان جشع. يحاول دائما استغلال الآخرين والربح على حسابهم. فلو أننى تأخرت أكثر من هذا سأجده قد وضع يده على البيت واحتله.

كان حمار "بنشنج" الوحيد قد نفق منذ يومين. بعد أن هرب من الحظيرة فى منتصف الليل سار الحمار تائها ودخل حقل خضروات مجاور وأخذ يأكل بنهم دون أن يشرب ماء ، مما أثقله وجعله عاجزا عن الوقوف على قدميه. رآه أحد الصبية مُلقى وراء الطاحونة فى الصباح التالى فركض ليبلغ صاحبه. وحين وصل "بنشنج" لينقذ حماره كان يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن انفجرت أمعاؤه. انزعج "بنشنج" جدا؛ فهو الحمار الوحيد الذى يعتمد عليه فى نقل بضائعه إلى مخزن "النجوم الستة" ولم تعييه الحيلة ، فكر ببيع لحمه ليستعيد بعضًا من ثمنه. كان يعلم أن الفلاحين لن يرغبوا بشراء لحم الحمار نيئًا ولذا فكر ببيعه مطبوخًا ليحصل على ربح أكبر ، مدعيًا أنه لا يتاجر بالمواد الأولية بل بالمواد المصنعة.

دخل "لين" إلى المنزل فوجد "بنشنج" يساوم شخصًا فى غرفة الجلوس كان يقول له محاولا إقناعه:

-"سأعطيك جلد الحمار. هل اتفقنا؟".

توقف "لين" و"هويا" يتنصتان. قاطعه الآخر صارخًا:

-"كلا لا أوافق. خرَّب حيوانك حديقتى وأنا لا أريده جلده ماذا سأفعل به؟ لن أستطيع بيعه حتى لمحطة إطفاء الحريق".

-"يمكن أن تصنع منه مرتبة تستلقى عليها".

-"كلا. ومن ذا الذى ينام على جلد حمار قذر؟ لو أنه جلد وعل لربما كنت فكرت باستخدامه".

-"حقا. بعض الناس غير جديرين حتى بحمار ميت".

-"كل ما هنالك أننى لا أريد جلد الحمار".

دخل "لين" إلى الغرفة دون أن يلاحظ الرجلان وجوده. تعرف على الرجل، كان جاراً له يدعى العم "سان". عاد "بنشنج" للمساومة فقال:

-"إذن ما رأيك بثمانية بوندات من لحم الحمار المطبوخ؟".

-"كلا. عشر بوندات".

-"تسعة".

-"اللعنة. قلت لك عشرة".

-"تسعة ونصف".

-"عشرة".

-"حسنا. سأعطيك ما تريد يا عم سان العجوز فقط احتراماً لسنك".

قاطعت "هويا" حديثهما وهى تشير نحو والدها قائلة:

-"عاد والدى إلى بيته يا عمى".

التفت الرجلان نحو "لين". اضطرب الرجل العجوز قليلا وأضاءت ابتسامة وجهه الخالى من الأسنان، ثم توجه بحديثه نحو "بنشنج":

-"يجب أن أذهب الآن. سأبعث بحفيدى الكبير من أجل اللحم".

شبك كفيه وراء ظهره ومشى بخطوات متوازنة وقد برزت خصلة شعر بيضاء من رأسه الأصلع. بدا "بنشنج" أيضا كرجل مترهل عجوز، امتلأ جبينه

بالغضون وغارت عيناه الضيقتان. بدا عليهما التعب والإرهاق كمن لم ينم لليالٍ عديدة. اضطرب بنشنج لحضور "لين" المفاجئ ولكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه وسأل "لين":

-"هل عادت شويو معك؟".

-"كلا ، جئت بمفردى لأصطحب هويا".

ونظر نحو ابنته التى بدا على وجهها الرضا والاستجابة. عبس "بنشنج" وقال متذمرا:

-"تلقيت رسالتك يا أخى الكبير وعلمت منها أنك حصلت على غايتك. ولكن مع هذا فنحن ما زلنا عائلة واحدة".

أجبر "لين" نفسه ، بعد أن أخذته الشفقة على بنشنج. بالرد قائلا:

-"و أنا أيضا أبادلك الشعور".

-"هل ستأتى لتناول الطعام معنا فى بيتى؟ فأختى ليست هنا".

-"حسنا...".

قاطعته "هويا":

-"أرجو يا أبى أن توافق. فقد أقمت الفترة الماضية كلها مع خالى ، فنحن عائلة واحدة".

-"حسنا ، أنا موافق".

بدا واضحا سرور "بنشنج" لموافقة "لين" على العشاء معهم. طلب من "هويا" إحضار دورق ماء لأبيها ليغتسل. ثم مضى خارج البيت ليستكمل بيع قطع لحم الحمار.

سُر "لين" أيضا لموافقته على عرض "بنشنج". فهو بحاجة إليه ليساعده فى بيع ممتلكاته. كان يود أن ينتهى من عملية البيع فى غضون أيام معدودة حتى تتاح له العودة إلى "موجى" بأقصى سرعة. كما أنه لم يكن واثقا من رغبة ابنته فى مرافقته. لذا كان من الضرورى مراعاة "بنشنج" ليساعده على إقناعها. من الواضح أن علاقتها وطيدة بخالها وزوجته. لم يرزقا بأولاد ويعاملانها كما لو أنها ابنتهما الوحيدة. امتعض "لين" من ميل "هويا" الواضح لخالها وابتسامتها المتبادلة معه، وشعر كما لو أنه شخص دخيل وغير مرغوب به بينهما.

خاطر آخر جال فى ذهنه وأقلقه. هل هناك صديق "لهويا"؟ فالفتاة أصبحت شابة جميلة، ولا بد أنها جذبت بعض المعجبين. إن كان هناك شاب فى حياتها فمن الصعب إقناعها بالذهاب إلى "موجى". لربما لن ترضى أن تتخلى عن صديقها والعمل فى المدينة. ازداد توتر "لين" وقلقه مع إمعانه فى التفكير وقرر أن يفاتحها بالأمر ليتسطيع تقدير ما سيواجهه من صعوبات.

فى المساء، وأثناء تناول الطعام، قال "بنشنج" أن "شبيه الحمار" يرغب بشراء بيت "لين" بما فيه الأثاث من أجل ابنه البكر "هاندونج". فالشاب ينوى الزواج السنة القادمة مستعينا بمروجات الزواج. فقد اتفق "هاندونج"، الذى يعمل فى مدينة "ويجا"، مع أهله ليبحثوا له عن زوجة مناسبة من الريف. سرَّ "لين" لوجود مشترٍ مهتم بشراء البيت والأثاث ولكنه تنغص حينما أبلغه "بنشنج" بأن "شبيه الحمار" لن يدفع أكثر من ثلاثة آلاف ين، فى الوقت الذى يرى فيه "لين" أن البيت يساوى ما يزيد على أربعة آلاف. ولذا حزم أمره وقال:

-"لن أبيع البيت بهذا السعر المنخفض".

-"حسنًا. سأبلغ "شبيه الحمار" بالأمر فى الغد حين يحضر إلى مخزنى. ما هو السعر الذى يلائمك؟".

-"أربعة آلاف".

-" خذ فى الاعتبار أنه سيدفع المبلغ بالكامل وعلى الفور. فقد ربح الخريف الماضى فى بيع الكرنب والبطاطس ، وهذا الربيع فى بيع الشعيرية. كما أن حوض الأسماك يدر عليه خيرا كثيرا. تذكر ، قلة من الناس فى قريتنا يملكون مبلغ ثلاثة آلاف ين".

أجابه "لين" مصمما:

-"لن أرضى بثلاثة آلاف. فهو سعر منخفض جدا".

بدا التصميم فى كلام "لين" ولكنه ضمنيا كان يشعر بالقلق ، فهو لن يستطيع البقاء لفترة أطول لانتظار عرض أفضل.

تحدث مع ابنته فى اليوم التالى ، وكما توجس كان هناك شاب فى حياة ابنته. لم يسعده الخبر. فبرأيه أنها ما زالت صغيرة على الحب والارتباط ، ولكنه مع ذلك لم يوجه لها لوما. وبينما أخذت تساعده فى حزم ثياب "شويو" استمر فى استجوابها لمعرفة المزيد عن الشاب. سألها:

-"هل يعيش" فينجكين " فى قرية قريبة؟".

-"كلا ، فهو الآن مجند فى البحرية فى منطقة "جيانكو".

-"كيف تعرفت عليه؟".

-"كنا تلاميذ فى فصل واحد".

قالت هذا وقد اصطبغ وجهها بحمرة الخجل حتى أذنيها وانهمكت فى تطبيق سروال أمها.

-"هل علاقتكما جدية؟ أعنى ، هل تعرفينه جيدا؟ هل تتبادلا الحب؟".

ردت بثقة:

-"نعم".

اندهش لردها. كيف لفتاة فى الثامنة عشر أن تتأكد من مشاعرها؟ هل الحب بهذه البساطة والسهولة؟ ألا يتطلب الأمر زمنا للوصول إلى الثقة والتفاهم المتبادل؟ لربما أنها مجرد نزوة. فلا يمكن لها أن تحب فى مثل هذا السن.

-"هل يعلم أنك ستنتقلين إلى المدينة وستحصلين على عمل جديد؟".

-"نعم ، كتبت له. وهو يشجعنى على الذهاب معك إلى المدينة".

-"إذن ، باستطاعته الانتقال للعيش فى مدينة موجى يوما ما".

-"أظن هذا".

-"هل يعلم خالك بأمر صديقك؟".

-"نعم. ولكنه غير موافق عليه".

-"لماذا؟".

-"يقول إن علىَّ الارتباط بشابٍ جامعى. فلم يعد الناس هذه الأيام يرغبون بالمجندين".

ابتسم "لين" وانتابته مشاعرمتضاربة. فهو من ناحية سُرَ من تشجيع "فينجكين" "لهويا" للانضمام إلى والديها فى المدينة لتتشبث بالفرصة التى اتيحت لها لتحسين ظروفها . ومن ناحية أخرى فهو ، وإن كان شابا عمليا ، إلا أنه ربما يستغلها لتحسين مستقبله.فلو بقيت "هويا" فى الريف سيضطر للإقامة معها فى القرية إلى أن ينهى خدمته العسكرية. خاف "لين" أن تكون علاقة الشاب بابنته طمعا بها ، ولكنه لم يذكر لها شيئا عن شكوكه. فكل ما يتمناه فى الوقت الحاضر أن يصطحبها معه إلى "موجى" بدون مشاكل.

زعقت أوزة خارج النافذة فتذكر أن عليه التخلص من الطيور الداجنة والمعزة والبذور خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر. سألته "هويا" وهى تعرض على جسدها سترة حمراء:

-"ما رأيك يا أبى؟ هل من اللائق أن تلبس أمى مثل هذه السترة؟ إنها القطعة الحريرية الوحيدة التى تمتلكها".

-"كلا ، فهى كبيرة عليها. هل رأيتها وهى تلبسها يوما؟".

-"كلا ، لم أرها قط".

وهناك تذكر "لين" أنها كانت هدية من قريبة له بعثتها كهدية زواج "لشويو" منذ عشرين سنة مضت. كانت كبيرة جدا على "شويو" التى لم تحاول يوما إصلاحها قائلة:

-"إنها لا تلائمنى ، فهى ثمينة وغالية ولا تناسبنى".

لذا ظلت السترة على حالها. طلبت منه "شويو" قبل مغادرته للريف أن يمنح كل ما لن تستطيع ارتدائه إلى زوجة أخيها. ولذا قال "لهويا":

-"احزميها مع بقية الملابس التى سنقدمها لزوجة خالك".

حضر "بنشنج" فى المساء وبجبعته أخبار جديدة.

وافق "شبيه الحمار" على السعر الذى طلبه "لين" بشرط أن يدفع ألفين نقدا فى الحال ويكمل الباقى فى نهاية السنة القادمة بعد زواج ابنه. شكّ "لين" بالأمر. فهو يعلم تماما بأن المشترى سيستلم الملكية على الفور وسيصبح من الصعب الحصول على الدين المتبقى. كما أنه لا يثق "ببنشنج" ، فليس من المستبعد أنه قبض المبلغ كله ولن يسلمه إلا نصفه نكاية به وانتقاما لأخته المطلقة. لربما خطط الرجلان لهذا الأمر . كلا لن يوافق على هذا العرض. وبدون إعادة للنظر قرر "لين" أن يستلم المبلغ كله على الفور.

فى المساء مضى و"بنشنج" إلى منزل "شبيه الحمار"و عقدا الصفقة بعد مساومة قصيرة. وافق المشترى على دفع ثلاثة آلاف ومئتى ين نقدا وعلى الفور. مضى ما يزيد على الثمانية سنوات منذ رأى "لين" "شبيه الحمار". اندهش "لين" ، فلم تظهر على الرجل أى علامات للعجز. احتفظ بشبابه ولم تتغير سوى نظرة عينيه الواسعتين. قلّ

بريقهما. ظلت أسنانه الطويلة متينة قوية وإن إصفر لونها من شرب الشاى. وحافظ وجهه الشبيه بوجه الحمار على شبابه وخلوه من التجاعيد إلا ما ندر من غضون، حتى أنه أصبح أقل اسمرارا وأكثر صقلة. تعجب "لين": كيف استطاع الرجل المحافظة على نضارته؟ تربع "شبيه الحمار" على مقعده وقال:

-"لست منزعجا أننى أدفع لك أكثر من قيمة المنزل. فنحن جيران ولن نختلف".

كان يشرب كأسا من الجعة الثقيلة التى كانت أشبه بزيت الفول السودانى. لم يلمس "لين" الكأس التى قُدمت له. نادى "شبيه الحمار" ابنه ليكتب العقد. لدهشة "لين" حضر شاب ممشوق القامة، ناعم الوجه، هادئ النظرات. وضع على مائدة الطعام ورقة رسائل ومحبرة بحبر صُب حديثا. جلس على السرير الطوبى مربعا ساقيه وبدأ يكتب بريشة صغيرة من شعر "ابن عرس" قلما يستعملها الناس فى الوقت الحاضر. كان يوجه بين الحين والآخر نظرات أنيسة "للين". بدا شكله وتصرفاته وكتابته كما لو أنه من العلماء. لم يكن بأى شكل شبيها بأبيه الثقيل الأُمىَ.

أخبر "بنشنج" "لين" أن الشاب تخرج من الجامعة وأنه يعمل أستاذا فى مدرسة إعدادية. كان من الواضح إعجاب "بنشنج" بالشاب.استطرد بنشنج : أقام له والده بعد تخرجه وليمة كبيرة وقدم فيها الهدايا لرؤساء البلدية الذين من جانبهم انتخبوه ليكون التلميذ الجامعى المثالى ممثلاً للمجندين من الفلاحين والعمال.

إضافة للبيت والأثاث ضم العقد الحقل الخلفى وحظيرة الخنازير وحجر الطاحون وحديقة الخضروات وأشجار السرو و"الجوجوبى"، وبئر المياه والفرن ومخزن اللبن. بعد أن قرأ "لين" العقد بتمعن بَصَم بختمه الشخصى على الورقة تحت اسمه وفعل الشىء ذاته "شبيه الحمار". وبعدها نهض المشترى ومضى نحو غرفته الداخلية حيث تحتفظ زوجته بثمرات أبو فروة وعاد ومعه ثلاث رزمات من النقود، كل واحدة بمئة ورقة من فئة العشر يَنَات. ثم سحب من ظرف صغير أربعين ورقة جديدة من فئة الخمس يَنَات، ضمهما إلى الثلاثة آلاف ووضعها على طاولة الغذاء قائلا:

-"أرجوك ، عد هذه الأوراق".

بدت الدهشة على "لين"؛ فلم يلتق بحياته كلها برجل بمثل هذا الثراء.

بدأ "لين" فى عدّ النقود. يسوى كل فترة ورقة متنية الزاوية. فى حين صبّ "شبيه الحمار" كأسا أخرى من الجعة "لبنشنج" ، الذى كان ينظر عابسا وهو يراقب أصابع "لين" البيضاء. وجد "لين" سبع ورقات غير صالحة فقال للمشترى:

-"لن يقبل أى مخزن استلام هذه الأوراق الممزقة".

ضحك "شبيه الحمار" وقال:

-"أنت رجل حاذق".

ثم مضى إلى الغرفة الداخلية وعاد بسبعة أوراق جديدة من فئة العشر ينَات. انتهت الصفقة وسلم "لين" مفتاح البيت إلى "شبيه الحمار". وضع هو و"بنشنج" قبعتيهما على رأسيهما وودعا الأب وابنه ومضيا إلى الخارج نحو ليل بلا نجوم.

فى طريقهما إلى المنزل أعطى "لين" "لبنشنج" سبع ورقات من فئة العشر ينَات ، فاستلمها الآخر ممتعضا. صاح ديك من جهة الجنوب فعلّق "بنشنج":

-"ديك مجنون. لم نبلغ بعد منتصف الليل. عليهم أن يذبحوا أو يخصوا هذا الديك الملعون الذى لا عمل له سوى تشويش الناس. يطلق صياحه لإيقاظهم ولا يبيض".

مضى "لين" إلى مركز المدينة فى اليوم التالى وهاتف أخاه. طلب منه الحضور فى الغد ومعه عربة نقل لينقل بعض الأشياء لبيته. كان قد قرر أن يعطى كل الحيوانات إلى أخيه "رين كونج". أخبر "هويا" بقراره ووعدته بعدم إخبار خالها "بنشنج". فهى على علم أن والدها منحه سبعين ينا وبأنه ينوى أن يترك له جميع الأدوات الزراعية ومقسم العائلة.

شعر "لين" بالإرهاق بعد أن قام بكنس وتنظيف مقبرة والديه. نام بعدها لمدة تسع ساعات. وحين صحا من نومه متأخرا فى اليوم التالى شعر بألم فى كتفيه ومرفقيه.

بعد أن تناول إفطاره صَبَّ زجاجتين من الكحول المصنوع من البطاطا الحلوة فوق قطع الفجل وفتات خبز الصويا الذى حضرته "هويا". قلب الخليط بالكحول بعودين من العصى ثم أطعمها للخنزيرة وأولادها السبع وإلى الدواجن والمعزة. أكلت الحيوانات بشغف واستسلمت للنوم.

خطط أن يسافر فى الغد إلى "موجى". كان راضيا لأن الأمور سارت نوعا ما بسهولة ويسر وكما أراد. وصل "رين كونج" وولداه الكبيران مع جرار زراعى فى ساعة مبكرة من بعد الظهر وبدأوا العمل على الفور. وضعوا الدجاج والأوز والبط فى حقيبة كبيرة. ربطوا أرجل الخنازير والمعزة بالحبال ثم رموا بهما نحو المقطورة. كانت الحيوانات مخدرة ولم تصدر إلا بعض الهمهمات كل حين. أصبح الصبيان شبابا طوال القامة كأبيهما ، بسواعد مفتولة العضلات. سر "لين" لرؤيتهما بالرغم أن علاقته بهما لم تكن وثيقة. أحضر العم "رين" لابنة أخيه "هويا" زوجين من الأحذية من الجلد البنى غالى الثمن. فرحت به ومضت على الفور لتساعد أولاد عمها فى نقل براميل التخمير والجرار وصناديق حفظ الطعام وزوجين من المعاطف الواقية للمطر. إضافة إلى قدور وحلل طبخ ومقالى ، وصندوقين ممتلئين بالكتب ومجموعة من الكراريس غير المستعملة من أجل ابن عمها الصغير الذى ما زال فى المرحلة الإعدادية. سألها والدها:

-"هل بالامكان أن تغلى لنا يا هويا ماء للشاى؟".

-"طبعا".

ومضت نحو المنزل لتشعل الموقد.

فى هذه الأثناء جلس "لين" و"رين" تحت شجرة "جوجوبا" يتسامران ويدخنان. نفث "رين" الدخان من غليونه ووضع خلف أذنه سيجارة ماركة "العنبر" قدمها له "لين". قرر أن يقدمها لابنه البكر. عبَّر "لين" للمرة الثانية عن إعجابه بأولاد أخيه المتعافين. تدرب البكر وأصبح سائقا لشاحنة نقل. لن تعدم مائدة "رين" فى المستقبل الكثير من اللحم والنبيذ طالما أن ابنه سيعمل فى هذا المجال المربح.

امتلأت المقطورة لآخرها. مضوا دون أن يشربوا الشاى؛ كان عليهم أن يعيدوا الجرار إلى مركز البلدية قبل الساعة الخامسة. بعد أن ودعوا "لين" و"هويا" قفزوا جميعا إلى الجرار الذى انطلق بهم بأقصى سرعة. ما أن اختفى الجرار عن الأنظار حتى ظهر "بنشنج" فى الساحة. شحب وجهه وهو يرى الحقل فارغا. سأل ابنة أخته:

-"هل احتفظت لى بعربة النقل؟".

-"أظن أنها ما زالت مخبأة".

ومضت لتبحث عنها. عادت بعد برهة لتعلن:

-"اللعنة. لقد أخذوا كل شىء، حتى المجارف والأمشاط والمعازق".

مضى "بنشنج" نحو "لين" وقال:

-"ظننت أنك يا أخى الكبير ستترك لى البذور".

-"تركت لك مقسم العائلة".

-"لا قيمة له. مركز القرية سيستعيده".

-"ط..طلبت من رين أن يحضر عربة نقل يجرها حصان لأترك لك بقية الحمولة ولكنه جاء بجرار زراعى مع قاطرة. ولكن أنظر لدينا فى الداخل ثياب لخالة هويا ولدينا هذه أيضا".

قال هذا وهو يشير إلى حزم وأجمات وأكياس من الحبوب والبذور والسماد.

-"اللعنة عليك. أنتَ دودة ناكرة للجميل".

سحق "بنشنج" الأرض بقدمه غاضبا ومضى عارجا. قرر "لين" و"هويا" أن يتناولا طعام العشاء فى بيتهما فى تلك الليلة درءا للاحتكاك "ببنشنج". فتح "لين" علبتين من عصير الخوخ وأخرج بعضًا من قطع الحلوى. جلس الأب والابنة لأول مرة سَويا

يحتسيان الماء الساخن. سأل "لين" "هويا" إن كان أخطأ فى حق "بنشنج"،و عرض أن يقدم مئة ين زيادة لإرضائه. فكرت "هويا" قليلا ثم قالت:

-"كلا. احتفظ بالمال من أجل أمى. مئة ين لن تضيف إليه شيئا. فهو أحيانا يربح ما يزيد عن هذا المبلغ فى الأسبوع الواحد".

-"أنت محقة. لن أعطيه شيئا".

ثم قضم لقمة من أقراص الحلوى بالبندق وأكمل:

-"إن كان بمثل هذا الغنى ، فلِمَ أراه حانقا علىّ بهذا الشكل؟".

-"لأنه طماع جشع. كل تفكيره منصب لاقتناء المزيد من المال لدرجة أنه يغش ، فيخلط صلصة الصويا والخل بالماء قبل بيعهما".

-"هل هذا حقيقى؟ وهل تعلم خالتك؟".

-"كلا ، هى لا تعلم".

تبادلا الابتسام. سُر "لين"؛ فقد عبّرت "هويا" بابتسامتها هذه أنها أصبحت حليفة له ، ولم يعد ولاؤها لخالها.

لاحظ "لين" ، منذ عودته إلى بيته ، ارتفاع روحه المعنوية. لم يعد يشعر بالبؤس والوحدة. هل يعود هذا لاقتراب ابنته منه من جديد؟ ولكنها سرعان ما ستنتمى لرجل غيره. لو أن بإمكانها البقاء معه إلى الأبد! أو لو أنها أصغر بعشر سنوات. وحدث نفسه :

-"كانت دائما أمامك وقد أمضيت عمرك كله حتى الآن وحيدا ، وستمضى البقية الباقية من عمرك أكثر شعورا بالوحدة. فابتعد عن مثل هذه الهواجس والتفاهات".

سكن البيت بعد غياب الحيوانات واختفى معها الذباب. سمِعَ على بعد ، فى مكان ما من القرية ، صوت صهيل أحد الأحصنة. خيم الظلام وبعد أن رفع الأب والابنة

بواقى الطعام وغسلوا الأطباق دخلا إلى غرف نومهما مبكرين. كان عليهما أن يصحيا قبل بزوغ الفجر ليلحقا بالحافلة. فيوم الغد سيكون طويلا وشاقا ، عليهما حمل حقائبهما الضخمة التى تضم ثياب الشتاء والألحفة. غسل "لين" قدميه ثم أشعل فتيلين من البخور لطرد الناموس ، وضع واحدة فى غرفته وواحدة فى غرفة "هويا" ، ثم تمنى لها ليلة سعيدة ، وعاد ليستلقى على سريره فى غرفته. حاول جاهدا النوم ولكنه استعصى عليه ، فالمرتبة باردة ولكنها قاسية وغير مريحة. كما أن الساعة لم تتجاوز الثامنة مساء والظلام لم يخيم بعد ، ومازال نور الغسق غالباً. وصلته نغمات نشاز من لاعب كمان فى القرية. أقفل "لين" عينيه بشدة وحاول أن يبعد أفكاره عنه. وشيئا فشيئا استسلم للنوم.

أيقظته طرقة على الباب. رفع رأسه ليجد "هويا" أمامه ، دخلت الغرفة وهى تلف كتفيها بغطاء أبيض وقالت:

-"هل يمكننى أن أنام بغرفتك يا أبى؟ أشعر بالخوف. فغرفتى هادئة جدا بعد أن فرغت من محتوياتها. أشعر أنها مليئة بالأشباح".

فطن "لين" أنها كانت تنام مع خالتها منذ سفر "شويو" ، فرد عليها:

-"تعالى ونامى فى الناحية الأخرى من السرير".

تسلقت السرير الطوبى الذى كان بعرض الغرفة واستلقت على الجانب الآخر. وبدون أية كلمة أغمضت عينيها. نظر "لين" لوجه ابنته بتمعن. كان أنفها مستويا كأنفه وأكثر رقة وجبهتها عريضة وتذبذبت شفتاها مع حركة زفيرها. كان جلدها الداكن لامعا. أُعجب "لين" بجمالها الذى كان من الواضح أنها غير عابئة به. ستصبح قريبا شابةجذابة .لافتة لأنظار العاملين معها فى عملها الجديد بالمدينة. لكم يتمنى أن تنسى هذا الولد البحار. ستجد بكل سهولة رجلا محترما يحبها ويرعاها بشكل أفضل. وفيما هو سارح بأفكاره ، فتحت "هويا" عينيها وسألته:

-"صف لى موجى".

-"انها مدينة كبيرة ، بها حديقتان عامتان وثلاثة مخازن واسعة جدا ، وست أو سبع صالات سينما".

-"يقول أصدقائى ، يلمع العديد من الأقمار فى موجى فى الليل. هذا ليس صحيحا ، أليس كذلك؟".

-"بالطبع لا ، لربما أنهم يعنون أنوار النيون".

-"ما هى أنوار النيون؟ وهل تبدو مثل الأقمار؟".

-"ليس تماما ، فهى ملونة وتومض طوال الوقت".

-"هذا مرعب. هل تخاف أمى من السير وحيدة فى المدينة؟".

-"لا أظن ذلك".

ندم لأنه بدا مترددا. فهذا يدل على عدم اهتمامه بأمها. ولكن من ناحية أخرى فهذا صحيح. فهو فعلا لا يعلم شعور "شويو" حين تتجول وحيدة فى المدينة. ثم استطرد:

-"هل سترافقين أمك يا هويا حين تذهب للتسوق فى المدينة؟".

-"سأفعل".

قالت هذا وهى مغمضة العينين. وبعد سكون قصير قالت:

-"هل شعرت بالخوف يا أبى حين غادرت القرية وحيدا؟ لم تكن حينذاك سوى شابا مراهقا فى الثامنة عشرة".

-"كلا ، بالفعل لم أخف".

-"ألم تفتقد لأصدقائك فى مدينة يوجيا بعد أن غادرتها؟".

-"كان عندى قلة من الأصدقاء".

-"أما أنا فعندى الكثير منهم ها هنا".

تغير صوتها ووضح استغراقها مع أفكارها. وبينما كان الأب والابنة يتبادلان الحديث بعيون مغمضة هبط الظلام وثقلت عتمته. احتجبت الطاولة والخزائن فى الظلمة. وفجأة ، مزق السكون صوت "بنشنج" يصرخ من ناحية الحقل قائلا:

-"اخرج أيها الذئب الشاحب".

قفز "لين" من سريره ولبس سرواله ومضى خارجا. وما أن فتح الباب حتى خرقت أنفه رائحة نفاذة لكحول حمضى. وقف "بنشنج" عارى الصدر فى لباسه الداخلى الأبيض الواسع يشير نحو "لين" ويقول:

-"أخـ..أخى الكبير. تعالَ لأسوى حسابى معك الليلة".

-"ماذا تريد؟".

-"أريدك أن ترافقنى إلى بيتى".

-"كما تريد".

خرجت "هويا". كانت تلبس سترة نوم زهرية اللون. لوح خالها بيده نحوها وقال بصوته المشروخ:

-"كلكم حيوانات بدون قلب. لا تعترفون بالجميل".

قال "لين":

-"أراك أكثرت من الشراب يا بنشنج. سأصحبك إلى بيتك".

-"كلا. فأنا بكامل وعيى".

ثم أشار بإصبعه نحو صدغه وأكمل:

-"الأمور واضحة تماما ها هنا".

كانت ساقاه خائرة ، تهتز وهو يترنح. قالت "هويا":

-"خالى ، أرجوك عد إلى بيتك".

-"أنتِ فتاة جاحدة. لم تأتِ لتأ...كلى معنا. حضَّرت خالتك لحم الخاروف المعتق خصيصا من أجلك. ولكنك مع ذلك لم ترينا وجهك".

بكت "هويا" وهى تقول:

-"لم يكن لى علم".

-"أخبرينى. لمَ أراك مستعلية وترفضين يد هاندونج؟ أين ستجدين شابا أفضل منه؟ فهو شاب متعلم مثقف".

-"سبق وقلت لك يا خالى. أنا لا أفكر به".

-"ولكنه يحبك ويريدك زوجة".

-"قلت لك أنا لا أريد دودة كتب".

شعر "لين" بالأسف من أجل "بنشنج" فقال له:

-"يا أخى لقد أخطأنا فى حقك. أرجوك...".

-"لا تنادينى أخى. فأنت سرقت منى أختى. وها أنت تأخذ هويا بعيدا عنى. أنت تحتقرنى لأننى لم أنجب أولاداً. أنت..أنت عدوى اللدود.سأثأر لنفسى وأسوى حسابى معك".

قال هذا ثم انقلب على الأرض يبكى وينوح كصبى صغير.

-"أرجوك يا خالى لا تنزعج هكذا. ستزورنا وسأعود لزيارتكما أنت وخالتى. وهذا وعد منى".

-"لا تضحكى علىّ بكلامك المعسول. أعلم تماما رأيك بى. فأنت تظنينى رجلا جشعا دنيئا. ولكن تأكدى أن لى قلباً صافياً كالذهب".

قال هذا وهو يضرب صدره بقبضة يده.

انحنى "لين" لمساعدته على النهوض وهنا ظهرت زوجة "بنشنج" من وراء الظلمة تلبس قميصا أبيض وسروالا بنفسجيا. كانت سيدة ضخمة ، شديدة المراس ، صامدة. توجهت نحو زوجها صارخة:

-"أيها الشيطان العجوز ، ستعود إلى البيت فى الحال".

قال مزمجرا:

-"اتركينى لحالى".

-"انهض الآن وتعال معى".

-"حسنا يا جدتى الصغيرة".

حاول الوقوف ولكن ساقيه المترنحتين خذلتاه. التفتت الزوجة نحو "لين" قائلة:

-"استحلفته كيِ يدعكما تغادران أنت وهويا بسلام. ولكنه تسلل من ورائى بعد أن تجرع قدرا كبيرا من بول الحصان هذا".

انحنى "لين" قائلاً:

-"لن يتمكن من السير. ساعدانى على حمله على ظهرى ".

رفعت "هويا" وخالتها "بنشنج" من تحت إبطيه ووضعتاه على ظهر "لين". حمله "لين" وسار باتجاه منزل "بنشنج" الذى كان على بعد ثلاث مئة ياردة. سارت خلفه "هويا وخالتها يسبقهما ظليهما المتطاولين تحت ضوء قمر ندى. مضى "لين" يدب على الأرض مترنحا تحت ثقل "بنشنج" الذى كان ينفث أنفاسه الساخنة فى مؤخرة عنقه ، فيوخز جلده ويزغزغه ويجعله راغبا فى حك رقبته. وكان كلما أصدر "بنشنج" زمجرة ساخنة أو لعنة ، تصور "لين" أن السكران سيفتح فمه ليعضه فى عنقه. مضت "هويا" تهمس لخالتها تساررها بصوت غير مسموع بينما ارتفع صوت لهاث "لين" والحمل على ظهره يزداد ثقلا

الفصل الرابع

توظفت "هويا" فى مؤسسة "صناعة الكبريت الرائع" بعد أسبوع من وصولها إلى "موجى". أقامت فى المستشفى مع والدتها لمدة محدودة إلى أن يُنظر فى أمر إقامتها. أحبت عملها الجديد الذى كان أسهل من أى عمل اشتركت به فى القرية. كل ما هو مطلوب منها لصق قصاصة من الورق باسم المصنع على كل علبة كبريت ، وتجميع كل عشرة علب فى رزمة واحدة. كما دفعوا لها بسخاء: ثمانية وعشرون ينا شهريا ، أكبر مرتب تلقته حتى الآن. شعرت بالامتنان والشكر لوالدها ولكنها لم تصرح له بمشاعرها قط.

بعد شهر ، خُصصت لها غرفة نوم فى بيت من بيوت موظفى المؤسسة. وهكذا فى صباح يوم من أيام الأحد انتقلت هى وأمها من المستشفى لتقيما فى وسط المدينة. اشترى لهما "لين" القدور والقصع وبعض قطع الأثاث الضرورية ، وحاجتهما من الفحم وخشب الوقود. كان عليهما منذ الآن أن يتدبرا أمرهما بنفسهما وتستغنيان عن خدماته. كان وضعهما لا بأس به كغيرهم من العمال. إذا أُضيف راتب "هويا" إلى النفقة الشهرية التى تقبضها "شويو" من "لين" ستتمكنان من سد نفقات الحياة بسهولة.

بدأ "لين" بالتفرغ لحياته الجديدة بعد أن استقرت أمور "شويو" و"هويا". اصطحب "مانا" إلى مكتب توثيق الزواج فى وسط المدينة. قدما لكل موظفة من الموظفتين المسئولتين علبة صغيرة من الحلوى لتسهيل مجرى الطلب. بدون تأخير قامت المرأة الأكبر سنا والأكثر ذبولا باستخراج شهادة زواج ، والتى كانت عبارة عن قطعة من الورق الأحمرُ نقش عليها بالأحرف الذهبية : ترخيص زواج

بدأت الاستعدادات للزواج. خصصت لهما إدارة المستشفى شقة صغيرة من غرفة نوم واحدة. أخذ منهما تنظيفها أسبوعا كاملا. كانا يذهبان كل مساء ، بعد الانتهاء من العمل ، للقيام بالكنس وتسعيف الأسقف والجدران ، وغسل الأرضيات والأبواب ، ودهن السرير الصدئ الذى استأجره "لين" من قسم العلاقات العامة ، جلّيا وأزالا الشحوم والدهون عن أدوات المطبخ. كما قاما بتنظيف زجاج النوافذ المبقعة بفضلات الذباب المتراكمة. اضطرا لتغطية الفتحات حول النافذة بمعجون تنظيف الأرضيات وشرائط مقصوصة من أوراق الصحف. كان هناك تصدع بالجدار الشمالى لغرفة النوم ، فكان الهواء البارد يتسلل مع هبوب الرياح ليحرك أوراق الحائط بصوت حفيف مزعج. ولذا بعث قسم الطوارئ بعاملىّ بناء قاما بسد التصدعات وتطينهما بالملاط ، مما استدعى طلاء الحوائط كلها.

إضافة لعمليات النظافة والترميمات ، كان على "لين" شراء كمية كبيرة من الحلوى ومن علب السجائر والفاكهة والنبيذ ، من أجل الحفلة. كانت هذه الأشياء الفاخرة نادرة وغير متوفرة فى تلك الأيام ، ولا يمكن اقتنائها إلا من السوق السوداء. أراد "لين" أيضا أن يشترى جهاز تلفاز أبيض وأسود. هذا بدوره تَطَلَب قسيمة ليست بحوزته. كان يركب كل مساء دراجته ويتجه نحو المدينة ليزور أصدقاءه علّه يحظى بقسيمة منهم ، ليعود فى آخر الليل منهكا مهدودا. أما "مانا" فكانت تعانى فى هذه الفترة من إصابتها بالبرد والسعال الشديد.

أقيمت حفلة الزفاف فى قاعة الاحتفالات فى أول يوم أحد من شهر نوفمبر. تجمع أكثر من نصف موظفى المستشفى مع عائلاتهم للاحتفال. حضر معظم القادة مع زوجاتهم باستثناء السيدة "سو" التى كانت ترفض فكرة الطلاق ، فما بالك بالزواج من جديد. لم تتوقف عن نعت "مانا" بخليلة الطبيب "كونج" كلما جاء ذكر الزوجين أمامها. ارتصت المياه الغازية ، والنبيذ ، وأطباق التفاح والكمثرى ، وأطباق أخرى ملئت باللوز المحمص ولب عباد الشمس. والسنوبر والسجائر والسكاكر والحلوى فوق أربعة وعشرين طاولة. ضج الأطفال وازداد صخبهم عند رؤيتهم هذا الكم من السكاكر

والحلوى. كان معظمهم من الكشافة الرواد ، يلفون حول أعناقهم منديلا ثلاثى الأضلاع طُبع على زاويته العلم الأحمر. ركض البعض منهم وراء زملائهم وهم يقذفونهم بقشور اللب أو بفلُقات اللوز والسنوبر المحمص بعد كسرها بأضراسهم. اصطفت الفتيات الصغيرات حول السخانات الكهربائية يدفئن أيديهن. وفى الخارج كانت حافات النوافذ مغطاة بالجليد الذى بدا لامعا تحت أنوار الفلورسنت؛ فقد تساقط الثلج بغزارة طوال الصباح وتسرب صوت هدير الرياح الشمالية من خلال النوافذ. على الحائط الأمامى ، علقت لوحة كُتب عليها بالخط العريض بالحبر الأسود على ورق أحمر:"زواج سعيد" ، تدلت منها ستة أشرطة ملونة. كما تأرجح صفّان من البالونات ، تسرب الهواء منها ، فبدت كشرابات أطفال زرقاء.

بعد أن أمتلأت القاعة بالمدعوين وقف المدير "بينج تشين" تحت اللوحة. صفق بيديه وقال بأعلى صوته:

-"أرجو أن أحظى بانتباهكم".

سكتت الأصوات وعمّ الهدوء. فأكمل بصوت جهورى:

-"رفاقى وأصدقائى ، نجتمع الليلة فى هذا المكان لنحتفل بالزواج السعيد للرفيق لين كونج والرفيقة مانا يو. ولى الشرف العظيم أن أبارك هذا الزواج. نحن جميعا نعرفهم ، فأنتم تشاهدونهما كل يوم فى العمل ، ولذا فلنختصر الطقوس ونُبَسطها. سنبدأ بالترحيب بالعريس والعروس".

نهض "لين" و"مانا" وواجها الحضور وضجت القاعة بتصفيق حاد. وقفا عاريا الرأس فى زى العمل التقليدى. وضعا على سترتيهما زهرة حمراء مصنعة من الورق. لبست "مانا" حذاءً جديداً لامعا احتفالا بالمناسبة بينما لبس "لين" حذاء الجيش التقليدى عالى الساق المصنع من الجلد والقماش. بدا التوتر واضحا على "مانا" ، لا تدرى أين تضع يديها ، واتجهت أنظارها نحو زميلاتها فى العمل وابتسمت لهن. انحنى الزوجان لتحية الجمهور بناء على طلب "مينج تشين" ، فهلل لهم بعض من

الحضور واكتفى البعض الآخر بالتصفيق. دخل المزيد من الناس من الباب الخلفى وازدحمت القاعة. تهامست السيدات مندهشات لشحوب وجه "مانا" الذى ازداد فى الأسابيع الماضية اصفرارا. وعلّقت إحداهن على عبوس العريس فقالت:

-"انظروا إلى وجه الطبيب كونج. لا تفارقه الكآبة، ولا تبدو عليه السعادة أبدا. لم نره يوما متفائلا".

أعلن المدير "تشين" ثانية:

-"و الآن سيقدم العريس والعروسة ولاءهما وشكرهما للحزب وللرئيس ماو".

استدار الزوجان ليواجها حائطا عُلقت عليه صورة لوجه الرئيس الراحل وقد أحاط بها زوجان من الأعلام يحملان شعار المطرقة والمنجل المتصالبين. انطلق "مينج تشين" منشدا:

-"الانحناءة الأولى".

انحنى الزوجان أمام العلمين والصورة وهما يضعان نهايات أصابعهما الوسطى على حزامى سرواليهما".

-"الانحناءة الثانية".

عاودا الانحناء ولكن بزاوية ثمانين درجة.

-"الانحناءة الثالثة".

وبعد أن انتهيا من تقديم فروض الطاعة والولاء للزعيم والحزب، التفت الزوجان ليواجها الحضور من جديد. ظل صدى إنشاد المدير داويا فى القاعة والممرات لبضع ثوان. خيّم الصمت على المدعوين كما لو أن على رؤوسهم الطير متأثرين بصوت "مينج تشين" الجهورى.صرح الرئيس بعدئذ قائلا:

-"و الآن أعلن لين كونج ومانا يو زوجا وزوجة. فلنقدم لهما التهانى".

صفق الحاضرون من جديد. وصفر بعض الصبية. وبعد أن هدأ الجميع طُلب من العروسين أن يقدما أغنية ثنائية. كانت "مانا" تجيد الغناء وتحفظ الأغاني على عكس "لين". ولذا غنيا الأغنية الوحيدة التي يعرفها "لين" وهي:"جيوشنا تسير نحو الشمس". كانت أغنية قديمة وغير معروفة لصغار الضباط. بدا صوتهما نشاذا ، لم يسمع صوت العريس لانخفاضه ورقته وتحشرج صوت العروسة لإصابتها بالبرد. علّقت إحدى الممرضات:

-"إن هذا ليسبب ألما في الأسنان".

وما ان انتهيا من الغناء حتى رفع أحد الضباط الشباب قبعته صائحا:

-"كُلا التفاحة المتأرجحة".

تعالت الأصوات من كل مكان:

-"نعم ، فليأكلا سويا التفاحة المتأرجحة".

كان المطلوب أن تعلق تفاحة بخيط لتتأرجح في الهواء ويحاول العريسان قضمها سويا ، فلا يسعهما سوى تقبيل بعضهما. رفع المدير "تشين" يديه عاليا طالبا الإنصات والهدوء وقال:

-"نحن نمثل ضباط وجنود الثورة. لا يمكن أن تطبقوا تقاليد الريف في الجيش. فهذا اللهو غير مسموح به ها هنا. والآن استمتعوا بالحفل".

وحين نهض البعض وأخذوا يتجولون في القاعة ، صفق "مينج تشين" بيديه من جديد منبها الأطفال وصرخ قائلا:

-"أصدقائي الصبية والبنات ، كلوا ما ترغبون به من الحلوى والسكاكر ولكن لا تحشروا بها جيوبكم. ولا تأخذوها معكم إلى بيوتكم. هل كلامي مفهوم؟".

أجابته إحدى الفتيات بأعلى صوتها:

-"نعم يا سيدى".

تعالت الضحكات وعمّ الصخب فى القاعة من جديد. وانطلق صوت بكاء طفل من الزاوية الخلفية للقاعة. أشعل أحد الضباط الشباب ألعابا نارية وجعل الانفجار بعض الفتيات تصرخن رعبا. وفى الحال صدرت الأوامر بمنع الألعاب النارية ، كما فُتح البابان الخلفيان لتتسرب رائحة الدخان المنبعثة من المسحوق المستعمل للتفجير.

مضى الرؤساء والضباط الواحد تلو الآخر نحو الزوجين لقرع الأنخاب والتهنئة ، وحين اقترب القوميسار "ران سو" منهما كان بادى التأثر. لم ينح منحى الآخرين ، ظهر عليه العجز والهَم مع أنه كان فى الواحد والخمسين من عمره فقط. بدا بشعره المبعثر الأبيض وشاربه الرمادى وجبهته المتغضنة وجفنيه المتكسرين أشبه ما يكون بشيخ مسن.

أمسك بيدى "لين" و"مانا" وأخذهما إلى جانب قصى وقال بصوت حزين:

-"أحبا واعتنيا ببعضكما البعض. لم تصلا إلى هذا الزواج إلا بشق الأنفس. تذكرا أن حبكما حبٌ مرٌ".

توقف وقال ثانية كما لو أنه يحدث نفسه:

-"حب مر".

تأثرت العروس بكلامه ، لم يعد بإمكانها كبت مشاعرها. فانسابت دموعها تغرق وجهها. أخذ "لين" الكأس منها ووضع يده حول خصرها وقادها نحو أحد الأركان محاولا التخفيف عنها. دون فائدة ، لم يكن بالإمكان مواساتها. ارتجف فمها وغسلت الدموع وجهها. أخذت تعض شفتيها محاولة التحكم بعواطفها ، على العكس ، ازدادت شهقاتها ولمعت عيناها ، وشعرت بالاختناق والمحتفلون يجولون حولها تحت أنوار الفلورسنت المشعة. قال لها "لين" مهدئا:

-"لا تتكدرى يا عزيزتى".

استمرت فى عض شفتيها والدموع تترقرق من ذقنها إلى سترتها. وأكمل "لين":

-"هذا يكفى يا حبيبتى. إنه حفل زفافنا. حاولى أن تتظاهرى بالسعادة".

نظرت إليه نظرة بائسة ، ولم يجد ما يقول. لامس جبهتها فوجدها رطبة وساخنة فقال:

-"أراك منزعجة ، هل تريدين الذهاب إلى البيت؟".

هزت رأسها بالموافقة. التفت حوله فوجد الممرضة "هو" تتسلى بفلق اللوز بالكسارة مع صديقاتها. اقترب منها وطلب منها أن تصطحب زوجته إلى المنزل. بحث عن قبعة "مانا" الفرو ومعطفها ثم ساعدها على ارتدائهما ، وهو يعدها بأنه سيلحق بها إلى منزلهما بعد قليل.

عاد إلى الحشد ليجد الاحتفال بذروته. صخبت الموسيقى الراقصة ، وأُبعدت الطاولات وأخذ الشباب من الممرضات والأطباء والضباط بالرقص. سُمح بالرقص مؤخرا بعد أن كان ممنوعا طوال العشرين سنة الماضية. انهمك الشباب باللف والدوران دون أى شعور بالملل أو التعب ، بينما اصطف المسنون من الضباط والأطباء على الجوانب يراقبون وتيسامرون تزحلقت إحدى الراقصات ببذور الكمثرى فوقعت بطولها مما أثار نوبة من الضحك.

أقبلت "هايان" وزوجها نحو "لين" لتهنئته. لم يعودا شبابا. لبس "هونجان" لباسه المدنى فبدا كضابط كبير برتبة عالية بنظارته الطبية ، بينما تدوّر وجه "هايان" وأصبح كالقمر من شدة السمنة. كانت ترتدى رداء أصفر. نادت على ابنها قائلة:

-"تعالى يا تاو تاو وسلم على عمك كونج".

رد الولد ذو الثمانية أعوام متذمرا:

-"كلا كلا لا أريد".

وهرب بعيدا وهو يحمل على كتفه بندقية خشبية واختفى بين زملائه. أضحك تصرفه والديه و"لين". علّقت "هايان":

-"إياكم أن تخلفوا أولادا. تربية البنات أسهل بكثير. وعلى فكرة أين العروس؟".

-"ذهبت إلى المنزل، فهى تعانى من نزلة برد".

ربت "هونجان" على كتف "لين" قائلا:

-"سعدت جدا بحضور زفافكما. من الآن فصاعداً لاتتردد فى طلب أى خدمه منى".

قال هذا وهو ممسك بكأسه الفارغة. نظر "لين" إلى وجهه المفرطح وحاول أن يفهم ما وراء كلامه. دهش "لين" للتبدل الكبير الذى طرأ على "هونجان"، فقد أصبح الآن رجلا تبدو عليه السعادة والصحة، مخلفًا وراءه كل آثار بيئته الريفية السابقة. كان وجهه مصقولا إلا من ندبتين صغيرتين على جبهته، ذكرت "لين" أن هذا الوجه كان فى ما مضى وجهًا لرجل ميكانيكى بسيط.. قالت "هايان":

-"لا تتردد يا لين. اطلب ما تريد. فشركته تملك اثنتى عشرة شاحنة".

أجبر "لين" نفسه على الرد:

-"شكرا".

لم يكن باستطاعته نسيان الماضى، فهما ليسا بأصدقاء. قال "هونجان":

-"إذا ما احتجت إلى نقل الفحم أو الحطب للمنزل ما عليك سوى الاتصال".

-"شكرا".

ففى الصيف الماضى نُقل "هونجان" من عمله ليصبح نائبا لرئيس شركة "لمبرياد" فى "موجى". كما ترقت "هايان"، بعد أن أمضت سنة ونصف تحت التمرين فى مدينة "تشانج شون" لتأخذ شهادة قابلة مولدة. وهكذا انتقلا للعيش فى وسط المدينة "بموجى"

ليهيئا لابنهما الفرصة للانتساب لمدرسة أفضل. تصالحت "هايان" و"مانا" منذ فترة ولكنها لم تعد بالنسبة لمانا صديقة تأتمنها على أسراها. ولذا تأمل "لين" أن يتركه الزوجان لحاله. ولكن "هونجان" قال "للين" هامسا:

-"هل لديك أية أخبار عن جينج يونج يا لين؟".

ارتبك لين وهز رأسه مغتاظا وسأل نفسه:

-"لم يذكرني في يوم زواجي بهذا الرجل؟ شكرا للسماء أن مانا ليست هنا".

أكمل "هونجان" حديثه:

-"لم يكن قصدي إزعاجك. ولكني سمعت أنه أصبح غنيا. غنيا جدا. كما تعلم فالكلب الحقير كان دائما محظوظا".

صمت "لين" واصطبغ وجهه. لاحظت "هايان" وجه العريس المتوهج. قرصت زوجها من رقبته ونهرته غاضبة:

-"لمَ بحق الجحيم تأتي على ذكر هذا السفاح أيها الملعون؟".

ثم أخذت بأذنه وشدت عليها.

-"أوتش! اتركي أذني".

أمرته قائلة:

-"اعتذر للين. اعتذر له في الحال".

-"حسنا حسنا. أنا آسف يا لين".

قال "لين" وهو يبتسم برقة:

-"أخلي سبيله يا هايان. لم يكن قصده الأذى".

أطلقت "هايان" أذن زوجها وقالت بحنق:

-"إنه أحمق وقاتل للبهجة ، كما لو أنه لم يكتف بما سبب من قطيعة بينى وبين مانا. ألا يشعر بمدى الأذى الذى أصاب مانا؟".

ثم التفتت نحو زوجها وأكملت:

-"أنت رجل خبيث مؤذٍ. لمَ تحاول إشاعة البؤس فى هذا الفرح ؟

أدرك الزوج الخطأ الجسيم الذى وقع فيه وقال:

-"آسف جدا يا لين. لم أكن أقصد شراً. كل ما هنالك أننى قرأت موضوعا فى مجلة رجال متميزون عن جينج يونج منذ شهر مضى. كل ما أردت التلميح إليه أنه ليس من العدل أن يرتقى ابن العاهرة بهذا الشكل".

رد "لين":

-"أدرك ما تعنيه".

لم يكن قد قرأ هذه المجلة ، ولم يكن لديه أية فكرة عن مدى غنى "جينج يونج". قالت "هايان" إلى زوجها:

-"علينا العودة إلى منزلنا".

-"نعم".

والتفت "هونجان" من جديد نحو العريس وأردف:

-"لا تنس يسعدنى مساعدتك فى أية حمولة ثقيلة".

-"سأتذكر هذا".

تساءل "لين": تُرى هل أكثر الزوجان من الشرب؟. لوح له "هونجان" مودعا ، ثم تعلق بذراع زوجته. واختفى الزوجان فى الزحام. خلع معظم الراقصين ستراتهم. وبدت

القاعة بالنسبة "للين" أشبه بغرفة على ظهر مركب ملىء بالضباب تتأرجح بركابها ، مما أصابه بالدوار. جلس إلى جانب الضباط المسنين يتلقى التهانى ويجيب على الأسئلة. غادر معظم الأطفال الحفل بعد أن ملئوا جيوبهم بالحلوى والسكاكر والفاكهة والبالونات. خف الضجيج فى القاعة وامتلأت الطاولات بالأطباق والصوانى الفارغة ، والسترات والقبعات والقفازات. شعر "لين" بالإرهاق وسأل نفسه عمًّا تقوم به زوجته بمفردها بالمنزل.

لم يشعر يوما بالملل كما أحس به فى يوم زواجه هذا.



الفصل الخامس

أثار شغف "مانا" ورغبتها المتأججة ، التى لا تهمد ، أعصاب "لين". اتضح لها أنه ليس بالعاشق المتمرس. كثيرا ما اشتكى من التعب والارهاق ، يتمنع ، وتخمد رغبته دون أن يلبى حاجتها ، ويسكن عواطفها المتلهفة.

ففى كل ليلة ، وبعد الاستماع إلى الموسيقى ، كانا ينتقلان إلى غرفة النوم لممارسة الحب لمدة لا تزيد على نصف الساعة. لا يجرؤان على السهر طويلا خوفا أن يتأخرا عن الالتحاق بتمارين الصباح ساعة الفجر. كما كان عليهما فى الأيام المثلجة أن ينهضا باكرا للانضمام لبقية الرفاق والعمل على إزاحة الثلوج المتراكمة أمام أبواب المنازل. شعرت "مانا" بخيبة الأمل ولكن هذا لم يفقدها أعصابها قط. ففى مساء يوم من أيام السبت حاولت إغراء "لين". كانت فى مزاج طيب فبادرته ممازحة:

-"يتملكنى العجب يا لين. قل لى كيف حملت شويو منك بعد لقاء دام ثلاث دقائق فقط؟".

كانت تنام على صدره وقد أغمضت عينيها الحالمتين. أجابها:

-"كنت فى عنفوان شبابى حينذاك".

قهقهت ضاحكة:

-"هذا يعنى أنك كنت أكثر فحولة".

-"لم تكن مثلك".

-"من أى ناحية".

-"لم أشعر معها قط بأننى رجل عاجز عجوز".

-"ما هذا الكلام الفارغ. أنت ما زلت عريسى الشاب الممتلئ بالرغبة".

قالت هذا وبدأت تقبله من فمه وتحاول إثارة غرائزه بهز رجلها فوق بطنه. قال لها:

-"يلزمنى بعض الوقت".

-"على مهلك. خذ راحتك".

تمددت بالقرب منه وأخذت تداعبه بيدها إلى أن تمكنت من استثارته بعد فترة طويلة. وفى هذه الليلة مارسا الحب لمدة ساعة كاملة ، فهما غير مجبرين على النهوض باكرا فى اليوم التالى.

قبل زواجه ، خاف "لين" أن تؤثر حادثة الاغتصاب التى مرّ عليها عشر سنوات ، فتنفر "مانا" من العلاقة الجنسية. كان يذكر نفسه بأن عليه أن يكون فى غاية اللطف معها. ولكن وضح له بعد الزواج أن هذه الحادثة لم تترك أى آثار سلبية عليها ، بل على العكس ، ظلت رغبتها متأججة بشكل مستمر ومُلِح. أخذت تصر على ممارسة الحب كل ليلة قبل النوم حتى ولو كان هذا بعد تناول الطعام مباشرة. لم يكن من السهل إرضاءها وإشباع غريزتها ، وحين وجد نفسه عاجزا ومرهقا قرر الاستعانة بالأعشاب البحرية والمقويات. كان يعبئ محاليلها فى زجاجات الخمر. ولكنه بعد فترة ، بعد أن شعر بالمزيد من الإرهاق ، قرر الامتناع عن شربها لأنها تستهلك طاقته. وانصب أمله أن تهدأ "مانا" ويخف شبقها الذى ازداد مع الأيام قوة. سأل نفسه: هل هذا حال كل العرسان؟.

لم تخجل "مانا" من التعبير عن لذتها المتنامية. كانت حين تصل إلى الذروة تصرخ بملئ صوتها:

-"اتركنى أموت..فلنمت سويا".

يصل بها الحال فى بعض الأحيان إلى التشنج وعض حلماته وكتفيه. شعر فى أول الأمر بالخوف من رد فعلها بالبكاء والتأوه ظانا أنه لربما قد تسبب لها بأذى. ولكنها

أكدت له مرارا أنها على العكس ، فى قمة السعادة والنشوة ، لدرجة أنها تتمنى لو تمضى عمرها كله معه فى السرير ، وبأنها تشعر بالأسف والحزن أنهما لم يتزوجا منذ عشرين سنة مضت. فكر "لين" فى معنى كلماتها . شعر بالحيرة. هل تراها تلمح بأنه كان سيمتعها أكثر لو كان أصغر بعشرين سنة؟ كانت فى كل مرة وبعد الانتهاء من ممارسة الحب ، تهمد ، وتبدو مرهقة ، يخبو تألقها وتبدر أكبر سنا . مع أن تورد وجنتيها يجعلها تبدو أكثر جاذبية. ظهر الترهل واضحا حول بطنها وساعديها وثدييها . كما بدت الغضون واضحة على رقبتها . ذوى شبابها ولكن رغبتها ظلت متأججة. تعجب "لين" من هذه الظاهرة ، فهو من ناحيته لم يعد يقوى على مجاراتها . بدأ يشعر بالعجز والشيخوخة. ولذا أخذ يرجوها أن تترفق بجسدها ولا ترهقه بهذا الشكل. ولكن لم يبد عليها أنها تستمع أو تهتم.

بعد مضى شهرين على زواجه شعر "لين" بخدر فى مؤخرة ظهره وألم متزايد فى بطن قدمه اليمنى. كان يعلم أن الإكثار من ممارسة الجنس أضر بكليته. ولكنه لم يحاول التمنع. شعر بأن من واجبه تلبية رغباتها كما تشاء ، فهو لن ينسى أنها انتظرته كل هذه السنين الطويلة. عالج نفسه ، فحقن قدمه اليمنى بكمية كبيرة من فيتامين ب حول المنطقة التى كانت تؤلمه ليساعد العصب على الارتخاء. وفعلا خفّ الألم بعض الشىء.

لاحظ زملاؤه نحوله ، نقص وزنه حوالى خمسة عشر بوندا ، وهذا ما أعطاهم فرصة للمزاح والسخرية. فما أن خلا المكتب من النساء حتى بادره "شايدنج مو" رئيس قسم الدعاية قائلا:

-"ارحم نفسك يا لين. لم يمر على زواجك أكثر من ثلاثة أشهر. انظر إلى ما آل إليه حالك. لقد استنفذتك وامتصت حيويتك".

تنهد "لين" ولم يدر بماذا يجيب ، واستمر فى كتابة الجملة التى كان يكتبها والتى تقول: "نرحب بالضيف الكبير".

كان يكتب بالريشة على قطعة كبير من الورق. كانوا جميعا منهمكين بتحضير لوحات اعلانية للترحيب بزيارة قائد كبير إلى المستشفى. أختير "لين" للكتابة؛ فهو من القلائل الذى يتقنون الكتابة بالريشة. وكزه "شايدنج مو" فى كوعه واستمر فى مزاحه الثقيل:

-"رويدك ، هل تشعر بالتعب والإرهاق؟ تمهل ، فأنت فى أولى خطوات مسيرة الألف ميل".

قال هذا وهو يطلق ضحكة مجلجلة ظل صداها يرن فى أرجاء القاعة لبضعة ثوان. نهره "لين":

-"كفاك مزاحا".

ولكنهم أصروا على مواصلة شغبهم. تدخل ضابط شاب وقال:

-"لو واظبت على هذا المنوال لن يبقى منك فى الصيف القادم سوى هيكلك العظمى. ترفق بنفسك وهدىء اللعب".

وانبرى رجل آخر يقول وهو يغمز بعينه:

-"هل تعلم أن شبق النساء كالدودة التى تمتص لب العظم؟".

غمس أحد الموظفين سنة ريشته فى المحبرة وأخذ ينشد بصوت عال أبيات من الشعر القديم:

-"من أجلها أصبحت شاحبا واهن الجسم ، تزداد ثيابى اتساعا ، ومع هذا لا أشعر بالندم".

انطلقوا جميعا بالضحك واستمروا فى الحديث عن النساء فانبرى أحدهم:

-"صدق المثل الذى يقول: فى الثلاثين تكون المرأة كالذئبة وفى الأربعين كالنمرة. يبدو أن عروستنا المسنة تجمع بين الذئبة والنمرة. ولذا لن يتغلب عليها فى المعركة إلا شبل فى مقتبل العمر".

كان على "لين" أن يعترف منذ البداية بأنه ليس كفؤا لها. كان عليه أن يملى عليها شروطه قبل الزواج. ضجت القاعة بالقهقهة من جديد ، وعمّ المرح ، مما جعلهم لا يشعرون بمرور الوقت وثقل ما يقومون به من عمل.

كتم "لين" غضبه إلا أنه فى دخيلة نفسه كان يغلى من الغيظ. وقال لنفسه:

-"لا بد أن أفعل شيئا لأمنع الناس من لَوْك سيرتنا بهذا الكلام الفاضح. وحين عاد إلى منزله نظر طويلا إلى صورته فى مرآة الخزانة الطويلة ، كانت قطعة الأثاث الوحيدة التى اشتراها لزفافه. وبالفعل بدت عيناه الغائرتان أكثر اتساعا وازداد شحوب وجهه ، وملأ الشعر الأبيض فوديه وقمة رأسه. جعلته هذه الخصل الرمادية يشعر باقتراب أجله. فهو يذكر أنه حين دخل إلى كلية الطب منذ خمس وعشرين سنة ، كانت هناك عدة شعرات بيضاء فى رأسه ، ولكنها عادت واسودت. ولكنه الآن لا أمل له أن يتبدل شعره الرمادى إلى أسود .

فى قيلولة أحد الأيام أغرته "مانا" فقفز معها إلى السرير ومارسا الحب. شعر بعدها بالإرهاق فاستسلم للنوم. لم توقظه "مانا" قبل ذهابها إلى عملها فظل نائما إلى أن حضرت إحدى الممرضات لتجده نائما. طلبت منه مفتاح غرفة التخزين قائلة:

-"أرجو المعذرة ولكن جاء أحد المهندسين الفنيين من مدينة هارين ليصلح آلة التنفس. ولم يكن أمامى سوى الإسراع إليك لأخذ المفتاح وفتح الغرفة".

شعر "لين" بالإحراج الشديد ، فهذه هى المرة الأولى التى يتغيب فيها عن العمل. مضى مع المرأة دون أن يغسل وجهه ، نحو المبنى الطبى. وظل طوال الطريق يختلق الأعذار ويبدى أسفه متعللا بأنه يشعر بوعكة صحية. وفى نفس الليلة قرر أن يتحدث مع زوجته فقال لها:

-"حبيبتى لن يمكننا الاستمرار بهذا الشكل. تقدم بنا العمر ولم نعد شبابا ، وهذا ما لفت أنظار الناس إلينا ، فرحماك بنا".

-"أعلم أن ما نقوم به غير صحى ، ولكن لا حيلة لى. هناك شىء ما يأكلنى من الداخل ، لدىّ شعور بأننى لن أعيش طويلا ، ولذا فأنا أريد أن أغتنم كل ساعة من عمرى".

-"علينا أن نوفر بعض الطاقة من أجل عملنا".

-"فعلا ، فأنا لا أشعر أننى بصحة جيدة. ذهبت اليوم لقياس ضغط الدم وكان عاليا".

-"كم؟".

-"مئة واثنان وخمسون على تسعة وسبعين".

-"هذا فظيع. علينا أن نقلل من ممارسة الجنس".

تنهدت وردت عليه:

-"هذا صحيح".

وهكذا اتفقا على المحافظة على صحتيهما. ولأول مرة منذ زواجهما استسلما للنوم بسلام.

الفصل السادس

نظر "لين" إلى صندوق صغير من خشب الصندل كان تحت ثياب "مانا" فى الخزانة ، وقال لنفسه يبدو وكأنه صندوق لحفظ رماد الموتى. كان هناك قفل نحاسى يحكم غلقه. لم يستطع منع نفسه من التساؤل عما فى داخله. على الأرجح نقود ، أو دفتر حسابها فى البنك أو شهادة التقدير التى تلقتها على حسن أدائها. بشكل ما ابتدأ هذا الصندوق يستحوذ على تفكيره فى الفترة الماضية. وفى إحدى الليالى سألها مازحا:

-"ما هذا الذى تخفينه عنى فى هذا الصندوق؟".

-"ما هذا الذى تتحدث عنه؟".

-"الصندوق الخشبى فى الخزانة".

-"أوه.. ليس فيه أى شىء يذكر. لِمَ أنت بمثل هذا الفضول؟".

قالت هذا وهى مبتسمة.

-"هل باستطاعتى رؤية ما بداخله؟".

-"كلا. إلا إذا أبرمت لى وعدا".

-"ما هو؟".

-"بأنك لن تسخر منى".

-"بالطبع لا. لن أسخر".

-"أريد وعدا بأنك من الآن فصاعدا ستخبرنى بكل أسرارك".

-"طبعا لن أكتم عنك أى أمر".

-"حسنا إذن سأسمح لك برؤية ما فى الصندوق".

نهضت من السرير ومضت نحو الخزانة وأخرجت الصندوق. نزعت القفل وفتحت الغطاء. كان هناك لفة من الإسفنج على وجه الصندوق. أخذتها وفتحتها وعرضت محتوياتها التى لم تكن سوى حوالى اثنى عشر زرارا برسم الزعيم "ماو" مشبكة على قطعة الإسفنج. كان معظمهما مصنعا من الألمونيوم والبعض الآخر من البورسلين. طُبع على السطح المحدب اللامع للبعض منهم صورة الرئيس وهو بلباسه العسكرى يلوح بقبعته العسكرية إلى الحشود فى الاستعراض العسكرى الذى يقام فى ساحة "تيانانمن". وعلى البعض الآخر صورة له وهو يمسك سيجارا بيد بينما أمسك باليد الأخرى قبعة من القش وهو يتحدث مع الفلاحين فى بلدته فى مقاطعة "هونان".

-"أواه. لم يدر بخيالى أنك تحبين الزعيم ماو بهذا الشكل".

قال "لين" ذلك مبتسما وأردف:

-"من أين لك بهذه المجموعة؟".

-"جمعتها فى مناسبات عدة".

-"هل هذا بسبب حبك الكبير للزعيم؟".

-"لا أعلم ، ولكنها فى غاية الجمال. ألا ترى ذلك؟".

شعر بالدهشة من إعجابها هذا .وفكر: بالفعل فى يوم ما سيصبح لهذه الترهات الرخيصة قيمة كبرى كذكرى وعبرة عن زمن مجنون ، تذكرنا بأرواح الآلاف من القتلى الذين فقدوا حياتهم من أجل الثورة. سيصبحون كتذكار ورمز عن تاريخ مضى.

ولكن بالنسبة لها لا يبدو أنها تحتفظ بها كذكرى وقيمة تاريخية ، وفجأة خطر له أنها احتفظت بهذه الأزرار كنوع من الحلى المميز. لابد وأنها جمعتها لكونها الشىء الجميل الوحيد الذى يمكنها امتلاكه بديلا عن الحلى.

وفيما هو سارح مع أفكاره راوده شعور بائس ، ولم يدر كيف سيعبر عما يجول فى خاطره دون أن يجرح مشاعرها ، ولذا آثر الالتزام بالصمت. نظر ثانية إلى الصندوق الذى كان يحتوى أيضا على حزمة من الرسائل مربوطة بشريط مطاطى أزرق. وسألها:

-"ما هذه؟".

-"إنها رسائل قديمة من ماى دونج".

كانت تجيبه منكسة الأرض تتجنب النظر إليه.

-"هل بإمكانى رؤيتها؟".

-"ما بالك اليوم تكثر من الاستفسارات؟".

-"إن كان هذا يزعجك فلن أنظر إليها".

-"ليس فيها أى سر. إن أردت الاطلاع عليها يمكنك قرأتها ولكن لا تفعل هذا أمامى".

-"حسنا ، لن أفعل".

-"إذن فأنا لن أعيد قفل الصندوق".

-"بالطبع سأقرأها لأرى كم أنت رومانسية".

فى قرارة نفسه كان متلهفا على قراءة الرسائل بالرغم أنه أخفى رغبته هذه جيدا. لم ير فى حياته أى رسائل غرامية سوى فى الروايات التى قرأها. فلم يكتب أيًّا منها. والآن بإمكانه أن يقرأ رسالة حب حقيقية.

فى بعد ظهر اليوم التالى ، عاد إلى البيت مبكرا وأخرج الصندوق ليقرأ الرسائل. انبعثت منها رائحة العفن واصفر لونها واستحال عليه قراءة العديد من الكلمات لتعرضها للرطوبة. لم يكن خط "ماى دونج" منمقا بأى شكل. كان أكثرها كشريط تسجيلى لنشاطه اليومى: ماذا تناول على الغداء أو العشاء ، ما الفيلم الذى شاهده فى الليلة الماضية ، وأى صديق التقى به. ولكن من النادر أن يأتى على ذكر جملة أو مقطع يشع بمشاعر جياشة لشاب غارق فى الحب. كتب مرة: "كلما فكرت بك يا مانا أشعر بخفقان وتسرع فى القلب. أعانى فى هذا الصباح من صداع رهيب لا أستطيع معه القيام بأى عمل". وفى رسالة أخرى أباح: "أشعر وأن قلبى سينفجر إذا ما استمر وضعنا على هذه الحال". وأنهى إحدى رسائله بهذه الأمنية: "أرجو أن تسهل السماء ارتباطنا".

عند قراءته لمثل هذه التعبيرات الساذجة شعر "لين" برغبة فى الضحك. من الواضح أن "ماى جونج" شاب بسيط جياش العواطف ولكنه لا يحسن التعبير عنها بشكل مترابط ومُعبِر. وبعد أن أنهى قراءة الرسائل كلها شعر بالحيرة تجتاح تفكيره. ما أزعجه أن حالة اليأس والقنوط التى عبر عنها "ماى دونج" لم يعانِ "لين" منها أبدا. لم يشعر يوما بمثل هذه العواطف الجياشة نحو أية امرأة. لم يكتب يوما أية جملة مفعمة بهذا التعبير من الحب. حين كان يراسل "مانا" كان يبدأ رسالته "بالرفيقة مانا" أو هازرا "سيدتى العجوز". وبرر هذا ، بسبب كثرة مطالعته للكتب والروايات ، أو لأنه رجل عقلانى ، أغزر علما ووعيا من الآخر. فهو رجل مثقف؛ وكثرة المعلومات تبَرِّد الدماء وتخمد المشاعر.

فى تلك الأمسية قال "لين" "لمانا" وهما على مائدة الطعام:

-"قرأت الرسائل. كان ماى دونج مغرما بك فعلا".

-"كلا ، لا أظن ذلك".

-"تخلى عنى ، وأنا أكرهه".

-"و لكنه أحبك فعلا. ألست معى؟".

-"كان هذا مجرد نزوة. معظم الرجال يكذبون. حسنا ، إلا أنت".

قالت هذا وهى تبتسم ابتسامة عريضة واستمرت فى إزاحة دهن الخنزير عن الطبق بالماء الساخن.

أدهشته كلماتها. إن كان رأيها فى "ماى دونج" صحيحا لمَ احتفظت برسائله فى صندوق حليِّها؟ هل تكرهه فعلا؟ كل هذا أثار حيرته.

اكتشفت "مانا" حملها فى شهر فبراير. بعد هذا أصرت أن يأتى "لين" بسرير آخر ليناما متباعدين معللة الأمر بقولها:

-"لا أريد أى ضرر للطفل".

وهذا يعنى أن عليهما الامتناع عن ممارسة الجنس حتى مولد الطفل. ووافق "لين" على الفور وقام باستلاف سرير نقال من قسم الغلاقات العامة نصبه فى زاوية الغرفة.

فوجئ " لين " بحمل " مانا ". كان يظن أنها وقد بلغت الرابعة والأربعين من العمر لا يمكن لها أن تحمل وأصبح قلقا عليها ، فهو يعلم بضعف قلبها. بدأت تعانى بعد الزواج بين الحين والآخر من أزمات قلبية مع ارتفاع فى ضغط الدم. كان خوفه ، أنها فى سنها هذا لن تتمكن من الولادة بسهولة. حاول أن يقنعها بأن تجهض الجنين ولكنها أصرت على الاحتفاظ بالطفل قائلة بأن الإنجاب كان السبب الأول لرغبتها فى الزواج منه ، وأنها لن ترضى لنفسها أن تكون امرأة عاقراً ، وأضافت بأنها تتمنى أن يكون طفلها ولدا ذكرًا لأنها تريد "لينا" صغيرا.

-"أنا لا أؤمن بهذه الفكرة الإقطاعية. ما الفرق بين طفل وطفلة؟".

-"حياة الأنثى ستكون أشد قسوة".

-"لست مهتما بأن أرزق بولد جديد".

-"ولكنى أريد طفلا لى".

وحين استنفد كل مبرراته لإقناعها أغلق الموضوع وتركها لتحقق أمنيتها. كان رد فعلها للحمل قاسيا. تنتابها نوبات قيء مستمر ولم تعد تهتم بشكلها أبدا ، كما أنها شحب وجهها وظهرت هالات سوداء وانتفاخات تحت عينيها ، كما لو أنها كانت دائمة البكاء. بالإضافة إلى أنها كانت تأكل بشراهة ، تشرب حساء لحم الخنزير مع الطحالب قائلة أن الجنين بحاجة لغذاء صحي وهي تربت إلى بطنها التي لم تكن قد برزت بعد. إلى جانب أن شهيتها للطعام أصبحت متذبذة ومتغيرة ، تنتابها يوما نزوة فتلتهم البطاطا الحلوة ولا تأكل غيرها. وفي اليوم التالي تأكل حلوى اللوز. ثم تتذكر سمك قنديل البحر وترجو "لين" أن يشترى لها البعض منه ولكنه لم يجد أيًا منه ، "فموجى" بلد بعيد عن البحر وحتى المجفف من أسماك قنديل البحر أصبح نادرا بعد احتفالات الربيع. ركب "لين" عجلته في المساء ومضى باحثا عن قنديل البحر في كل مكان ولم يجد له أثرا. سأل بعض الممرضات اللاتي تسكن عائلاتهن في المدينة ولم يوافق. وأخيرا ومن خلال مكتب الضباط ، استطاع "لين" شراء بوندين من قناديل البحر المجففة والمملحة من مخزن متخصص لبيع منتجات البحر.

غسلت "مانا" الملح والرمال من فوق قناديل البحر وقطعتها قطعا رفيعة وأضافت إليها الخل والثوم المفروم وزيت السمسم. ظلت ولمدة ثلاثة أيام ومع كل وجبة طعام تمضغ قطعة السمك ومتلذذة بنكهتها. طلبت منه أن يتذوق قطعة منها ولكنه رفض متعللا بأنه لايستسيغ رائحتها النفاذة.

ثم في اليوم الرابع امتنعت عن وضع طبق قنديل البحر على مائدة الطعام ، بالرغم من أن القصعة الممتلئة ببقيته ظلت في خزانة المطبخ.

في احدى الأمسيات جاءت الخالة "تشينج" أم الطبيب "نينج" وقالت "لمانا":

-"أنت امرأة محظوظة يمكنك أكل كل ما تتوقين إليه. على أيامنا وحين كنت حاملا بابني كان كل ما أكلته عشر بيضات. هذا كل ما أكلته لمدة شهرين ، وحين حملت بابني الثاني توحمت على دجاجة محمرة وأردت الحصول عليها بأية طريقة. كنت

أمضى كل صباح إلى السوق لأنظر إلى الدجاج المحمر. لم أكن أمتلك نقودا تكفى ، حتى لشراء جنح دجاجة ، كنت أذهب إلى السوق لأستنشق الرائحة فقط".

حديث المرأة ذكر "مانا" بما هو مفيد لها. وبدأت تشتهى الدجاج المحمر. وهكذا أصبح على "لين" أن يشترى لها كل يومين دجاجة من مدجنة قريبة ، بالرغم من أنه كان قلقا من ارتفاع ثمنها. فراتبه الشهرى لا يسمح له بأن يشترى زيادة عن خمس عشرة قطعة دجاج محمرة. ولحسن حظه فشهيتها للدجاج استمرت لأقل من أسبوعين. ثم تذكرت وتاقت نفسها للرمان ، وهو شيء من الاستحالة الحصول عليه فى الشتاء. كم كانت ترغب بهذه الحبات الوردية ، الحامضة والرطبة اللذيذة الطعم. حتى وأنها فى إحدى الليالى حلمت بشجرة صلبة محملة بالرمان. حدثت "لين" عن حلمها ، قائلة أنها تفسر حلمها هذا بأنها سترزق ولدا شديد البنية. بشكل أو بآخر استحالة الحصول على ثمرات الرمان ، أصلح من نزوات شهيتها الغريبة ، وعادت لتأكل بشكل طبيعى من جديد.

لم يعد "لين" يقرأ إلا نادرا بعد الزواج. ظلت مكتبته فى مدخل البيت تحمل كتبه وارتصت معها زجاجات الأدوية وعلب النظارات ومصباح كهربائى ولعب أطفال. تكدس الغبار على المجلدات ولكن لم يهتم أى منهما بإزاحته عن الأرفف.

على العكس منه ، كثرت قراءات "مانا" خاصة عن الحمل والولادة والأمومة. بحثت فى كل الكتب التى وجدتها فى المكتبة الصغيرة فى المستشفى عن هذه المواضيع. وأبدت دهشتها لاكتشافها مدى جهلها بالأمومة وتربية الأطفال. على العشاء ، كل مساء ، كانت تلخص لزوجها ما قرأته من مواضيع مهمة فى ذلك اليوم. معظم الأحيان كان يستمع إليها شاردا. تدخل الكلمات من أذن لتخرج من الأخرى. وهذا ما أثار حفيظتها وأزعجها لعدم اهتمامه الواضح.

بالإضافة للقراءة ، كانت مشغولة فى تحضير الثياب والحفاظات للطفل. طلبت من بعض الممرضات قمصانهن وثياب نومهن القطنية القديمة البالية التى لسن بحاجة

إليها ، لأن عليها أن تصنع الحفاظات من القماش القطنى المستعمل حتى لا تخدش جلد الطفل الحساس. وفى المساء كثيرا ما كانت تذهب لمنازل جاراتها لتتعلم منهن صناعة اللحف والمخدات وحياكة الجوارب الصوفية لطفلها. اشترت ثلاثة بوندات من صوف الحياكة كلفها ما يزيد عن سبعين ينًا وهذا ما جعل "لين" يتساءل محتارا: ما السر وراء هذا الكرم الزائد لدرجة الإسراف؟ فالطفل بالقطع لن يحتاج لهذا الكم من الثياب الصوفية. ولكنه لم يشتك لأنها كانت تنفق من مالها الخاص.

كانت "هويا" تأتى للزيارة فى أيام الأحد ولا تطيل الزيارة فى وجود "مانا". أخبرت أباها بأن "شويو" سُرت جدا حين سمعت بحمل "مانا" لأن هذا يعنى بأن عائلتهم ستصبح أكثر عددا ، دهش "لين" من رد فعل "شويو" لاعتقادها بأن زواجهما ما زال ساريًا ، وسأل نفسه: هل هذا الإحساس بسبب النفقة التى يدفعها لها كل شهر؟ إنها فعلا امرأة بسيطة التفكير. مع الوقت صارت "هويا" تحضر معها عجة بالبصل الأخضر ، صنعتها "شويو" خصيصا له ، تخرجها من حقيبتها وتقدمها له فقط فى غياب "مانا". أصبحت الآن أكثر ابتساما وكلاما ، وأخبرت والدها بأنها تحب عملها وبأن زملاءها فى العمل يعاملونها معاملة حسنة. بدا عليها المرح والارتياح. يفتر ثغرها عن ابتسامة جذابة وتشع عيناها ببريق أخاذ. اشترى لها "لين" بالخفاء عن "مانا" عجلة صنع مقاطعة "فونكس" وساعة يد صناعة "شنغهاى". لم تعلق "مانا" بعد أن رأتهما ، بالرغم من أنها تعلم أنه ليس بالمتوفر "لهويا" شرائهما ، وإن ظلت لا تبدى ترحيبا قلبيا بالفتاة.

فى بعض الأحيان كان "لين" يعيد النظر فى العشرين سنة الماضية قبل زواجه من "مانا". بدت حياته الماضية هادئة بعيدة كل البعد ، كما لو أنها حياة رجل آخر. لم يستطع أن يمنع نفسه من تخيل كيف كان سيكون حال هذا البيت لو أنه تزوج "مانا" منذ خمس عشرة سنة خلت. فى تلك الآونة كانت امرأة جذابة خُيل إليه حينذاك أنه سيسعد بالزواج منها. ولكنها الآن اختلفت تماما وأصبحت امرأة مملة. لاحظ كيف أن العذاب والقهر تركا بصماتهما عليها وغيراها كُليًا.

بعض الأحيان كان يعتريه إحساس غريب يبلبل تفكيره ويبعث بألم حاد فى صدغيه ، يجعله يتساءل محتارا إن كان مهتما أو سعيدا بحياته الزوجية الحالية التى أصبحت مليئة بالضجر والفوضى والإرهاق.

الفصل السابع

أخبر "لين" "مانا" بأنه سيعود إلى مكتبه بعد العشاء. طُلب منه أن يعطى دروسا فى أساس الكيمياء لمجموعة من المتقدمات إلى امتحانات القبول لمعهد التمريض. كان عليه أن يعطى حصتين مسائتين كل أسبوع. سألته "مانا":

-"لماذا أنت ذاهب الليلة إلى مكتبك؟".

أجابها بعدم اهتمام:

-"لأننى أنجز العمل هناك بشكل أفضل".

-"أى عمل؟".

-"سبق وأخبرتك بأن على أن أستعيد معلوماتى فى الكيمياء لأتمكن من تدريس الطلبة".

-"ألا يمكنك أن تفعل ذلك بالبيت؟".

-"أحتاج للتركيز".

بدا على صوته الحزم والتصميم. لم تعقب على كلامه وإن لم تسعد به. تصميمه على البقاء بعيدا عن البيت أزعجها. لاحظت مؤخرا نظرات قاسية فى عينيه حين يحدثها ، تنبئ عن نفاد صبره. وفكرت أن هذا الغضب أو الانزعاج لربما كانا اما بسبب رفضها للقيام بإجهاض طفلها أو بسبب امتناعها عن ممارسة الجنس. ولذا أخذت رأى بعض النساء المسنات فى إمكانية العودة للنوم معه بسرير واحد. ولكنهن جميعا حذرنها ، من أجل صحة الجنين ، الابتعاد عنه طوال فترة الحمل. صدقت على

قولهن لأنه يتوافق مع ما نصحت به معظم الكتب التى قرأتها. وبعد أن مضى "لين" إلى مكتبه أصبحت أكثر قلقا وأخذت الشكوك تتلاعب بها ، ولم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل إن كان ما زال على حبه لها. فليس من المعقول أن امتناعها عن ممارسة الجنس معه ، جعله متباعداً وعازفا عنها. فها هى تتذكر بوضوح أنه وافق على الفور على نصب سرير لنفسه حين طلبت هذا ، حتى أنه بدا مُرحبا بالفكرة. وتساءلت:

-"هل هذا يعنى أنه ملّ وتعب منى؟ إنه احتمال وارد. هل تراه يبحث عن امرأة أخرى؟ هذا مستحيل. فقد ظللنا سويا متماسكين طوال الأيام السيئة كلها ، لا يمكن أن يغير قلبه هكذا فجأة. ومع هذا ، لِمَ أره مصمما على الابتعاد عنى؟ هل يريد أن يمضى وقتا طيبا مع شخص آخر؟ هل هو منجذب لامرأة أخرى؟ هل يذهب فعلا إلى مكتبه؟ هل هو هناك بمفرده؟".

كلما ازدادت تفكيرا شعرت بتعاسة أكبر. انتابها شعور قاس بالوحدة ، وبدا لها البيت القاتم كما لو كان غرفة للمرضى المعزولين ، شعرت كما لو أن العالم بأثره يتآمر ليسخر منها. قالت لنفسها:

-"كلا. حتى لو كنت بثقل الحجر على قلبه لن أسمح له بأن يرمى بى بهذه السهولة. فهو كل ما أملك فى هذه الحياة وبدونه لن يكون لهذا البيت من وجود. كما أن عليه أن يركز ويوجه كل حبه واهتمامه لزوجته الحامل. علىّ أن أحاول بشتى الطرق الحفاظ عليه".

فى الليلة التالية ، وبعد أن انتهى "لين" من العشاء وغادر البيت ممسكا بمظلته ، لبست معطفها الواقى من المطر وتتبعت خطاه. حاولت البقاء خلفه لمسافة مئة ياردة بينما كان يدب متثاقلا وخيوط المطر البيضاء تتراقص وتلف حوله وتنحدر بميل تبعًا للفحات الهواء حوله. كان هناك بعض الطيور تزقزق مرتعشة تحت إفريز سقف إحدى المنازل. وابتدأت أغصان الأشجار على حافتى الطريق تكتسى بأوراق خضراء يانعة مع أن الجو ما زال باردا جدا. ذكرّتها خطواته التمثاقلة إنه لم يعد فى مقتبل الشباب. وتساءلت:

-"كيف لي أن أظن أنه في طريقه لمقابلة امرأة أخرى؟ إنه فعلا لتفكير عقيم ، عليّ أن أعترف بأنني امرأة غيورة تحب التملك. لمَ لا أترك له بعض الحرية؟".

دخل المبنى الطبى ولكنها لم تتبعه وبدلا من ذلك توقفت عند ملعب كرة السلة فى الساحة الأمامية للمستشفى. لن تدخل للمستشفى حتى يصل إلى مكتبه فى الدور الثانى.

انتظرت. وانتظرت لما يزيد عن العشر دقائق ومع هذا لم يشعل الأنوار فى مكتبه. ظلت النافذة مظلمة.

-"أين هو؟ فى الحمام؟ مستحيل. دخل الحمام فى البيت مباشرة قبل خروجه. لابد وأنه يعمل شيئا بالسر فى مكان ما".

وبينما كانت تمسح مياه الأمطار عن وجهها بيدها ، سمعت أصوات ضحك ترن من الناحية الشرقية للمبنى. دخلت لتتحرى الأمر. وهناك ، فى قاعة المحاضرات فى الدور الأول ، كان "لين" يتحدث إلى سبعة أو ثمانية من الطالبات. كان يبدو عليهن الانبهار بحديثه. كانت النوافذ مفتوحة ولكنها لم تتمكن من سماع حديثه. بين الحين والحين كانت "مانا" تلتقط جملة مثل "تركيب مختلف" أو "صيغة جزئية". كان بإمكانها القول أنه يبدو سعيدا. فوجهه معبر وايماءته مليئة بالحياة.كان يبدو أكثر طولا وهو يقف منتصبا. استدار وبدأ فى كتابة شيءٍ على السبورة. كانت عيون التلميذات كلها مركزة عليه. وفجأة انقسم رأس الطباشير وفلت من بين أصابعه ، فقال:"ووب" وهذا ما جعل إحدى الفتيات تطلق ضحكة بلهاء.

اشتعل الغضب والغيرة فى صدر "مانا". وفكرت: هناك فتاتان من الملتحقات جميلات الشكل. ولا شك أنهما تثيران إعجاب معظم الرجال ، خصوصا تلك الملقبة "الوزة البيضاء كالثلج". كانت هذه الشابة قد انتقلت إلى المستشفى منذ حوالى خمسة أشهر بعد أن تحدث الناس عن علاقة بينها وبين أحد الرؤساء الكبار فى المقر الحربى الرئيسى فى مدينة "شنغهاى". كانت تعمل كممثلة فى فريق الأوبرا هناك ورحلت إلى

"موجى" البعيدة بعد أن بعثت زوجة الضابط الكبير بعشرات الرسائل إلى رؤسائه تهدد بأنها ستنشر الفضيحة إذا ما لم يعاقبوا "العاهرة المتلهفة".

لاحظت "مانا" ، وهى على بعد عشرين ياردة أن رقبة الفتاة تبدو فعلا طويلة وبيضاء كالأوز وقد تغطى جزء منها بشعر أسود فاحم. يرتعش أنفها ولا تكف عن الابتسام لأستاذها. يبدو أن هناك عيبا ما فى طبيعة هذه المرأة التى لا تستطيع أن تعيش دون إغراء الرجال ، وتحوم حولهم كروح فاسدة. كما سمعت "مانا" ، أنه فى إحدى الليالى ، أخذت "الوزة البيضاء كالثلج" تتجول أثناء ساعات العمل فى ثوب أبيض وقد تعرت من ثيابها الداخلية. كانت تستثير المرضى الرجال بجمالها ورائحتها فيلحقون بها أينما ذهبت.

كلما أمعنت "مانا" النظر بهذه المرأة الساحرة ازداد شعورها بالقهر والتعاسة ، مما زاد من غضبها. تلك العيون اللوزية اللتان لم تفارقا "لين" منذ أن بدأت "مانا" فى مراقبتها. لكم تكرهها ، بل هى تكرههن جميعا!! حتى "لين" لم يكن طيبا وأمينا. بدا واضحا استمتاعه بمغازلة النساء الشابات. إنه فعلا عديم الحياء ، فهو فى عمر آبائهن. لا عجب أنه بدا متلهفا للخروج من المنزل على الفور بعد انتهائه من تناول طعامه. فالبيت الآن لم يعد بالنسبة إليه أكثر من فندق ، يأتى إليه ليأكل وينام. اللعنة عليه! اللعنة عليهم جميعا!

ازداد سقوط الأمطار وتضخمت حباته وأصدر سقوطها على سقف المبنى والأرض الأسمنتية أصواتا واضحة. نهضت فتاتان واقتربتا من النوافذ لقفلها. استدارت "مانا" عائدة أدراجها إلى المنزل. كانت ساقاها ضعيفتين تترنحان تحتها كمياه الأمطار.

التقت "مانا" فى اليوم التالى وهى فى طريقها إلى عملها بالقوميسار "سو". كانا على علاقة طيبة ولذا سألته "مانا" لم لا تعين المستشفى شخصا آخر غير "لين" لتعليم الكيمياء للمتقدمات الجديدات؟ فهى كزوجة حامل بحاجة لزوجها إلى جانبها فى البيت فى المساء. شعر "ران سو" لبرهة بالحيرة من السؤال وأجاب بأنه لم يسمع قط عن مثل هذا الفصل ، كما أنه لم يعين "لين" فى هذا العمل. وعلّق:

-"أن هناك عدداً كبيرا من الخريجين الجدد ولا حاجة لنا لإزعاج لين بهذه الدروس".

وطمأنها قائلا:

-"لا تقلقى ، سأبحث فى الأمر".

أكد لها هذا وهما يفترقان. تقوس ساقيه ، أصبح أكثر وضوحا من السنة الماضية.

دهشت "مانا" لرد القوميسار "سو" وسألت نفسها:

-"إذن من الذى عَين لين للتدريس لهذا الفصل؟".

كانت "مانا" قد اتخذت قرارا بعد عودتها من المبنى الطبى فى الليلة الماضية أن لا تواجه "لين" بما رأت. فهى تعلم مدى العذاب الذى كابده لبناء هذا البيت. ليس صحيحا أنه غير جادٍ فى زواجه ، وإلا لما انتظرها طويلا وصارع للحصول على الطلاق. لا يمكن اتهامه بأنه رجل عابث. ولكنها الآن ، وبعد أن قابلت "ران سو" واكتشفت أن هذا الفصل غير مصرح به رسميا ، غيرت رأيها. وهكذا صممَت على استجواب "لين" وكشف الأمر كله. بعد الغداء قالت له:

-"أريد أن أسألك شيئا يا لين؟".

-"ماذا؟".

-"من الذى طلب منك تدريس حصة الكيمياء؟".

-"هن اللاتى طلبن منى".

-"من هن؟".

-"هؤلاء المتقدمات للامتحانات حضرن إلى مكتبى وطلبن منى مساعدتهن فى مراجعة عامة".

-"إذن لم يطلب أحد منك القيام بهذا العمل".

-"كلا ، هن رجونني وأنا وافقت على المساعدة".

-"اذن لمَ لم تستشرني قبل موافقتك؟".

-"هل كان عليّ أن أفعل هذا؟".

قال هذا ساخطا وظهرت من وراء نظارتيه تلك النظرة القاسية التي أصبحت تخيف "مانا".

-"هذا هو بيتنا. وليس بيت للضيافة حيث يمكنك الخروج حينما تريد".

بدا عليه الانزعاج واضحا وقال:

-"أعلم هذا".

انفجرت في البكاء وتوجهت بكلامها نحو سقف الغرفة:

-"أيتها السماوات. كما لو أنه لا يعلم حقا ماذا فعل. كيف لي أن أفهمه؟".

-"ما الخطأ؟ طلبن مني المساعدة. لمَ لا أقدم لهن مساعدتي؟".

-"فلأخبرك أين الخطأ. تركت وراءك زوجة حامل تعاني من الوحدة والخوف في البيت. بينما مضيت لتقضي أوقاتا تتسلى فيها مع غيرها من النساء".

-"هذا حكم غير عادل. لم أقضِ وقتا مع أي امرأة".

-"اذن من هؤلاء المتقدمات؟ من هي الوزة البيضاء؟ هل هي رجل؟".

-"كفي ، فأنت تتصرفين بدون عقل".

-"هذا أمر لا دخل له بالعقل بل بالعواطف والأحاسيس. فلأكن صريحة معك. لا يمكن لرجل صالح أن يفعل مثل هذا الشيء بزوجته".

-"حسنا. لم يدر هذا بذهني أبدا".

كان يبدو صادقا وبريئا.

دخلت إلى غرفة نومها ودست رأسها فى مخدتها المصنعة من ريش البط. جلس "لين" لبعض الوقت يدخن ثم قام بتنظيف مائدة الطعام وغسل الأطباق. وبدون أن ينطق بكلمة مضى إلى عمله.

أمضت "مانا" بعد ظهر عصيب. لم تكن واثقة إن كان "لين" سيعود لتناول العشاء فى المنزل أم لا. وبدأت فى لوم نفسها على تسرعها وعدم ترويها. ما كان عليها الانفجار هكذا. لا بد وأنه يراها الآن امرأة غيورة شرسة. يبدو أن عواطفه تغيرت نحوها ، يبدو أنه ملَّ منها ومن شكواها وهذا ما جعله يجرى وراء امرأة غيرها. كلا ، لا يمكن أن يكون بهذه القسوة. إذن ما الذى يريده؟

ازدادت جزعا وهى تسترسل مع أفكارها. ولكن كانت فى أعماق نفسها تشعر بأنها محقة. صنعت له أكلة (ونتون) على العشاء آملة أن يعود فى موعده المحدد. غلت الماء فى وعاء وجلست فى انتظاره. عاد "لين" فى السادسة تماما. شعرت بالراحة لرؤيته وبدون تأخير أسقطت قطع لحم (الوانتون) فى الماء الغالى. وبدأت فى تجهيز الطعام بينما قام "لين" بترتيب المائدة قائلا لها ، كان عليها أن لا ترهق نفسها وتنتظر عودته ليساعدها فى تقطيع ولف (الوانتون).

-"لم أكن أعلم متى ستعود".

قالت هذا مع أنها كانت قلقة وخائفة ألا يعود إلى العشاء أبدا. وحين انتهى الطعام صبّته فى الطبق المخصص له ثم أضافت إليه ملعقة من الزيت الحراق وقلّبت الصلصة لمدة دقيقة عكس اتجاه الساعة فى كبشة من الصلب (الاستلنستيل).

حمل "لين" الطعام إلى المائدة فى غرفة المعيشة. وبينما كان يتناول طعامه قال لها إنه قابل "ران سو" بعد الظهر. فى الواقع كان بينهما حديث مطول عن النساء.

-"من التى تكلمتم عنها؟".

-"النساء بصورة عامة".

-"إذن فهو يظن أننى خرجت عن طورى".

"ما الذى قاله بالتفصيل؟".

-"قال لا يمكن للمرأة أن تعيش طويلا ، إن لم تشعر بالحب والاهتمام".

أطلقت "مانا" ضحكة خافتة وقد سرها رأى القوميسار. لا غرو أن يتعامل بكل هذا الصبر مع زوجته المجنونة. وعلقت "مانا":

-"هذا ليس صحيحا. إذن كيف تعمر الراهبات؟".

توقف "لين" عن الطعام لبرهة ثم قال:

-"حسنا ، لديهن الرهبان لرعايتهن".

وضحك كلاهما. ثم قال:

-"لو كنت أعلم يا مانا أنك ستستائين بهذا الشكل من دروس الكيمياء لما وافقت أبدا عليها".

وحين لاحظت النظرة الصادقة على وجهه ابتسمت وطلبت منه أن لا يتخذ مثل هذه القرارات بمفرده مستقبلا. عليهما أن يتفقا ويتناقشا فى أمورهما كلها مسبقا. وأكدت: عليهما كزوجين أن يعملا كفريق".

ومنذ ذلك اليوم صار يمضى المساء فى تحضير الدروس فى البيت ، لأن الحصص كانت قد قُررت ومن المستحيل التراجع عنها. كان عليه أن يعطى محاضرتين فى الأسبوع. وبالرغم أن "مانا" كانت سعيدة بالصلح إلا أنها كانت تشعر بالضجر والضيق فى غيابه. كانت تشعر بالإحباط حين يغيب عن المنزل ولا تستطيع أن تمنع نفسها من التفكير بطريقة تجعله لا يتوقف عن الاهتمام بها.

الفصل الثامن

ازداد بطن "مانا" تكورا فى الصيف وأصبحت معه أكثر تذمرا وفظاظة. كانت تشتكى من غياب "لين" ليلتين فى الأسبوع مع أنها تعلم أن الدروس ستتوقف قريبا. ولكنها لم تستطع التحكم فى حدة طباعها ، تعامله كما لو أن له علاقة بأخرى. كان وجهها المتجهم يذكره كثيرا بما قالته له فى الليلة الثانية بعد الزواج:

-"أتمنى لو تصاب بالشلل وترقد فى السرير بدون حراك لتبقى بقربى طوال الوقت".

تساءل:

-"هل هذا هو الحب؟ على الأرجح أنها تحبنى أكثر من اللازم. فى مساء يوم من أيام أغسطس عادت "مانا" من البقالة ومعها أربع قطع من "التوفو" الساخن فى صحن بلاستيكى أصفر. وضعتها على رف المطبخ وقالت "للين":

-"لست على ما يرام".

ومضت مسرعة نحو غرفة النوم وتبعها إلى هناك. نظرت إلى سروالها الواسع ورأت بقعة مبللة وقالت:

-"أوه..لا بد وأننى فقدت المياه حول الجنين".

-"حقا".

شعرت بالجزع؛ لم تكن قد أتمت الشهر التاسع من الحمل.

-"فلنسرع ، علينا الذهاب إلى المبنى الطبى".

-"لا تتوترى ، لربما أن هذا إنذار كاذب. فما زال الوقت مبكرا على الولادة؟".

-"فلنذهب. أنا متأكدة أننى فى حالة وضع".

-"هل بإمكانك السير؟".

-"نعم".

وهكذا مضيا سويا بطريقهما إلى المستشفى .كان يسندها بيده. مالت الشمس إلى المغيب ولكن ظلت السخونة تشع من الطريق الإسفلتى ، الذى كان سائحا وطريا تحت أقدامهما. كانت هناك صفوف من الثياب المنشورة باللونين الأخضر والأبيض تتأرجح بين أشجار الحور الصلبة وراء مبنى النوم. وكانت أوراق الأشجار المتساقطة تتجمع على طرفى الطريق ، جافة وقد أصفر لونها ، بعد أن توقف المطر لمدة شهر كامل. كما انتشرت فضلات الديدان فى أماكن متفرقة من الشارع. كان "لين" يركز نظره على الأرض ليمنع "مانا" من الانزلاق والسقوط. بينما انساق فى تفكيره نحو المعاناة التى سيسببها له الطفل المبتسر إذا ما ولد قبل أوانه.

وحين وصلا إلى المبنى أسرعت "مانا" نحو غرفة صغيرة فى الدور الثالث وضع فى وسطها طاولة للمعاينة كُسيت بمرتبة من الجلد اللامع لتستعمل كسرير للولادة. وضعت الممرضة "يو" مفرشا معقما على الطاولة وساعدت "مانا" على الاستلقاء عليها. وما هى إلا بضع دقائق حتى بدأت تشنجات الطلق وتؤهات "مانا".

خرجت الممرضة "يو" راكضة تنادى على "هايان" ، المولدة الوحيدة فى المستشفى ، والتى غادرت المستشفى إلى منزلها. فى المدخل اصطدمت بصديقتها "الوزة البيضاء" والتى وافقت فى الحال على مساعدتها.

كانت "مانا" فى الغرفة العلوية تتأوه وتئن من جديد وهى ممسكة بذراع "لين" الذى كان يهدئها قائلا:

-"ستكونين بخير يا عزيزتى".

قالت بصوت لاهث وهى تفرك ظهرها بيدها الأخرى:

-"إنها كليتى".

-"لا يمكن أن يكون الألم فى كليتيك يا مانا".

قال هذا كما لو كان يفحص أحد مرضاه المنتظمين وأكمل:

-"لا بد أن الألم متشعب فى حوضك".

-"ساعدنى وكفاك كلاما".

ارتبك لبرهة ثم ضغط بكفه على مؤخرة ظهرها وأخذ يدلكه ، بينما "مانا" تنوح وتتعرق. لم يكن أمامه ما يفعله ليخفف عنها آلامها. حاول أن يتذكر ما قرأه فى كتب الطب أثناء الدراسة منذ عشرين سنة مضت ولكنه لم يوفق.

لم تصل "هايان" إلا بعد ساعة. كانت تبدو هادئة واعتذرت عن تأخرها بسبب زحمة السير. وبعد أن فحصت "مانا" بسرعة طلبت من الممرضة "يو" أن تقيس ضغط المريضة وأن تحلق لها وتعدها للولادة. ثم أمرت "الوزة البيضاء":

-"شغلى المروحة وحضرى ماء مغليا".

ثم استدارت نحو "لين" وقالت:

-"لم يفتح حوضها لأكثر من ثلاث سنتيمترات. أمامها فترة طويلة".

ثم وضعت كفها على جبهة المريضة وعلّقت:

-"كل شىء سيكون على ما يرام يا مانا".

جذب "لين" "هايان" إلى جانب الغرفة وهمس لها:

-"هل تظنين أنها ستنجو من الولادة؟ فكما تعلمين فهى تعانى من مشكلة فى القلب".

- "إلى الآن لا أرى بأسا. لا تقلق ، إنها فى حالة ولادة؛ فات أوان التفكير بأى شىء آخر. وليس أمامنا سوى الانتظار. ولكنى سأنظر لمخاوفك بعين الاعتبار".

اقتربت ثانية من طاولة الولادة وقالت:

-"سأعطيك يا مانا نقطا لتقوية الطلق. هل توافقين؟".

-"أجل افعلى ، أريد أن أنتهى من هذا بسرعة".

سأل "لين" "هايان":

-"هل بإمكانى فعل أى شىء؟".

-"هل تناولت عشاءك؟".

-"كلا".

-"اذهب كُل وعُد بأقصى سرعة. لربما استغرقنا الليل بطوله وسنكون بحاجة لوجودك معنا بعدئذ".

-"و ماذا بالنسبة لك؟ هل تناولت العشاء؟".

-"نعم".

كان مندهشا من هدوء "هايان" ، ترك الغرفة بينما كانت زوجته تتأوه وتفرك ظهرها بكلتا يديها.

فى قاعة الطعام اشترى "لين" لنفسه حساء السبانخ وفطيرتين محشوتين بالملفوف ولحم الخنزير. وبدأ يأكل بدون شهية؛ لم يستطع أن يحدد مشاعره: هل هو سعيد بهذا الطفل الذى فاجأه بولادة مبكرة؟ تجشأ وامتلأ فمه بالعصارة الحمضية مما جعله راغبا فى القىء. أسند رأسه بقبضة يده التى وضعها على طاولة الطعام. لحسن حظه كان المطعم خاليا وارتصت الكراسى المقلوبة فوق الطاولات لتنظيف الأرضيات. خارج المطعم سمع صوت خوار الخنازير من الحظائر وراء المطبخ ,بينما أخذ المسؤول عنها

يدق جانب الجرن بمجرفة حديدية. جاءت إلى المطعم مجموعة من الممرضات والملتحقات الجديدات وتجمعن حول طاولتين فى الجهة الأخرى من القاعة وبدأن فى تقشير البازلاء.

أطلق "لين" زفرة. منعته الحرقة فى بطنه من إنهاء طعامه. كان الجو عابقا برائحة كريهة انبعثت من براميل للزبالة بجانب أحواض الغسيل. نهض ومش ليرمى الحساء فى البرميل. وبعد أن غسل قصعته ومعلقته تمضمض مرتين ثم وضع أدوات طعامه فى كيسه المصنوع من القماش المقلم وعلقه على الحائط مع بقية الأكياس. على الجانب الآخر من القاعة كانت الشابات تدندن بأغنية أحد الأفلام. شد انتباهه جرو صغير ينبح معترضا على ربطه إلى رجل إحدى الطاولات.

حين عاد "لين" إلى المبنى الطبى ، كانت تأوهات زوجته قد انقلبت إلى صراخ وعويل. قالت له "هايان" يبدو أن الولادة لن تتأخر على عكس ما توقعت. حتى أن "مانا" كانت تعانى حينذاك من طلقة حادة. بلل "لين" فوطة وأخذ يمسح العرق والدموع عن وجه "مانا". كانت عيناها تومضان ووجنتاها محتقنتين. صرخت بأعلى صوتها:

-"لم يعد باستطاعتى احتمال هذا".

رد عليها "لين":

-"سينتهى كل هذا بعد قليل. ستتأكد هايان من..."

قاطعته مزمجرة:

-"أوه..لمَ فعلت بى هذا؟".

فوجئ باتهامها ولكنه تمكن من القول:

-"ألا تريدين الطفل يا مانا؟".

-"اللعنة عليك! أنت لا تعلم كم هذا مؤلم. أوه..فأنتم جميعا اعتديتم علىّ".

-"أرجوك لا تصرخى. سيسمعك جميع من فى المبنى".

-"لا تملى على ما أفعل ، عليك اللعنة!".

-"رويدك ، لم أكن أعنى..."

-"أكرهك ، أكرهكم جميعا".

-"أرجوك هدئى من روعك".

-"أيها البخيل! فات الأوان".

-"أرجوك ساعدينى".

-"أيها البخيل! أيها البخيل!".

كان محتارا ومنزعجا يتساءل لماذا بدأت فجأة تنعته بالبخيل. بدت غاضبة من "هايان" أيضا. هذا ما جعلها تقول أنهم اعتدوا عليها جميعا. ثم تذكَّر لربما وصفته بالبخيل لأنه لم يرشِ بنشنج " بالألفى ين " منذ عشرين سنة مضت ليسهل له طلاقه من "شويو" . لا بد وأنها فكرت لو بأنهما لو أتما زواجهما منذ عشر سنوات مضت لما عانت من الولادة كما تقاسى منها الآن.

صعقه هذا الإدراك. لم يخطر على باله أنها أخفت كل هذا الغيظ طوال هذه السنين. مضى نحو باب الغرفة قائلا "للوزة البيضاء" أنه فى طريقه للحمام. انفرد بنفسه فى الحمام وأمعن فكره بكلمات "مانا". يبدو أنها كانت تأمل أن يشترى موافقة "بنشنج" فى ذلك الحين باعطائه ألفى ين ، مع أنها لم تفصح عن أمنيتها هذه أبدا. كما أنه يتذكر بوضوح أنها رفضت آنذاك مشاركته فى تدبير المبلغ. لمَ اذن تنعته بالبخل؟ شعر بانقباض فى صدره. لو انه كان يملك هذا المبلغ لما تأخر عن شراء الطلاق مبكرا. قال لها أنه لا يملك سوى ستمئة ين فى البنك ولم ترض حينذاك أن تكشف له عن رصيدها فى البنك. لا بد وأنها كانت تظن بأنه رجل غنى وبإمكانه توفير الألفى ين. أبعد كل هذه السنين الطويلة ما زالت غير واثقة من صدقه؟. لمَ لم تطلعه على

أسرارها؟ لمَ لم تسمح له قط بالاطلاع على دفتر توفيرها فى البنك؟ كان هناك صوت فى رأسه يجيب:

-"لأن المال أغلى وأكثر أهمية من الحب. لو أنك صرفت المال فى حينه لكنت استمتعت بحياة زوجية سعيدة".

أعاد "لين" التفكير وقال:

-"كلا ، فالأمر ليس بهذه البساطة".

واستمر الصوت فى داخله:

-"بل إنه بسيط وواضح مثل بقة على رأس رجل أصلع. لو افترضنا أنك تملك عشرة آلاف ين وأعطيت خمسهم لصهرك معتبرا أنك خسرتها ، إذا لكنت تزوجت مانا منذ عشر سنوات مضت. ولما عانت فى ولادتها للطفل ولما حملت هذه الضغينة نحوك. ألست معى أن المال أكثر قوة من الحب؟".

ورد "لين" على نفسه:

-"هذا ليس صحيحا ، فنحن لسنا بحاجة للمال للشعور بالحب ، كما أننا لسنا بحاجة إليه من أجل الزواج.

-"هل هذا صحيح؟ إذن لمَ صرفت ألف ومئة ين على حفلة زواجك؟ لم لا تتشاركان بحساب البنك وتفصلان حسابكما عن بعض؟".

فشل "لين" فى إيجاد جوابٍ شافٍ. فأخرس هذا الصوت.

ظل لفترة طويلة فى الحمام؛ فهو المكان الوحيد الهادئ الذى لا يراقبه فيه أحد. كان يجلس شارد الذهن على حافة النافذة ساندًا ظهره على الحائط يراقب الساحة الخلفية للمستشفى. خَيم الظلام فى الخارج ومن وراء سلك النافذة كان الذباب يلف ويئذ. وصل إلى سمعه من أحد بيوت نوم الموظفين صوت آلة الهارمونيكا تزعق بلحن نشيد وطنى متقطع. وقف سائق إحدى الشاحنات يحرق خرقا مبللة بالنفط فى زاوية

المرآب ، والى جانبه دلو مليءٌ بالماء. بعيدا على التل ومضت مجموعة من قناديل الغاز في منحلة مؤقتة ، ما زال المسؤلون عنها يعملون في جمع العسل بالرغم من هبوط الليل.

شعر "لين" بوخزة في عينه اليمنى كما لو أن شيئا غريبا دخل فيها. نزع نظارته وفرك عينه بطرف إصبعه ، ليزداد الوخز مع ازدياد الفرك. نهض ومضى نحو الحوض ووضع رأسه مائلا تحت الصنبور ليغسل عينه. أحس بالانتعاش بعد أن تدفقت المياه على وجنتيه وجبهته.

ما أن أغلق الحنفية حتى اخترق صراخ "مانا" أذنيه مما ذكّره بأنه قد أمضى في الحمام على الأقل نصف ساعة ، وآن الأوان لعودته ثانية. مسح وجهه بمنديله ، وضع نظارته على عينه ومضى مسرعًا. وفيما هو يدخل غرفة الولادة سمع صراخ امرأته متقطعا:

-"آه..أكرهك...سنين طويلة. أنا أموت. أنا كبيرة في السن ولن أتمكن من إنجاب هذا الطفل".

قال لها:

-"أنا آسف جدا يا مانا. لا تتذكري الماضي وتنبشي الأحزان ، ركزي على ما أنت عليه".

أشارت "هايان" إلى الممرضتين "يو" و"الوزة البيضاء" لتقتربا منها للمساعدة وقالت "لمانا":

-"والآن يا مانا ادفعي بكل طاقتك. خذي نفسا عميقا. هل أنت مستعدة؟".

هزت "مانا" رأسها ، وعَدَت "هايان":

-"واحد ، اثنان ، والآن ادفعي".

كان وجه "مانا" بنفسجيًا وباهتًا ولاحظ "لين" أن وجه "هايان" كان ممتلأً وأحمر قانيا كالسلطعون المسلوق. في الثانية التي أطلقت فيها "مانا" زفيرا صرخت فيه من جديد:

-"عليك اللعنة! فات الأوان! أنت يا عديم القلب!".

رجاها قائلا:

-"أرجوكِ لا تكونى بهذا الحقد".

-"آه...أنا أموت. اللعنة على أمك".

لفتت "الوزة البيضاء" رأسها كاتمة ضحكتها. ولكنها توقفت حينما حدجتها "مانا" بنظراتها. شعر "لين" بالحياء والإحراج. ترك كتف زوجته عازمًا على الخروج ثانية من الغرفة. تعلقت "هايان" بذراعه وهمست:

-"يجب أن تبقى يا لين".

-"لا..لا أستطيع".

-"هذا شيء طبيعى ، فالمرأة فى حالة الوضع تفقد رشدها وتتلفظ بكلمات نابية. هزأتنى أنا أيضا ، يجب ألا نأخذ كلامها محمل الجد. فهى متألمة وخائفة وبحاجة إليك لتكون بقربها".

هز رأسه وانطلق خارجا دون أية كلمة. صرخت "مانا" من ورائه:

-"فلتذهب إلى الجحيم ، أيها الجبان ، لا أريد أن أرى وجهك قبل أن أموت".

عادت "هايان" إلى سرير الولادة وقالت:

-"هيا ، فلندفع ثانية".

صرخت "مانا":

-"كلا ، لم يعد بإمكانى. اجرى لى عملية قيصرية يا هايان ، أرجوك".

كان الضوء خافتا فى الممر ، مع وجود بعض الموظفين فى وردية الليل فى المبنى. مشى "لين" جيئة وذهابًا فى البهو المخصص للمدخنين. كان فكره

مخدراً ، فارغا ومشوشًا. كان يتردد صدى صوت زوجته ولعناتها فى جميع أرجاء الدور. قام بعض الموظفين بالتصنت من وراء غرفة الولادة ليستمعوا للعناتها. جلس "لين" على مقعد طويل واضعا وجهه بين يديه ، تنتابه مشاعر الشفقة على ما آل إليه حاله. وفكر:

-"لم أرغب بهذا الطفل أبدا. لمَ علىَّ أن أخوض كل هذه المعاناة؟".

وتذكر أنه منذ نصف سنة مضت كانت تتمدد على نفس هذا المقعد فلاحة جاءت من الريف تنتظر الإسعاف. كان زوجها قد حشر بطاريتين واسعتين فى مهبلها لأنه اضطر لدفع ألف ين غرامة لإنجابه طفل ثانى. كما أنها فشلت للمرة الثانية أن تنجب له ذكراً. لم يفلح الطبيب الحافى القدمين فى القرية من انتزاع البطاريتين ولذا نُقلت المرأة إلى المستشفى العسكرى. تذكر "لين" بأنها كانت شابة نحيفة تغطى نصف وجهها بكمامة زرقاء اللون ونبض شريان فى جبهتها من شدة الألم ، كأنه دودة أرض. كانت تنظر إليه بعينين خاليتين من أى تعبير حين جاء ليفحصها. تعجب من استسلامها ، لم يبد عليها الغضب أو المقاومة ، كما لاحظ القمل والصئبان المنتشرين كحبوب السمسم على شعرها الأشعث.

والآن لا يسعه إلا التساؤل:

-"لماذا يرضى البشر بالعيش كالحيوانات؛ يأكلون ويتناسلون ويتكاثرون ، تحكمهم غريزة البقاء؟ ما الفكرة من إنجاب عشرة أطفال إن كانت حياتك صعبة بائسة ولا معنى لها؟ على الأرجح يخاف الناس أن تنقطع جذورهم من على وجه الأرض ، ولذا فهم يسعون للخلفة ليبقى من بعدهم ما يُذَّكر الناس بهم. أإلى هذا الحد تصل الأنانية بالأهل؟ لمَ يصر الجميع على إنجاب الذكور؟ ألا يمكن للفتاة أن تكون خليفة لوالديها بالمثل؟ إنها فعلا لتقاليد غبية ومجنونة ، تلك التى تفرض أن يخلف الزوجان ذكرا ليحمل اسم العائلة. وتذكر المثل الذى يقول:

"ربى ولداً ينفعك فى شيخوختك".

وفكر ، بالرغم من الاعتقاد أن الابن أفضل من الابنة إلا أن حياته ليست بالضرورة أسهل. عليه أن يتحمل مسؤلية الإنفاق على أهله فى شيخوختهما . منتهى الأنانية ، فكثيراً ما استغل الأهل أولادهم الذكور. إذن فهم يفضلون الذكور على الاناث ليس حبا بهم. بل لأنهم أقدر على الكسب والمساعدة فى الكِبَر.

قطع سيل أفكاره صرخة مدوية انطلقت من غرفة الولادة. فُتح الباب ونادت عليه الممرضة "يو" ليدخل. أطفأ عقب سيجارته ورماها فى سلة المهملات ونهض على قدميه يجرجر نفسه نحو الباب. ما أن دخل حتى فاجأته "هايان" مهنئة:

-"مبروك ، جاءك ولدان".

-"ماذا تعنين؟ توأم؟".

-"نعم".

عرضت عليه الممرضات الطفلين الذين كانا متماثلين. يزن الواحد منهما ما يزيد عن خمس بوندات. كانا متينا البنية ، كبيرا الرأس ، سميكا المفاصل بأنفين أفطسَين وجلد أحمر ومترهل ، وعينان مغمضتان. كان وجهاهما متغضنين كالعجائز. فتح أحدهما فمه كما لو أنه يحاول أن يأكل شيئا ليأكد وجوده. وكان طرف أذن الثانى مثنى للداخل. كانا مختلفين تماما عما توقع "لين". نظر إليهما مشمئزا نافراً. قالت له "هايان":

-"أنظر اليهما. إنهما شبهك".

وأكدت "الوزة البيضاء" وهى تربت على ظهر الطفل الذى كانت تحمله بين يديها:

-"إنهما نسختان منك".

التفت ونظر نحو زوجته. كانت تبتسم له ابتسامة شاحبة وقد ترقرقت الدموع من عينيها. وهمست:

-"أنا آسفة. كنت خائفة جدا ، ظننت أننى سأموت وأنتهى. شعرت وكأن قلبى سينفجر".

وضع ظهر كفه على خدها وقال:

-"أحسنتِ عملا".

فى هذه الأثناء بدأت "هايان" فى خياطة القطع الذى أحدثته للمساعدة على الولادة. منظر القطع الدامى بعث القشعريرة فى جلد "لين" ، فأدار رأسه وقد شعر بالغثيان. بعد الولادة بساعة جاء ممرضان ووضعا "مانا" على نقالة. وضعا الغطاء عليها وحملاها إلى منزلها ، و"لين" فى أعقابهما يحمل الطفلين بين يديه ويرتجف من البرد. ومض نور القمر على تيجان أشجار الحور والصفصاف. وانطلقت الخنافس والجعران تلف وتدور بجنون فى كل مكان. مالت الأغصان والأوراق مثقلة بندى الصباح ، بينما بدا العشب على حافتى الطريق كثيفًا تحت أضواء الشارع النحاسية. على البعد ، ومن مصرف امتلئ بماء راكد ، سُمع صوت نقيق ضفدع مثل بوق مشروخ. انتاب "لين" شعور بالضعف والعجز. لم تتضح مشاعره بعد نحو الطفلين. هل سيوليهما عنايته؟ هل سيحبهما؟ هل سيفنى عمره من أجلهما؟ نظر إلى وجهيهما المغمورين بالأغطية ثم ما لبث أن انساق وراء خياله. تصور نفسه وهو يلاعبهما ويصحبهما إلى أماكن متعددة. شعر أن حياته معهما سيصبح لها معنى آخر وسينشط من جديد. لو أن أحدا حمله واعتنى به كما يحملهما الآن لاتخذت حياته منعطفا مختلفا. لربما ما كان ليفكر بإنشاء عائلة قط .

الفصل التاسع

سُمح "لمانا" بستة وخمسين يومًا إجازة أمومة. لم تتمكن من النهوض من سريرها في الأسبوع الأول ولذا كان على "لين" الإهتمام بالأعمال المنزلية والطبخ. لم يكن لبنها كافيا لرضاعة الطفلين بالرغم من مواظبة "لين" على تغذيتها بكميات كبيرة من حساء أقدام الخنازير المسلوقة ، لعلها ستزيد من إدرار لبنها . كان عليها إرضاع الطفلين كل ثلاث أو أربع ساعات. لم يكن بالإمكان الاستعانة بالحليب الطازج قبل مرور شهر على ولادتها ، وهكذا كان على "لين" أن يحضر لهما اللبن المجفف ، الذى كان ناقصا فى السوق. ولحسن الحظ ساعدته "هايان" على شراء ثمانية بوندات من اللبن المجفف من المدينة بالسوق السوداء.

فى الأسبوع التالى لولادة "مانا" استأجر "لين" خادمة من قرية مجاورة ، فتاة قصيرة القامة بوجه ملطخ بالكلفَ ، تلم شعرها بضفيرتين ,اسمها "جولى". كانت تطبخ وتساعد "مانا" فى رعاية الطفلين طوال أيام العمل الأسبوعى . تعود ليلا إلى قريتها ، وتأخذ إجازة يوم الأحد.

أخذت صحة "مانا" تضعف يوما بعد يوم. كثيرا ما كانت تشعر بانقباض فى القلب وبضيق فى التنفس كما لو أنها تعانى من حالة ربو ، كما كانت دقات قلبها غير منتظمة. أكد طبيب القلب أنها تعانى من علة فى قلبها. وهذا ما صدم "لين". حاول إخفاء هذه المعلومات عنها لمدة أسبوع ,ثم قرر أن يبلغها ، وحين أخبرها بالحقيقة دمعت عيناها ، ليس شفقة على نفسها ، بل رحمة بطفليهما. قالت له:

-"لست مهتمة بنفسى ، فموتى القريب سيحررنى من هذه الدنيا وعذابها".

أجابها:

-"ما هذا الكلام الفارغ؟ أريدك أن تعيشى".

رفعت رأسها نحوه ، وشعر بالقلق لنظرة اليأس التى بدت فى عينيها وقالت:

-"أريدك أن تعدنى بشىء يا لين؟".

-"ماذا تريدين؟".

-"أريدك أن تعدنى بأنك ستحب وتعتنى بطفلينا بعد موتى".

-"لا تفكرى بهذا الشكل".

-"أرجوك ، عدنى".

-"حسنا ، أعدك".

-"لن تتخلى عنهما أو تهملهما أبدا".

-"طبعا لن أفعل".

-"شكرا لك. هذا يجعلنى أكثر راحة".

وبدون وعى أخذت تمسد حلمتها التى كانت تؤلمها بيدها. أزعجته كلماتها ولكنه لم يدر كيف يجعلها لا تفكر بالموت. كل ما بإمكانه فعله تأمين راحتها حتى لا تُرهق أو تقلق. أخذ على عاتقه القيام بكافة الأعمال المنزلية واستقبال الضيوف التى لم تكن "مانا" راغبة فى استقبالهم.

بعد نقاش دام طويلا بين الأب والأم ، سُمى الطفلان أخيرا "نهر" و"بحيرة". لم يُعجب الأب بالاسمين لأنهما مألوفان ، ولكن كان فى اعتقاد الأم ، أن الميزة فى الأسماء المألوفة أنها تسهل أمورهما فى الحياة. إلى جانب أن الاسمين "نهر" و"بحيرة" يحتويان على عنصر الماء الذى يمثل الحيوية الطبيعية كما أنه عنصر مرن وصامد لا يقهر.

جاءت العديدات من زوجات الضباط لرؤية التوأمين المتطابقين ، وظلت الزائرات يرددن الأسئلة:

-" ، من هو نهر؟ هل هذا البحيرة؟".

بالفعل كان من الصعب التفرقة بينهما ، حتى الخادمة كان عليها أن تتذكر بأن أذن نهر مثنية بعض الشيء.

كانت الزائرات تقدمن البيض والسكر البنى والبلح المجفف والذرة البيضاء ، قائلات إن هذه المواد ستغذى "مانا". قالت لها معظمهن أن عليها أن تكثر من أكل البيض ، على الأقل ستمئة بيضة فى شهرين لتقوية عظامها. فقد كان من المتعارف عليه ، أنه إذا ما أُحسن العناية بصحة الأم المرضعة ستتخلص من معظم أمراضها. لذا نصحت السيدات "مانا" أن تعتنى بصحتها ولا تعرض نفسها للبرد حين تخرج وأن لا تبخل على نفسها ، عليها أن تشترى الطعام المغذى والمفيد. هذه الكلمات أحزنت "مانا" لأنها كانت تذكرها بعلة قلبها ، التى لم يكن يعرف بها إلا القلة من الناس. هنأت الزائرات الزوجين بالذكرين وقالت إحداهن:

-"اصطدتما عصفورين بطلقة واحدة".

وقالت أخرى:

-"إنه فعلا رجل سعيد!".

اعتبر "لين" فى عيون الجميع رجلا محظوظا بشكل لم يسبق له نظير ، لأنه منذ سنة ١٩٧٠ صُدر قانون يمنع المتزوجين من إنجاب أكثر من طفل واحد ، وها هو ذا يرزق بولدين دفعة واحدة إضافة لابنته الشابة .

انزعج زميله فى الغرفة "جين تيان" حين سمع بمولد التوأمين ، فزوجته لم تخلف له سوى طفلة ، واقترح على "لين" أن يحتفل بهذه المناسبة السعيدة فيقيم حفلة أو يوزع الحلوى والسجائر. ولكن "لين" كان مرهقا لدرجة لا يمكن له التفكير بهذا.

بالرغم من أن "مانا" أجبرت نفسها على أكل ستة أو سبعة بيضات يوميا إلا أن صحتها ازدادت تدهورا. لم تكن تقوى على الرضاعة والعناية بطفليها ولم تسند الخادمة "جولى" إلا قليلا لأن الطفلين ينامان معظم النهار ويصحوان طوال الليل وهما بين بكاء ورغبة باللعب. كان على "لين" أن يحملهما بالتناوب طوال الليل حتى لا يسببا إزعاجا للجيران فى نفس المبنى. فى أول الأمر كان حمله لهما يهدئهما قليلا ولكنهما سرعان ما أخذا يتطلبان مزيدا من الحركة ولم يعد يفلح حملهما وهو جالس. ولذا كان عليه أن يمشى بهما جيئة وذهابا ليمنعهما من الصراخ ، كما كان عليه أن يدندن لهما بشكل مستمر. وبالرغم من شعوره الطاغى بالإرهاق وثقل فى العينين ، إلا أنه ما كان ليجرؤ على التوقف. ومع الوقت وصل لدرجة من البؤس أنه أحس بأنه بدوره سيشاركهما البكاء ، ولكنه تحكم فى عواطفه. ثم تطور الموقف ولم يعد أىٌّ من الطفلين راضيا بالبقاء فى مهده ، ولو لدقيقة واحدة ، ما أن يضع الأب الطفل الذى جاهد لتهدئته فى سريره ليحمل الباكى حتى ينطلقا سويا وقد جمعا قواهما فى بكاء مستمر بأقصى صوت. ولذا شاركت "مانا" فى السير والهز ، وكانت النتيجة حرمان الوالدين من النوم معظم الليل. كان هذا أكثر من طاقتيهما ولكن لم يكن باليد حيلة.

بعد عدة أسابيع اقترحت "جولى" أن يأتوا بسرير هزاز ، لربما أن الهز سيهدىء الطفلين. وهكذا اشترى "لين" مهدا هزازا فى الحال. ربط نهايته بحبلين ، أوصل أحدهما بإفريز النافذة والآخر بباب الغرفة. كان للمهد مفعول السحر ولم يعد على الأهل السير طوال الليل فى الغرفة. بدلا من ذلك كان على "لين" أن يجلس على السرير ويهز المهد برجله ويتبادل الأب والطفلان المناغاة كما لو كانوا يتسامرون.

كبر الطفلان بسرعة وازداد طولهما انشان ووزنهما ستة بوندات فى شهرين. كان "النهر" أضخم من أخيه "البحيرة" بقليل.

فى صباح أحد الأيام جرَّت "جولى" عربة الأطفال إلى خارج المستشفى لتشاهد طابور شاحنات الشرطة تستعرض المجرمين فى الشوارع. كان هناك اثنان من تجار المخدرات حُكم عليهما بالموت ، كل منهما يحمل فوق رأسه قطعة خشب قاعدتها

مربوطة بظهره. كما كان هناك أيضا امرأة شابة تعمل مُدرسة فى حضانة. حبست ولدا مشاغبا فى القبو لتعلمه درسا ولكنها نسيت أن تطلق سبيله إلى أن مات الولد من الجوع. حُكم عليها بالسجن لمدة أربعة عشر عاما.

وحين عاد الطفلان إلى البيت كان وجهاهما أزرقين من البرد. أنَّبت "مانا" "جولى" ومنعتها من الخروج بهما ثانية حين يكون الطقس مثلجا. فى نفس اليوم بدأ الطفلان يعانيان من الإسهال الشديد. صحبهما والدهما إلى طبيبة الأطفال الشابة "مين" التى تخرجت مؤخرا من جامعة الطب العسكرية. شخصت الطبيبة الحالة "بالدسنتريا". ذُبل الطفلان فجأة مثل البالونات الفارغة من الهواء ومال رأساهما وفقدت عيونهما بريقها. كانا يئنان بصوت خافت وقد تقطعت أنفاسهما. خافت "جولى" وأعلنت وهى تبكى أنها لم تطعمهما أكلا ملوثا. لم يجدد "لين" و"مانا" لومها ، وانصب اهتمامهما لمعرفة سبب المرض. هل هى المياه التى لم تكن تغلى بما يكفى لإبادة البكتيريا؟

أوصت الطبيبة بحقنهما بمحلول "الجلوكوز" على الفور كى لا يصابا بالجفاف. وجدت الممرضات صعوبة بالغة فى إدخال الابرة فى أوردتهما الرفيعة .كررن المحاولة مرات عديدات دون جدوى. استمر الطفلان فى البكاء والصراخ طوال فترة المحاولة إلى أن بُحَّ صوتاهما. نفد صبر "لين" وهو يشاهد الممرضات تعبثن بذراعى الطفلين الشفافتين ولكنه كتم غيظه ومعاناته؛ فهو لا يجرؤ على إدخال الإبرة بنفسه ، كما لم يعد يتحمل مراقبتهن وهن يدخلن الإبر تحت جلد طفليه الرقيق. شعر بحرقة فى قلبه وبانقباض فى صدره. فها هى ذى المرة الأولى فى حياته يمر بمثل هذه التجربة المؤلمة ويذوق لوعة الأب على أولاده. أخذ يرتجف وبدأ أنفه يتشنج بحركة عصبية وتدفقت الدموع من عينيه. اكتشف مدى حبه لطفليه وتمنى أن يأخذ المحلول بدلا منهما.

كما وصفت الطبيبة "مين" مسحوقا ، يقال إنه من أكثر الأدوية مرارة ، كان من المفروض أن يشربه الأطفال ثلاث مرات فى اليوم. تحايل الوالدان وأخذا يضيفان بعض السكر لاخفاء طعم المرارة إلا أن الطفلين كان يبكيان بشدة كلما أجبرا على ابتلاعه. كان الوالدان والخادمة يعملان كفريق. يحمل أحدهما "النهر" ويضغط الثانى على

فتحتى أنف الطفل ويدفع الثالث ملعقة الدواء إلى فمه ، ثم يغسل المرارة باعطائه ماءً دافئًا ، وبعد الانتهاء من "النهر" يكرران العملية مع "البحيرة"ليشارك أخاه فى البكاء.

بعد مضى أسبوع ظلت أعراض "الدسنتريا" واضحة. كان الطفلان يتبرزان يوميا ما بين ست أو سبع مرات مما أصاب الوالدان بالخوف واليأس. فى صباح يوم الأحد ، جاءت "هويا" للسؤال عن الطفلين. تأثرت جدا من هزالهما الواضح ولم تستطع أن تمسك نفسها من البكاء ، وذكّرت والدها أن أهل قريتها يصفون "الرجلة البرية" كعلاج لحالات الإسهال المستعصية. فطن "لين" أنه ، ومنذ سنوات عديدة ، حين كان يزور مستوصف فى الريف ، شاهد أطباء حفاة الأقدام يطبخون "البقلة البرية" وكان الفلاحون الذين يعانون من الإسهال والدسنتريا يأتون إلى المستوصف لأكل قصعة منها. لم يكن يتطلب الأمر أكثر من ثلاثة قصعات ليشفى المريض تماما. ولكنهم كانوا فى الشتاء ، فأنَّى له أن يجد هذه العشبة.

ومع هذا ركب عجلته ومضى نحو منتصف المدينة آملا أن يجد فى أحد محال الأعشاب الطبية رجلة مجففة. مضى إليها جميعا فى مدينة "موجى" ، ولكن قيل له بأنها غير متوفرة بأى مخزن للأعشاب الطبية.

ازداد الطفلان هزالا ، يبدو أن المسحوق المر لم يبد مفعولا. وكملاذ أخير قررت الطبيبة "مين" أن يحقن المحلول مباشرة بحقنة شرجية. وقد أثبت هذا العلاج فعالية كبيرة. ففى خلال ثلاثة أيام أظهرت الفحوصات الجديدة أن البكتريا قد اختفت من أمعاء الطفلين. ولكن الأعراض لم تختفِ ، ظل الطفلان يعانيان من الإسهال ، كما أنها توقفا عن التبول بشكل طبيعى. أخذ البول يتسرب من خلال شرجيهما.

أسقط فى يد الطبيبة وارتبكت ولم تعد تدرى ما العمل. وبعد تفكير دام يومين أعلنت أن الطفلين شفيا من الدسنتريا التى كانا يشتكيان منها ، ولكنهما يعانيان الآن من اضطراب عصبى خارج عن نطاق اختصاصها. وأقرت بأنه لم يعد بيدها ما تفعله ولذا ستوقف العلاج ليستعيد الجسم طبيعته.

جن جنون "مانا" و"لين" حين سلَّم الجميع بعجزهم عن معالجة الاضطراب العصبى للطفلين. اقترحت إحدى الطباخات أن يُعطى للطفلين ثوم مهروس ولكن جاء الاعتراض بأن الطفلين صغيران. كما أن الثوم يستخدم كمضاد حيوى وقد انزاحت البكتيريا من أمعاء الطفلين فلا داعى له .

وأخيرا جاءت "هويا" فى إحدى الأمسيات وقالت لأبيها:

-"أمى تقول عليك أن تطعمهم هريسة التاروء مع السكر الأبيض وزلال البيض".

تساءل "لين":

-"لمَ تبدو أمك واثقة من أنها وصفة شافية؟".

اقتربت "مانا" لتستمع باهتمام. أجابت "هويا":

-"أمى تقول إنها أنقذتنى مرة حين كنت فى الخامسة أعانى من الدسنتريا. جعلتنى أشرب عدة محاليل لم تأت بنتيجة ، ظن الجيران أننى ميتة لا محالة ولا يمكن إنقاذى. ولذا هرع خالى "بنشنج" إلى مدينة "يوجيا" وجاء بهذه الوصفة من طبيب عجوز".

قاطعتها "مانا":

-"كيف يسلق البيض؟".

-"يجب أن يكون مسلوقا تمامًا"(*).

ومع أنه كان متشككا إلا أنه ، بدون تأخير ، اشترى "لين" خمس بوندات من نبات التارو من مخزن الخضروات وحضَّر الوصفة الفلاحى. استمتع الطفلان بالأكلة ، كانا يفتحان فمهما مثل صغار الطير وهى تتلقف الحَب من أمهاتها. ولدهشة الجميع فى تلك

ملاحظة : (*) التارو: نوع من الخضار الآسيوى الاستوائى.

الليلة توقف الإسهال عند الطفلين. وبعدها بيومين عادا للتبول الطبيعى. كان العديد من الأطباء والممرضات تخامرهم الظنون فى الوصفات الريفية ويتشككون منها. ولكن هذه المرة أثبتت فعاليتها وأبهرتهم.

وهكذا وبعد معاناة طويلة تماثل الطفلان للشفاء. تركت هذه الحادثة أثرها على "لين" ، تملكته عواطف جديدة غامضة جعلت الدموع تترقرق من عينيه كلما عاودته الذكرى. شعر أن الطفلين أصبحا قطعة منه. كان قد قرأ فى الأسبوع السابق ، فى الصحيفة اليومية ، عن موظف متقاعد وهب كليته لابنه. وهذا ما جعله يسأل نفسه دائماً: هل باستطاعته أن يقوم بالمثل من أجل ولديه؟

الفصل العاشر

شفى الطفلان من الدسنتريا ومن عادة الاستيقاط ليلا للرضاعة وأصبحا الآن يستغرقان فى نوم مبكر حتى الفجر. يقوم "لين" فى وسط الليل بإرضاعهما زجاجتى لبن وتبديل حفاضتيهما أثناء نومهما دون أن يتحركا. وهكذا صار بإمكان الوالدين أن يمضيا بعض الوقت سويا فى المساء بعد أن يستسلم الطفلان للنوم. كثيرا ما كان "لين" و"مانا" يستلقيان على الأريكة الطويلة يتسامران أو يشاهدان الأخبار أو فيلما سينمائيا على شاشة التلفاز .أخيرا تمكنا من الاستمتاع ببعض الهدوء.

فى إحدى الأمسيات ، فى أواخر شهر نوفمبر كان هناك برنامج على التلفاز تحت عنوان "شىء رائع أن تكون غنيا" وفيه يعرضون نماذج من الناس من الذين استجابوا لنداء الحزب وأصبحوا من الأثرياء بين ليلة وضحاها. مثل هذا الشاب الذى اشترى الفطر الجاف وجذور الجنزبيل من "منشوريا" وباعها فى مقاطعة "نوجيان" بأسعار مرتفعة. وفى خلال خمس سنوات أصبح يمتلك سبع محلات فى مدن مختلفة. وذاك المهندس الذى استقال من عمله وكَونَ ثروة بعد أن أقام مزرعتين لتربية الدواجن. شغل بهما مئة وثلاثين عاملا. وتلك المرأة المتوسطة العمر التى افتتحت محلا لبيع الثياب الجاهزة منذ ثلاث سنوات فقط ، وأصبح لها الآن شهرة كبيرة ، تمكنت من توظيف ستين عاملا وعاملة لإنتاج آخر خطوط الأزياء الخاصة بمحلاتها. فى احتفالات الربيع الأخيرة تبرعت بعشرة آلاف ينًا إلى مدرسة ابتدائية وهذا ما أهلَها لعضوية الحزب الاشتراكى ، واختيرت لتحصل على جائزة المواطنة المثالية. استطاع كل من هؤلاء المغامرين أن يصبح نجما متألقا ، بالرغم أنه ، لعدة سنوات خلت كان هذا الأسلوب

للحصول على الشهرة والثروة يعتبر خرقا للقانون. ولكن ها هو ذا الآن زمن الأغنياء الجدد يُعرضون على العامة بوسائل الإعلام كأمثلة تحتذى.

كانت "مانا" تتابع البرنامج وهى تقطِّع اللفت بينما أخذ "لين" ، الذى لم يهتم يوما بأن يكون ثريا ، فى قراءة موضوعٍ طبى عن كيفية التخلص من الحصى فى الكلاوى عن طريق وصفات ريفية.

وبينما كان لين يسأل نفسه:

-"لِمَ ذُكر فى الوصفة أهمية زيت السمسم وعين الجمل؟".

أعلنت المذيعة فى التلفاز قائلة:

-"والآن سنعرض عليكم قصة ثرى آخر من منطقة (فيدونج) مقاطعة (أنهوى) الرفيق جينج يانج".

عند ذكر الاسم أطلقت "مانا" شهقة عالية ورمت بالمبشرة فى صينية التقشير. استدار "لين" برأسه وسألها:

-"ماذا حصل؟".

لم تجبه واتجهت عيناها نحو شاشة التلفاز. التفت وشاهد وجه "جينج يانج" وقد ظهر مكبَّرا وقريبا. لم يتبدل شكله عن إحدى عشرة سنة ماضية. بدا ضخما وطويلا ، ولكن أقل تجهما مع بعض التجاعيد على وجهه ، وبعض الشعرات الرمادية على فوديه وإن اغمق شعره وازداد كثافة ، مما يدل على اكتمال صحته. سألته المذيعة الشابة:

-"هل صحيح أنك أغنى رجل فى منطقة (فيدونج)؟".

لعق شفتيه وأشرق وجهه بابتسامة عريضة وقال:

-"لم يخطر لى قط أننى سأصبح غنيا. وأنا أدين بهذا الفضل لسياسة حزبنا العظيمة".

وفى خلفيـة الصـورة كان هناك رافعـة تنقل حمـلا من القـرمـيـد إلى مـبنى تحت التنفيذ ، كما سُمع من مكان ما آلات حفر الأساس تدق بانتظام. قربت مقدمة البرنامج مكبر الصوت من فمه وسألته:

-"كم بلغت أرباحك السنة الماضية؟".

-"عشرون ألف ينٍ.

-"وووه! هذا يعادل عشرون ضعفا للمبلغ الذى تدفعه للعامل. كيف أمكنك أن تربح كل هذا؟".

رمـشت عيناه كمـا لو أن ذبابة دخلت فى بؤبؤ عـينيـه. تعـرفت "مـانا" على هذه النظرة الدنيئة فى تلك العينين. قال:

-"حسنا ، سأُخبركم. شـركة البناء هذه كانت تخسر باستمرار ، ومنذ ثلاث سنوات انتـهجوا سياسة جديدة وهى: عرض عشرة بالمئة من أرباح الشركة على من يستلم إدارتها ، وفى حالة الخسارة عليه أن يدفع ثلاثة بالمئة من قيمـة الخسارة من أمواله الخاصة. لم يرغب أحد بالمخاطرة ليقود هذا المركب الغارق. كنت أنا الوحيد ، هذا الشيطان الجرىء الذى تقدم وقبل المخاطرة".

قال هذا وهو يدق على رأسه ويطلق ضحكة مجلجلة.

-"كيف استطعت أن تجعلها شركة رابحة خلال سنة واحدة؟".

-"بالالتزام والانضباط والنظام. بانتهاج سياسة المكافئة والعقاب للعمال بعدل وحزم. فعلى كل فرد هنا أن يقوم بواجبه على أكمل وجه وإلا فسنخصم مبلغا مُعينا من راتبه. والآن فالشركة منظمة كما لو أنها فرقة فى الجيش ، يمكن القول ككتيبة. كل فريق ملتزم بإنهاء ما عليه فى الوقت المحدد ، يتحمل رؤساء كل فريق مسؤلية أى خطأ أو تأخير".

-"وماذا بالنسبة لهذه السنة؟ ما مبلغ الربح الذى تنتظره شخصيا؟".

-"على الأرجح ثلاثة وعشرون ألفا".

-"إذن فأمامك سنة أخرى من القيادة الحازمة؟".

-"نعم".

-"شكرا لك أيها المدير جينج".

وفيما كانت آلة التصوير تبتعد عن "جينج يانج" وتركز على "بولدوزر" يعمل فى منطقة البناء ، انفجرت "مانا" فى بكاء وعويل تمسح خديها بكم قميصها.

شعر "لين" بالاشمئزاز والقرف بعد رؤية "جينج يانج" بهذا البرنامج. كيف لهذا الشيطان أن ينجح بهذا الشكل؟ وها هو ذا يمتلئ بالحيوية والرجولة ويستمتع بكل هذه الثروة والشهرة. أدرك "لين" الآن لما نعته سماه "هونجان" بالكلب المحظوظ فى حفلة زواجهما الشتاء الماضى. نهض "لين" ومضى نحو "مانا" التى كانت تصرخ:

-"هذا ليس عدلا ، هذا ليس عدلا!".

-"شش ، لا تصحِّى الطفلين".

جلس إلى جانبها وأخذ قطعة اللفت التى لم تستكمل بشرها من يدها ووضعها فى الصينية. أمسك بيدها ورفعها وضغط بها على صدره. كانت أصابعها المبللة والممتلئة بقشور اللفت تبعث رائحة عفنة. سألته:

-"كيف لشيطان مثله أن يصبح بهذا الغنى والشهرة بهذه السهولة كما لو أن السماء لا عيون لها؟".

تنهد "لين" وهز رأسه قائلا:

-"هذه هى الحياة ، دائما كما ترين مثيرة للسخرية. ينعم المنحرف والشاذ ويعيش حياة طويلة ، بينما يتعذب الملتزم ويموت قبل الأوان".

صاحت وهى تذرف الدمع وقالت:

-"لكم أخاف منه".

عاد إليها وقبّلها هامسا:

-"لا تخافى ، فهو غير موجود هنا. لن أسمح له بإيذائك".

وبلطف قرص على طرف أذنها ليهدأها كما لو كانت طفلة صغيرة تستجير به من ظلام دامس. وأكمل هامسا:

-"لا تخافى".

لفت ذراعيها حوله ودفنت وجهها فى صدره.

أعادت إليها كلماته الهامسة ودفء جسده ألم القهر والضياع الذى عانت منهما فى غياب من يواسيها فى محنتها خلال الأيام الأولى لحادثة اغتصابها منذ أحد عشر عاما مضت. وهكذا وجدت نفسها عاجزة عن منع نفسها من الاسترسال فى البكاء وهى تضمه بشدة وتشهق وقد فقدت توازنها. أحست بأن شيئا فى أعماق صدرها قد تحطم إلى الأبد ، وفى الوقت نفسه انتابها شعور جميل بأن هناك من يقف بجوارها ، صديق مخلص تثق به وتفرغ بين يديه مكنون أحزانها ودموعها دون الشعور بالحرج والخجل ، ودون الشعور بالخوف من التحقير والإذلال الذى يشنه عليها عالم عدائى , ودون الشعور بالقلق من أن تصبح ضحية لنميمة وسخرية لا نهاية لهما. وأخيرا بدون أن يكون عليها أن تقول له:

-"سامحنى".

لأول مرة أطلقت لعواطفها ودموعها العنان لتبكى بسخاء كالأطفال. بللت دموعها قميصه الصوفى وأخذ شعرها السميك يلامس ذقنه. وأغرقت الدموع عينيه وهو يلامس على مؤخرة عنقها.

منذ تلك الليلة عادا للنوم فى سريرهما من جديد. عانت "مانا" من كوابيس متواصلة لعدة ليالٍ. كانت أضغاث أحلام غريبة لا يمكن تفسيرها. فى إحداها رأت

نفسها فى طريقها إلى دير للراهبات فى أعلى الجبل تحمل الطفلين على ظهرها. كان يوم مشمس يحمل النسيم رائحة لذيذة لبراعم الأشجار المتفتحة. وفيما هى تقترب من خزان ماء، كان عليها أن تعبره لتصل إلى الجبل، قابلت رجلا مسنا يلبس قبعة من القش قادما من الجهة المقابلة من جهة السد الصخرى. لم تتمكن من رؤية وجهه على البعد ولكنه كان يسير مترنحا ولا يبدو عليه ما ينبئ بالخطر. كان الطفلان نائمين من الإرهاق والحر على ظهرها وقد سال اللعاب من زوايا فمهما.

حين اقترب الرجل منها أزاح ريح فجائى القبعة عن رأسه كاشفا عن وجهه لترى أمامها "جينج يانج"! أصيبت "مانا" بصدمة شلتها وجعلتها عاجزة عن الصراخ أو الهرب. انطلق نحوها وأمسك بها من رقبتها وخطف الطفلين من فوق ظهرها وهرب باتجاه السد. كانت تصرخ وهى تلاحقه:

-"أعدهم لى يا جينج يانج. بإمكانك أن تفعل بى ما تريد إذا ما أعدت لى طفلىَ! أعدك سأذهب إليك إذا ما أطلقت سراحهماَ".

كان الطفلان يصرخان ويرفسان بأرجلهما.

انحرف "جينج يانج" دون أن يلتفت وراءه ومضى قاطعا السد نحو حاجز رملى. كان حذاؤه العالى ينثر التراب حوله. تقطعت أنفاس "مانا" ولكنها استمرت فى ملاحقته. ثم وجدته يضع كلا من التوأمين فى حذاء خشبى ضخم ودفع بهما نحو الماء. هبت الرياح وقذفت بالحذاء بعيدا إلى منتصف الخزان الواسع. وانطلق "جينج يانج" ضاحكا وهو يقول:

-"ها أنت فقدت طفليك. فلنر إن كنت تجرؤين على اتهامى من جديد".

ارتمت على الأرض صارخة:

-"لم يسبق لى اتهامك. أرجوك. أرجوك. أتوسل إليك. أعدهم إلى ثانية".

-"كلا، فهما فى طريقهما ليقابلا الإمبراطور التنين فى القصر الزجاجى. هاهاهاها".

صرخت قائلة:

-"تعالَ يا لين وساعدنى".

ورد "جينج يانج":

-"هذه الدجاجة لن تفعل لك شيئا".

صرخت ثانية:

-"تعالَ يا لين وأنقذ طفلينا".

ظل "لين" غائبا ليس له وجود.

فى هذه اللحظة رأت "ماى دونج" ، حبها الأول ، قادما من وراء أكمة الشجر فى الخلف يتمشى على الشاطئ. لوح لها بيديه ثم ضمهما فوق رأسه وهو يغنى مرحا:

-"لن تتمكنى من استعادتهما. لن تتمكنى من استعادتهما".

كان ما زال فى منتصف العشرينيات من عمره ، يلبس لباس الجيش وقد حلق شعر رأسه كله. تملكتها روح الإجرام وأمسكت ببعض من حجر الصوان الكبيرة وأخذت تقذف بهما كل من "جينج يانج" و"ماى دونج" بكل عزمها.

صرخ "لين":

-"أوتش!".

أصابت قبضة "مانا" جبينه ، فأشعل النور. استيقظت "مانا" وأخذت تفرك عينيها. قال "لين":

-"لماذا ضربتينى بهذه القوة؟ آخ يا عينى!".

ولكنه توقف وهو يشاهد وجه زوجته المبلل بالدموع وقد ظهرت عليه علامات الجزع والغضب.

-"آسفة ، آسفة. ولكنى رأيت حلما بشعا".

قالت هذا واستدارت:

-"حلمت بأننا أضعنا طفلينا ولم نتمكن من استرجاعهما".

بدأت فى البكاء ويدها تحيط بطفليها النائمين. تنهد "لين" وقال:

-"لا تكثرى من التفكير يا عزيزتى".

وردت:

- "لن أفعل. عد أنت للنوم".

أطفأ النور وعاد يغط فى نوم هادئ. بينما ظلت "مانا" بعينيها الواسعتين تراقب الغيوم وهى تتقطع بين أغصان الأشجار العالية والمتمايلة خارج النافذة. تساءلت: لمَ لم يظهر "لين" فى حلمها بينما عاد "ماى دونج" ليسخر منها ويتشفى بخسة. ما معنى هذا؟ لماذا لم يحضر "لين" لإنقاذهم؟ أين هو؟ هل هو فعلا بهذه الدرجة من السلبية والجبن ، لا يجرؤ على حمايتنا؟ لماذا رأت "ماى دونج" سيئا ومتشفيا مثل ذاك الحقير "جينج يانج"؟ ترددت الأسئلة فى عقلها ولكنها لم تتمكن من الإجابة عليها. كان تفكيرها مضطربا. فى الخارج ظهر القمر شاحبا يتذبذب شعاعه من وراء رؤوس الأشجار المظلمة. ذكّرتها الرياح بأصوات عويل الذئاب التى كانت كثيرا ما تستمع إليها فى الليالى المظلمة حين كانت طفلة فى الميتم.

الفصل الحادى عشر

ازداد ضعف قلب "مانا". تقاربت وكثرت أزماتها الصدرية مع عدم انتظام وتقطع فى دقات القلب. كانت تعانى من آلام حادة فى صدرها وذراعها الأيسر، ومع هبوط الليل يزداد عدم توازنها ويضيق نفسها. لم يسترح طبيب القلب المتمرس "ياو" لنتائج فحصها الأخير، ففى مساء أحد الأيام قال "للين" وهو يمسك بأشعة "مانا" وقد سلط عليها ضوء مكتبه:

-"أشعر بالخوف؛ فأنا أرى أن العلاج لم يعد يجدى ولم يعد يساعدها. يبدو أنها لن تعيش طويلا. لا تدرى سوى السماء لَمَ تدهورت حالتها بهذه السرعة".

انهار "لين" بعد استماعه لتشخيص الطبيب، فبكى وقال بصوت راجف:

-"لَمَ؟ لَمَ يحدث هذا؟ فأنا كطبيب، لَمَ لم أكتشف مبكرا حالة قلبها؟".

وغطى وجهه بيديه واسترسل فى البكاء.

-"لا تضع اللوم على نفسك يا لين. كلنا نعلم أنها تعانى من مشاكلُ فى القلب. ولكننا لم نتوقع أن تتدهور الحالة بهذه السرعة. لابد وأن بعضا من شرايينها المغذية للقلب قد سدت منذ وقت طويل".

-"أووه...كان على أن أخمن هذا. طلبت منها أن لا تكثر من أكل البيض، ولكنها لا تستمع لى".

قال هذا وهو يضرب ركبته بقبضة يده. تنهد الطبيب "ياو" وأردف:

-"كم تمنيت لو شخصنا الحالة مبكرا".

-"إذن فليس هناك أى علاج؟".

-"سمعت أن بعض الخبراء فى أوروبا استطاعوا تأخير انسداد الشرايين ، ولكن هذه التقنية غير متوفرة فى بلادنا".

-"ماذا أفعل؟".

أمسك الطبيب "ياو" بذراع "لين" وهزه بلطف وقال:

-"أنا آسف يا لين ليس عندى فكرة ولكن يجب أن لا تنساق وراء عاطفتك. تماسك وتظاهر بالمرح ، فهى تعتمد عليك كليا.

توقف لبرهة بينما أخذ "لين" يفرك معدته بكفه محاولا تهدئة معاناته ، وتابع الطبيب:

-"امنعها من القيام بأى مجهود جسمى. ابعدها عن كل ما يثير أعصابها ، سهّل لها أمور الحياة".

خفض "لين" رأسه وتمتم:

-"سأحاول بكل طاقتى".

-"لو كنت مكانك لما ذكرت لها حالة قلبها الضعيف ، ولعملت فقط على إسعادها".

-"بالطبع ، لن أخبرها".

بالرغم من حرص "لين" على إخفاء السر ، إلا أن الكلمات تسربت فى أرجاء المستشفى تتحدث عن تأزم حالة "مانا" ، وتفشت الشائعات تعلن أنها بالقطع لن تعيش لأكثر من سنة. وما هى إلا عدة أسابيع حتى وصل لأسماع "مانا" سوء حالتها. ولكنها تلقت الخبر بهدوء مدهش قائلة "للين" أنها كانت تعلم مسبقا أنها لن تعيش طويلا. أضافت الكلمات المزيد إلى أحزانه.

ازدادت طباعها حدة مع شعورها بالضعف والعجز ، كثيرا ما كانت تصرخ آمرة "لين" و"جولى" ، وأحيانا كان صوتها يعلو دون سبب ظاهر كطفل مشاكس عنيد. حاول

"لين" أن يقوم بأعباء المنزل قدر طاقته ، كان يغسل الحفاضات فى نهاية الأسبوع فى غياب "جولى". وفى منتصف الشتاء كانت المياه تتجمد فى الصنابير وكانت كفاه تحرقانه وتتقرحان من دعك الغسيل بالماء المثلج من الصنبور خارج البيت. لم يخطر على باله قط أن الغسيل سيصبح جزءا من حياته الزوجية ، فطوال تلك السنوات قبل زواجه لم يكن يغسل سوى جواربه وثيابه الداخلية. فقد توكلت "مانا" آنذاك بمهمة غسل ثيابه وصقلها بالمكواة ، وها هو ذا الآن بانتظاره أكوام من الحفاضات . لم يجرؤ على الشكوى أو الشفقة على نفسه؛ فمن الممكن أن تتأزم الأمور أكثر. فبالرغم من كل هذه الصعوبات ما زال بإمكانه استئجار خادمة تقوم بالغسيل خلال أيام الأسبوع.

ففى مساء كل يوم سبت ، يحمل "لين" إلى الصنبور الخارجى ثياب وحفاضات الطفلين ودلوا ملىء بالماء المغلى ، يصبُه فى حوض الغسيل مع مسحوق الصابون وينقع الغسيل لفترة. كانت أنوار مصابيح الشارع تجعل الماء فى حوض الغسيل لامعا ، ومن خلال مكبر الصوت المثبت على سطح المبنى الطبى كثيرا ما استمع "لين" إلى صوت نسائى رقيق يترنم بأغنية "النهر الواسع طويل وعريض". يسند "لين" خشبة الغسيل إلى حافة الحوض ويبدأ فى دعك الغسيل قطعة وراء أخرى مصدرا صوتا عند العصر. بعد قليل يفقد الماء سخونته ويصقع ، فيضطر "لين" لنفخ أصابعه بأنفاسه لتسخن حتى يستطيع الانتهاء من الغسيل. أصعب مرحلة هى الأخيرة حيث يبدأ بشطف الغسيل من الصابون والمواد الكاوية بالماء المثلج بعد أن يكون قد استنفد المياه الساخنة كلها. فمياه الحنفية باردة لدرجة يشعر معها كأن كلابا تنهش أصابعه بأسنانها ، ولكنه يستمر فى الغسيل بهدوء محاولا أن يتجنب السلام على المارين الذين يأتون لتعبئة المياه لبيوتهم.

لاحظ الناس ضعف وجه "لين" وبروز عظام وجهه ، كما أصبح سرواله واسعا عليه ، قالت زوجة القوميسار "سو" لجيرانها:

-"فقد لين كونج وركيه. هذا عقاب من السماء ، فهو يستحق ما يجرى له. لنرَ من سيجرؤ بعد الآن ويسعى لطلاق زوجته ؟

وكانت كلما رأت "لين" مارا ، تشير إليه وتبصق على الأرض وهى تضرب الأرض بقدميها. كان يتجاهلها كما لو أنه لم يسمعها أو يرها. على عكس المرأة المجنونة ، امتنع زملاؤه عن التندر به والمزاح معه ، تعاطفوا معه وأشفقوا على حالته.

كان ممتنا لزيارات "هويا" المستمرة فى عطلة نهاية الأسبوع. كانت تساعده أحيانا فى الغسيل وفى الاعتناء بالطفلين. كانت تحب إطعامهما بزجاجة حليب واحدة مما يجعلهما يتنافسان على امتصاصها ثم يتكرعان بمرح. كانا يضحكان ويمدان لها أيديهما الصغيرة الممتلئة كلما داعبتهما. فتدلعهما قائلة:

-"يا كنزىَّ الصغيرين".

وهى تدس ذقنها على صدريهما. صنعت لكل منهما قبعة بشراشيب. تغيرت معاملة "مانا" "لهويا" وأصبحت أكثر ترحيبًا ، تعاملها كصديقة ، حتى أنها اشترت لها سترة وردية اللون. وأسَّرت "للين" مرة بأنها كانت تود أن يكون لها ابنة مثل "هويا".

بعد إجازة مرضية طويلة عادت "مانا" إلى عملها. كانت تعمل نصف يوم فقط ويُدفع لها راتبها بالكامل ويُسمح لها بتمضية فترة ما بعد الظهر فى البيت. فى أحد أيام الأحد من شهر يناير ، كان "لين" يطبخ الأرز من أجل الغداء. وضع القدر على النار لينضج ومضى إلى مطبخ المستشفى العام ليحضر طبقا يأكلونه إلى جانب الأرز. ففى الليلة الماضية قرأ على لوح صغير فى مدخل مطعم المستشفى العام إعلانا يقول إنهم يبيعون طبق اللحم مع البطاطس المحمرة للغداء بمبلغ سبعون فنًا. قابل فى طريقه إلى المطبخ القوميسار "سو" وأخذا يتحدثان لفترة عن برنامج التدريبات المذمع عقده فى الربيع القادم. كان قسم الصحة العامة قد طلب من مستشفى الجيش المساعدة ووافق على إمدادهم بالأموال اللازمة للبرنامج. وهذا يعنى أن موظفى المستشفى سيتلقون منحا قيمة فى نهاية السنة القادمة.

أخذهما الحديث وهكذا نسى "لين" أنه وضع الأرز ليستوى على النار. وحين عاد وبيده قصعة اللحم مع البطاطس كان المطبخ عابقا بالدخان. أسرع إلى الموقد وأنزل الوعاء من يده ثم أزاح القدر عن الموقد. وما أن رفع الغطاء حتى انبعثت سحابة من

البخار ، غممت نظارتيه وأعمته عن الرؤية. وبعد أن مسح عدستيه فى طرف سترته وأعادهما إلى عينيه رأى أن الأرز قد احترق تماما. أمسك بالمغرفة وكان على وشك أن يضيف الماء إلى القدر حين دخلت "مانا" إلى المطبخ تسعل وتقفل أزرار سترتها وصرخت قائلة:

-"ضع بسرعة بصلة فى القدر".

وضع "لين" بصلة فى قدر الأرز ليتخلص من رائحة الحريق. ولكن المحاولة لم تنفع ، فاحت رائحة الحريق تماما. فتح "لين" شراعة النافذة ليزيح الدخان. وفجأة صرخت "مانا":

-"لماذا خرجت وتركت القدر يغلى على النار؟ ألا تستطيع أن تطهو شيئا بسيطا كهذا أيها الأهبل؟!".

-"ذ..ذهبت لأشترى طبقا نأكله ، واعتمدتُ على أنكِ بالبيت. لمَ لم تدخلى إلى المطبخ وتراقبى الطعام؟".

-"لأنك لم تطلب منى ، كما أننى مريضة جدا لا أقوى على الطهو. ألا تعلم ذلك؟".

ثم أبعدت طرفى كميها برؤوس أصابعها ، وبكل برود قامت برمى حلة الطعام من فوق الموقد إلى أرض المطبخ الأسمنتى ووراءها قصعة اللحم. تدحرج غطاء القدر الالمنيوم واصطدم بالخزانة ، وانتشرت قطع اللحم والبطاطس والأرز المدخن لتملأ أرضية المطبخ وأضافت:

-"حتى الخنازير تعف عن أكل هذا".

من داخل غرفة النوم انطلق "البحيرة" باكيا ، ثم صارخا بكل قوته. وما هى إلا ثوان حتى لحق به "النهر" ، وهرعت "مانا" عائدة لتهدأتهما. ترك "لين" المطبخ دون أن يفكر بتنظيفه وانطلق خارجا يحدث نفسه غاضبا:

-"أكرهها..أكرهها".

مضى إلى التل الذى يقع وراء ساحة المستشفى. كان اليوم باردا ، خلت أغصان أشجار التفاح المطعمة بالكمثرى ، من أوراقها. " ظل عاجزًا عن التفكير لفترة من شدة الغضب . شعر بتنميل فى جمجمته وبألم فى قمة رأسه. تسلق إلى أن وصل إلى القمة والتى كانت مكسوة بالثلج الا من بقعتين من الصخور البنية. بعيدا عن التل وعلى طرف النهر شاهد قرية بها مزرعة لتربية الأيل وبجوارها مركب يقيم عليه ملاكه. شعر "لين" لسبب ما برغبة فى رؤيته وهذا ما جعله يواصل الصعود حتى بلغ قمة التل . عبق الجو برائحة شتاء نظيفة . سكنت الريح وأرسلت الشمس بأشعتها الناعسة على الصخور وعلى جذوع الأشجار المغطاة بالجليد. نعق من على البعد سرب من الغربان يصرخ من الجوع.

هدأت ثورة "لين" رويدا رويدا وانطلق صوت فى رأسه يسأله:

-"هل تكرهها فعلا؟".

لم يرد على هذا السؤال. واستمر الصوت:

-"أنتَ الذى سعيت لهذه الورطة. لماذا تزوجتها؟".

وأجاب:

-"لأنى أحبها".

-"هل تزوجتها فعلا من أجل الحب. هل تحبها؟".

فكر قليلا ثم تمكن من الإجابة:

-"أظن أننى أحبها ، لقد انتظرنا ثمانية عشر عاما. ألا يعنى هذا الزمن الطويل من الانتظار أننا نحب بعضنا البعض؟".

-"كلا. فالزمن ليس هو المؤشر الصحيح. فأنتَ فى الواقع لم تحبها أبدا ، شعرت لربما برغبة فيها .لم تتح لك الفرصة للاستغناء عنها أو لتحويل هذه الرغبة إلى حب".

-"ماذا؟ رغبة؟!".

شعر بالصدمة وأوقف سير أفكاره وشعر باحتقان فى جيوبه الأنفية.

-"نعم ، فأنت غالطت نفسك وخلطت ما بين الرغبة والحب. لم تكن تعلم ما هو الحب ، فى الواقع ، انتظرت ثمانية عشر عاما رغبة فى الانتظار فقط. كان بإمكانك انتظار أى امرأة أخرى غيرها. ألست معى فى ذلك؟".

-"انتظرت مانا فقط. لم يكن هناك أى امرأة أخرى فى حياتى غيرها".

-"حسنا ، لم يكن هناك سواكما. فلنفترض أنكما كنتما فعلا تحبان بعضكما البعض ، هل كنتما واثقين أنكما ستهنأن بالعيش سويا كزوج وزوجة؟".

-"نحن أحببنا بعضنا فعلا".

شعر "لين" بوخز فى قمة رأسه. نزع قبعته لعل الهواء البارد يرطب رأسه. استمر الصوت:

-"ما الذى تعرفه عن الحب؟ هل كنت تعرفها بما يكفى قبل أن تتزوجها؟ هل كنت واثقا أنها المرأة التى تود أن تمضى معها بقية عمرك ؟ فلتكن صادقا الآن مع نفسك ، من كل النساء اللاتى عرفتهن فى حياتك ، من هى المرأة التى تحبها فعلا؟ أليس هناك امرأة أخرى تراها أكثر ملاءمة لك من مانا؟".

-"لا أستطيع أن أحدد...كما أنه لا يوجد فى حياتى امرأة أخرى سوى "شويو". كيف لى أن أقارن مانا بامرأة أخرى؟ ليس لى خبرة بالنساء بالرغم أننى كنت أتمنى هذا".

وفجأة شعر بألم حاد فى رأسه وأصيب بالدوار لفكرة خطرت له ، انتابه هاجس ، بأن زواجه هذا ليس بالزواج الذى تمناه وأراده. جلس على الصخرة ليلتقط أنفاسه ويستعيد توازنه. أكمل الصوت:

-"نعم ، لقد انتظرت سنوات طويلة ولكن من أجل ماذا؟".

تاهت أفكاره ولم يتمكن من الإجابة. أرعبه السؤال ، فقد ألزمه بالاعتراف بأنه كان مخطئًا فى تمضية كل هذه السنين منتظرًا واستمر الصوت فى تأنيبه .

-"دعنى أخبرك بما فعلت بنفسك. أخذت فى الانتظار كل هذه السنين كالمخدر أو كالسائر فى نومه ، مشدودًا ومدفوعًا بآراء الآخرين,مستسلمًا لضغوط خارجية ولأوهامك بأن عليك الالتزام بقوانين عسكرية كبلت نفسك داخلها معتقدًا بأن ما مُنعت فى الحصول عليه هو قدرك وما على قلبك إلا الانصياع إليه .

اضطرب تفكير "لين" وظل لفترة عاجزا عن الرد. ثم بدأ فى صب اللعنات على نفسه:

-"أيها الأبله ، انتظرت لمدة ثمانية عشر عاما وأنت لا تدرى لماذا ، ثمانية عشر عاما ضاعت وخسرت معها زهرة شبابك وانتهيت بهذا الزواج الملعون. أنت خير مثال لرجل أبله".

سأله الصوت:

-"وما العمل الآن؟".

أطلق زفرة عميقة عاجزا عن القيام أو حتى محاولة القيام بأى شىء. كانت الدموع تترقرق على وجنتيه وتصل إلى زاويتى فمه. يرفع كفه ليمسح بين الحين والحين دموعه المنسابة. تجمدت أذناه من البرد ، فأعاد قبعة الفراء إلى رأسه وغطاء بها أذنيه. ثم مرت بخياله صورة "مانا" وهى فى العشرينيات من عمرها بوجهها المبتسم والممتلئ بالحياة والنضارة ، تمسك بكفها ضفدعة خضراء مرتعشة ويطير حولها الذباب مرفرفا بأجنحته ومصدرا أزيزا واضحا. وحين مدّ "لين" يده محاولا لمس الضفدعة قفزت من كف "مانا" نحو حقل مزروع بالباذنجان. التفتت "مانا" إليه حينذاك وقد امتلأت عيناها بالحب والحنان ، نظرة معبرة عن رغبة فى مشاركته أسرار الحياة ومقاسمته حلوها ومرها. كانت النسمات الدافئة تتلاعب بنهايات شعرها الانسيابى وتزيحه مظهرة مؤخرة عنقها الحريرى. لكم اختلفت الآن عما كانت عليه

حينذاك ، واكتشف أن الانتظار الطويل قد بدلها من شابة عذبة مليئة بالبهجة والأمل ، إلى امرأة محبطة متشائمة غاضبة. ومهما كانت مشاعره نحوها الآن فهو واثق أنها أحبته واستمرت على حبها له. لربما أن هذا الحب الذى لم يخمد هو الذى أوصلها إلى ما هى عليه الآن ، أو لربما أن شدة المعاناة واليأس الذين مرت بهما خلال انتظارها الطويل أذابا طبيعتها الرقيقة ، أتلفا أمالها ، خربا صحتها ، سمما قلبها. دمراها تدمريا.

قاطع الصوت سيل أفكاره:

-"نعم ، لقد أحبتك مانا ولكن ألم يكن هذا الزواج هو ما زادها وهنا وسقما؟".

حاول الإجابة:

-"كل ما أرادته أن تُبنى عائلة وتُرزق بالأطفال. لابد وأنها كانت تتوق لدفء وحب إنسانى ، أى قدر ولو قليل منه كانت ستعتبره نوعا من الحب. نعم ، لقد كانت عمياء عن الحقيقة وظلت على اعتقادها بأننى أحبها. ".

شعر بغصة فى قلبه؛ تبين له أنه فى الواقع لم يحب أية امرأة من كل قلبه. كان دائما هو المحبوب وليس المحب. ولربما أن هذا هو سبب جهله بالحب والنساء. فهو إلى الآن لم ينضج بعد عاطفيا. زواجه المبكر دون حب أذبل عواطفه وقدرته على الحب المتأجج. لو أنه ذاق ولو لمرة واحدة فى حياته طعم الحب الحقيقى ، حتى لو كان حبا مدمرا للقلب وشالا للتفكير ومسببًا له الألم واليأس . واستمر الصوت:

-" والآن ما العمل؟".

لم يستطع الرد بأى جواب. فهو زوج وأب وعليه أن يتحمل مسؤلية زواجه ، ليس أمامه من سبيل آخر يخفف عنه الشعور بالذنب ويقنع به نفسه بأنه رجل صالح. لم يعد أمامه سوى الرضا بالواقع والصبر.

تنهد. لو أن لديه ولو القليل ، من الطاقة والعاطفة سيحاول أن يحب "مانا" بتفان واخلاص ليبدأ حياته معها من جديد. لو أنها تمالكت صحتها ولم تكن بطريقها إلى الموت. ها هو ذا تقدم به العمر وأصبح عاجزا عن القيام بأية محاولة جديدة. كل ما يتمناه الآن أن يدخل الطفلان الحضانة قبل أن تفارق "مانا" الحياة.

فى أسفل المنحدر ووراء سور المستشفى ، شاهد "لين" شابا وفتاة يتمشيان بالرغم من برودة الجو. كلاهما فى لباس المستشفى الموحد. كان الرجل طويلا والفتاة قصيرة ورقيقة تسارع الخطا لتلحق بخطواته الطويلة. بدا شكلهما مألوفا إليه. دقق البصر علّه يتعرف عليهما ولكن عينيه عجزتا عن رؤيتهما بوضوح ، تذكر أن القانون الذى كان يمنع غير المتزوجين من الالتقاء خارج أسوار المستشفى قد أُلغى السنة الماضية.لم يعد الرؤساء يهتمون بتوجيه اللوم ونقد الشباب والشابات الذين يتمشون سويا خارج مجمع المستشفى. كما وصل إلى سمعة عن لقاءات بين المرضات والمرضى فى الغابات المجاورة. أما بالنسبة له و"لمانا" فقد ظل الحائط الذى فرض لعزلهما عن الخارج قائما حتى الآن بشكل ما. فلم يحدث أن تمشيا سويا منذ زواجهما خارج جدران المستشفى وما زالت "مانا" عاجزة عن قيادة الدراجة .

بعد فترة نهض "لين" وأزاح الثلج عن حضنه بقبعته ، وبدلا من أن يصعد إلى قمة التل استدار إلى منتصف المنحدر وبدأ فى النزول ببطء شاعرا بضعف فى ركبتيه. كان هناك بعض من الماعز يصدر غثاء من الغابة المجاورة .تلوث المنحدر المكسو بالثلج الأبيض بروث قطيع البقر. وفى أعلى المنحدر ظهرت عربة تتسلق أعلى التل يشق إطارها الحديدى طريقه على الحصى والجليد. وفى أسفل التل كان هناك دوامة هواء صغيرة تلف أوراق الأشجار الجافة على جانبى الساقية المتجمدة ، تدور بها ثم ترميها نحو الحقل الواسع لتتبعثر مع بقايا حصاد الذرة.

وصل إلى البيت بعد عشرين دقيقة وما أن فتح الباب حتى شعر بالغثيان. كانت رائحة خل الأرز عابقة بالجو كمضاد لفيروس نزلات البرد ، والتى كانت فى الماضى من الروائح المستساغة لأنفه. استقبلته "مانا" وأخبرته بصوت رقيق بأن العشاء جاهز فى

سلة الخيزران على الموقد. كانت قد سلقت شرائط المكرونة وقلت بعض المعجنات بزيت الصويا. ولكنه لم يدخل المطبخ ومضى إلى غرفة النوم ورمى نفسه إلى السرير النقال وجرّ الغطاء على وجهه. كانت ملة السرير تطقطق كلما تحرك بين الحين والآخر. بدأت "مانا" فى البكاء ، وظل لفترة عازفا عن تهدأتها خوفا من أن ينساق إلى البكاء معها إذا ما حاول تطييب خاطرها. ولكنه تمالك نفسه ونهض من سريره ومضى إليها. جلس إلى جوارها وأحاط كتفيها بذراعه قائلا:

-"كفى ، توقفى الآن يا عزيزتى. بكيت بما فيه الكفاية وهذا ضار بصحتك".

لأول مرة لاحظ مدى ضعفها كما لو أن عظامها ستتفكك . امتلأ قلبه من جديد بالحزن والعطف وقبّل وجنتها. رفعت عيناها إليه وقالت بخجل:

-"كنت مثيرة للنفور. هل ستسامحنى؟".

-"لم تكن غلطتك".

-"قلها".

-"سامحتك".

-"أرجوك تناول عشاءَك".

-"لست جائعا".

-"أرجوك كُل".

-"حسنا سأفعل كما تريدين".

حاول أن يبتسم ولكن المجهود لوى وجهه فاستدار حتى لا تلحظه. نهض ومضى نحو المطبخ .



الفصل الثانى عشر

"لمَ لا تهرب؟".

كثيرا ما طرأ هذا السؤال على خاطر "لين" ، وجنح خياله لوضع خطط للهروب. مثلاً ، أن يسحب كل مدخراته من البنك ، التى لا تزيد عن تسعمئة ين ، ويتسلل ليلا إلى محطة القطار تحت اسم مستعار ، ثم يبدأ حياته من جديد فى مدينة بعيدة حيث لا يعرفه أحد. هناك سيعمل فى مكتبة وهذا عمل يحبه ويناسبه . فى أعماق قلبه كان يعلم أن الحزن والألم سيضنيه إذا ما تخلى عن عائلته وهرب للبحث عن السعادة. أينما مضى سيطارده وينهشه ضميره الحى.

قالت له "مانا" حينما اقترب عيد الربيع:

-"لم لا تأخذ هدية وتذهب لزيارة شويو قبل الأجازة لتطمئن عليها؟".

أدهشه اهتمامها وسألها:

-"لمَ تريديننى أن أفعل هذا؟".

-"لابد أنها تشعر بالوحدة وليس لها غير هويا حولها. ألا تفتقد لهما؟".

-"حسنا سأمضى لزيارتهما".

فى أول الأمر تبادر إلى ذهنه. لربما اقترحت "مانا" هذه الزيارة بعد أن أرهف المرض قلبها ، أو لربما أنها أدركت أن "شويو" و"هويا" ستعتنيان بالطفلين بعد موتها. ثم تساءل: ألا تعانى هى أيضا من الشعور بالوحدة؟ هل تظن "مانا" بأن معاناتها أقل من "شويو" بسبب وجوده فى حياتها وحمايته لها؟ وهل هذا ما تشعر به معظم النساء المتزوجات؟.

كان "لين" متلهفا لمعرفة أحوال "شوبو" بعد إقامتها لفترة فى المدينة. كانت "هويا" تطمئنه دائما مؤكدة أن "شوبو" بحالة جيدة بعد أن سكنت آلام ظهرها لمواظبتها على الحمامات الساخنة فى المجمع السكنى. ولكنها أخبرته أيضا بأن أمها تفتقد لبيتهم فى الريف ، تعبر عن شوقها هذا بقولها:

-"أنا مثل شجرة قديمة لا يصح نقلها من مكانها الأصلى إلى مكان آخر".

وقد طلبت من "هويا" أن تعدها بأنهما سيعودان فى أبريل القادم إلى قرية "جوس" لتنظف وتكنس قبرىّ والدى "لين". ولكن بالرغم من تذمرها فأمها فى الواقع تستمتع بحياتها فى المدينة.

قبل أعياد الربيع بيومين وضع "لين" فى حقيبة صغيرة من القماش أربع دستات من سمك "الماكريل" وحزمة من الثوم. كانت إدارة المستشفى قد أمرت بصرفها بمناسبة الأعياد للعائلات. وهكذا استعد للانطلاق للحى السكنى حيث تقيم "شوبو" و"هويا". نهضت "مانا" من سريرها ومشت تراقبه قبل انطلاقه. كان يضع على رأسه قبعة من الفراء غطى بطرفيها أذنيه وذقنه واكتست كفاه اللتان كان يمسك بهما مقود العجلة ماركة "بيكوك" بقفازين جلدين. كانت عجلة اقتصادية لا تحتاج لبطاقة لشرائها. برقت عينا "مانا" الواسعتان وهى تنظر إليه مودعة ثم انحنت وقبّلت طفلها البكر "نهر" الذى كان ينام هادئا إلى جانب أخيه "بحيرة" فى المهد الهزاز. قالت "للين":

-"انتبه لنفسك".

-"سأفعل".

-"عد مبكرا ، سأكون بانتظارك".

-"طبعا ، سأكون بالبيت على العشاء".

كانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر والازدحام على أشده فى المدينة. تلبدت السماء بالغيوم الرمادية والدخان. أُشعلت الأنوار على التوالى فى البنايات ذات

الطابقين أو الثلاثة على جانبى "طريق الربيع" الذى كان "لين" يخترقه بعجلته. كان عليه أن يصل إلى النهاية الغربية للمدينة. تغطت أسقف المنازل بالآجر الأحمر والجليد الذى بدا قاتما ساعة الغسق. كان الطريق منزلقا مع تراكم الثلوج والجليد المضغوط تحت عجلات عربات النقل والسيارات. قال لنفسه عليه أن يتوخى الحذر ولا يسرع؛ ففى الأسبوع الماضى دهست شاحنة فتاة على عجلتها فأردتها قتيلة فى هذا الشارع ذاته.

حين وصل إلى المجمع السكنى كان الظلام قد خيم تماما وأشعلت البيوت أنوارها. وجد وحدة ١٢ بسهولة. كانت قد خصصت "لهويا" مؤخرا وكانت فى وسط بيوت للنوم. سمع صوت ابنته تغنى فوقف لينصت ولم يضرب الجرس. لم يتمكن من تحديد اسم الأغنية. لربما أنها أغنية راقصة. بدأ الثلج فى الندف خفيفا ، صدع صوت مكبر للصوت معلق على عامود طويل ، يعلن عن نشرة الأخبار المسائية بعد عزف موسيقى النشيد الوطنى "تشرق الشمس والشرق أحمر".

شعر بالحيرة ، هل يدخل أم سيكتفى برؤيتهما من وراء النافذة التى تغطى زجاجها بالجليد. انحنى إلى الأمام وحاول النظر إلى الداخل بعين واحدة من بقعة غير مغطاة بالجليد. فى الداخل رأى "شويو" وهى ترتدى مريلة بيضاء وسترة من القطن الأخضر المقلم بكامل عافيتها وهنائها. كانت الأم والابنة تحضران العجائن سويا. تفرد "هويا" العجينى "بنشابة" خشبية بينما تحشو الأم الفطائر بهريسة الحبوب مع السكر. لبس "شويو" طابع المدنية وبدت الآن أصغر سنا مما كانت عليه وأشبه ما تكون بطباخة محترفة. لسبب ما كان مبهورا بالمشهد الذى يوحى بالسلام والهناء. شعر بانقباض فى حنجرته ، لم يرض أن يستسلم للكآبة وحاول أن يتماسك. نظر حوله فوجد بضعة أكياس من القماش الأبيض ، على الأوكد مليئة بالفطائر والمعجنات ، تعلق خارج نوافذ المنازل فى الشتاء لتتجمد. وتذكر ، أنهم قديما فى بيوت القرية ، كانت كل عائلة تصنع الآلاف من قطع الفطائر والمعجنات فى آخر السنة وتحتفظ بها مجمدة فى حجرة التخزين لتوفير الوقت خلال موسم الأعياد. ففصل الشتاء هو فصل الاسترخاء والاستمتاع ، يمضى معظم الرجال جلّ وقتهم فى المراهنة واحتساء الخمر .

ترى هل يمكنه الدخول؟ تذكر إصابة أحد الضباط المتقاعدين منذ عدة أشهر مضت بسكتة دماغية مات على أثرها أثناء زيارته لعائلته السابقة. انضم هذا الرجل إلى الجيش تاركا عائلته فى الريف فى خريف سنة ١٩٤٣ وبعد أن حصل على ترقية فى مدينة "هارين" طلّق زوجته الريفية وتزوج بأخرى فى المدينة. تقاعد الرجل بعد أربعين سنة وقرر العودة لزيارة عائلته بالريف فوجد زوجته القديمة ما زالت بانتظاره ، تزوج أولاده الأربعة وصار لكل منهم عائلة يتكفل بأعبائها. غمره شعور بالفرحة بهذا اللقاء العائلى الذى ضم ستة عشر عضوا من ثلاثة أجيال متتالية ، فلم يقو قلبه وأصيب بسكتة دماغية وهو على مائدة الطعام. مات على أثرها بيومين.

ولذا خاف "لين" ، وقد وقف خارج مسكن عائلته القديمة,أ لا يتسطيع التحكم فى عواطفه إذا ما دخل. ولذا قرر ترك الحقيبة على مصطبة بجانب الباب والعودة من حيث جاء. ولكن قبل أن يمضى مبتعدا وقعت الحقيبة ومعها حزمة سميكة من البصل المجمد كانت مُعلقة فوق قطع الفحم الحجرى. صرخت "هويا" من الداخل:

-"من هذا؟".

ثم فتحت الباب وصرخت:

-"أبى!! ادخل".

ثم التفتت وقالت بأعلى صوتها:

-"أمى ، أبى هنا".

خرجت "شويو" وهى تفرك العجين عن يديها وقالت وهى تستقبله بابتسامة عريضة كما لو أنه عائد من رحلة طويلة:

-"تعالَ إلى الداخل. لا تقف هكذا تحت الثلج".

وضع "لين" القفل حول العجلة ودخل. كانت الغرفة دافئة جدا وهذا ما جعله ينزع عنه قبعته ونظارته التى تغشت بالبخار فى الحال. مسح العدستين بالإبهام والسبابة.

رجته "شويو" " أن يجلس على السرير الآجرى الذى كان لامعا ودافئا ، وهكذا فك رباط حذائه وصعد إلى السرير. ربّع ساقيه وغطاهما بلحاف صغير ثم خلع سترته. وفى الحال قدمت له "شويو" كوذا كبيرا من الشاى الأسود وضعته على الطاولة المنخفضة أمامه قائلة:

-"اشرب هذا لتدفئ نفسك ، فالطقس بارد جدا".

شعر بالراحة والأمان وهو مسترخى على السرير الطوبى. تمنى أن يستلقى لبعض الوقت ليدفئ ظهره. حلّ عليه التعب واستكانة نفسه. جاشت عواطفه بإحساس جميل وهو فى حضن بيته ووسط عائلته يرتشف الشاى ويأتيه من المطبخ صوت ثرثرة زوجته وابنته وهما تحضّران له الطعام.

شعر بثقل فى قلبه وضاقت نفسه. نظر حوله ورأى على الحائط أربة صور لاحتفالات الربيع الشبيهة بتلك المعلقة على جدران منزلهم بالقرية ، فى كل واحدة منها صورة لطفل سمين وزوج من ثمار الخوخ الضخم. تبادر إلى ذهنه بأن "شويو" و"هويا" تتدبران أمرهما بشكل جيد بدونه. أحزنه هذا الواقع وترك لديه شعورا بالعدمية ، وتمتم لنفسه:

-"إننى رجل لا فائدة منه".

هذه جملة كان قد قرأها فى رواية روسية منذ زمن طويل ,و لم يعد يتذكر اسم الكاتب. حاول أن يستعيد ذكرى الإجازات فى السنوات القريبة الماضية ورأى نفسه محتارا. لا تتميز أى منها عن الأخرى ، لا يمكنه القول بأنه أمضى ، منذ أن غادر قرية "جوس" إجازة ربيع سعيدة. وانتقل بتفكيره من الإجازات إلى الحب ، وهذا ما زاده بلبلة وارتباكا؛ فهو لا يذكر أنه أمضى يوما كاملا مع امرأة أحبها حقا ، لم تعبر مثل هذه المرأة قط فى حياته. لم يذق يوما مشاعر الوله والغرام. ولكن هناك أمرا لا ريب فيه؛ إذا ما خُير الآن بين الحب وراحة البال سيختار بالقطع الأخير. سيختار بيتا يعم فيه السلام والهدوء. هل هناك أفضل من مكان تجد فيه السكينة والراحة ، تستلقى براحتك وتقرأ كتابك ، وتتناول طعاما شهيا ونوما متواصلا؟.

كان يعلم فى أعماقه أن هذه مجرد أضغاث أحلام وأمنيات. عليه فى الواقع أن يعود سريعا إلى "مانا" وطفليهما فى البيت الآخر. أغمض عينيه. ما هذا الخراب الذى تسبب فيه فأتعس حياته وحياة الآخرين!

جُهزت المائدة. وضعت "هويا" على الطاولة سلطة الكرنب مع الشعيرية وطبقا من الدجاج المحمر وسلة صغيرة من المعجنات المقلية ويخنة من لحم الخنزير وقطع من الجمبرى الصغير. فتحت "شويو" زجاجة كحول وملأت كأس "لين" وهى تقول:

-"أعطى بنشنج هذه الزجاجة إلى شبيه الحمار وطلب منه أن يقدمها لك حين علَم بقدومه إلى موجى".

-"متى جاء شبيه الحمار؟".

-"الأسبوع الماضى. جاء وبصحبته ابنه ليشترى جرارا مستعملا. أصبح الآن فى غاية الثراء وينوى العمل بتجارة النقل بالشاحنات".

-"وكيف حال بنشنج؟".

-"على أحسن حال. شبيه الحمار يقول إنه يحسدك".

-"أخوك يحسدنى؟ لماذا؟".

-"نعم ، بنشنج يتساءل: لمَ يحالف الحظ لين فى كل مجريات حياته؟ لمَ لا أنال مثل حظه؟ حصل على أرقى تعليم وأفضل وظيفة وثلاثة أولاد".

-"لماذا يقول هذا؟ ألم يجمع الأموال الكثيرة من بقالته؟".

-"لا أعلم. يقول شبيه الحمار أن بنشنج انفجر باكيا حين سمع أنك رزقت بتوأم من الأولاد. لم تصل غيرته إلى هذا الحد من قبل".

رفع "لين" رأسه نحو السقف وفكر:

-"عجبا كيف أن كل فرد منا معزول عن الآخر وغارق فى معاناته".

التفت نحو ابنته وقال:

-"أحضرى كأسين آخرين".

-"لا يوجد لدينا سوى كأس واحدة".

قالت هذا ثم مضت نحو المطبخ لتحاول تلبية طلبه. قالت "شويو":

-"لدينا المزيد من الأخبار السارة".

-"ماذا؟".

-"قرر فنجنج صديق هويا أن يستقيل من البحرية قريبا ، وسيأتى إلى هنا ليكون بقربها. يود أن يتقدم لخطبتها رسميا. كما ترى يا لين ما هى إلا بضع سنوات وسنصبح جدين ، وستكبر عائلتنا أكثر وأكثر".

قاطعتها "هويا" بعد أن عادت من المطبخ وبيدها قصعتين صغيرتين:

-"لا تتكلمى عن هذا الموضوع أرجوك".

تأثر "لين" من كلمات "شويو"؛ أثارت لديه الرغبة بالابتسام والبكاء فى الوقت ذاته. أغمض عينيه لعدة ثوانى ثم صب بعض الكحول فى القصعتين وقال:

-"علينا أن نشرب نخب هذا الاجتماع العائلى".

وردت "هويا":

-"عيد سعيد".

تبادلوا الأنخاب رافعين الكأس والقصعتين. قالت "شويو" وهى تضع "للين" جناح من جناحى الدجاج فى قصعته:

-"تذوق أيضا هذه الفطيرة لترى كم أحسنّا صنعها".

وبينما كان يتناول طعامه متلذذا ، فطن بأنها المرة الأولى التى يحتفل فيها بعيد الربيع بصحبة "شويو" و"هويا" ، إن صح القول بتسمية هذه الجلسة احتفالا ، فالأجازة ما زال أمامها يومان. كان فى الماضى يمضى كل شتاء فى المستشفى ولا يعود إلى منزله فى القرية إلا صيفا. هذه الذكرى كدرته؛ تمنى لو أن "شويو" و"هويا" تمكنتا من كراهيته وطردتاه من هذا البيت. كان هذا سيعطيه شعورا أفضل يريحه بدلا من هذا الإحساس بالذنب ، ولربما خفف من ارتباطه بهما ، فمن الصعوبة بمكان تحمل كل هذه المعاملة الطيبة.

أخذ يرتشف كأسا بعد أخرى كما لو أنه يريد أن يخدر عقله لينسى همومه. قالت له ابنته:

-"لا تكثر من الشرب يا أبى وإلا ستسكر".

حدجت "شويو" "هويا" بنظرة غاضبة كما لو أنها تقول:

-"اخرسى أيتها الفتاة".

رفع كأسه ثانية وقال:

-"لا تخافى ، أنا بخير".

ولكنه سرعان ما فقد التحكم بمشاعره وبدا متألما وراغبا فى استجلاب تعاطفهما ، متلهفا ليعبر عن مشاعره نحوهما. ولكن لسانه خانه كما لو أنه لم يعد ملكا له. قبض على يد "شويو" وقال لها:

-"لم يكن بنيتى أن أؤذيكِ يا عزيزتى. هل..هل يمكنك أن تغفرى لى؟".

-"حسنا حسنا".

-"أنا رجل سىء ، سىء جدا يا حبيبتى".

-"كلا ، أنت رجل طيب".

-"أوه..كلا ، لا أريد أن أكون رجلا طيبا ، أريد أن أكون رجلا عاديا سويا".

-"حسنا ، إذن فأنت لست طيبا".

لم يعد بإمكان "شويو" أن تمنع تدفق دموعها لأنه وللمرة الأولى طوال زواجهما تودد إليها وكلمها بمحبة. واسترسل "لين":

-"لا تبكى ، لا تبكى يا عزيزتى".

زاغت عيناه وتهيأ له أنه يرى "مانا" والطفلين يبكيان أمامه. فرك عينيه وتبددت الرؤيا.

قالت "شويو" وهى تشير نحو ابنتها التى كانت عيناها تتنقلان بين وجهى والديها:

-"أنا فى قمة السعادة يا لين ، فأخيرا ها أنت عدت إلى بيتك".

تأكدت "شويو" من حبه لها فالرجل عامة يفصح عن حقيقة مشاعره حينما يكون سكرانًا. التفت "لين" نحو ابنته وقال:

-"أواه...لقد كنت فى منتهى البلاهة. هل تعلمين يا هويا ، ستموت مانا قريبا. إنها راحلة ولا شك. آه. فهى ليست سيئة ولكن قلبها لن يتحمل طويلا".

-"أبى ، توقف أرجوك".

-"حسنا ، حسنا ، سأخرس".

ولكنه ضم "شويو" بإحدى يديه ولامس وجهها باليد الأخرى وسألها:

-"هل هذا أنت يا شويو؟".

-"نعم ، هذه أنا زوجتك شويو".

-"يا حبيبتى هل تنتظريننى؟ سأعود إليك قريبا. ما زلنا..ما زلنا عائلة واحدة ، أليس كذلك؟ أرجوك لا تتخلى عنى. مانا ستموت خلال عام أو عامين. أوه ... وأنا ماذا

ماذا سأفعل بالتوأمين؟".

-"أرجوك لا تتكلم بهذا الشكل. لا تشغل بالك بهذا الأمر".

-"هل ستساعداننى؟".

-"حسنا ، سنساعدك. أعدك بهذا. ولكن أرجوك لا تكتأب بهذا الشكل ، لا تستسلم للحزن".

ثم التفتت إلى "هويا" وأمرتها:

-"احضرى قصعة من الخل بسرعة. أبوك يعانى من سكر مدقع".

واستمر "لين":

-"أشعر بحزن شديد يا عزيزتى وقلبى ممتلئ كما لو أنه سينفجر. لم يعد باستطاعتى تحمل هذه الحياة الملعونة!".

تحايلتا عليه حتى شرب قصعة من الخل المحلول بالماء. ارتمى بعدها على الجانب الدافئ من السرير الآجرى ، وما هى إلا برهة حتى استرسل فى شخير منتظم. وبعد أن غطته "شويو" بلحاف قطنى رفيع قالت "لهويا":

-"اذهبى وكلمى المستشفى وأخبرى تلك المرأة بأن أباك قد أكثر من الشراب ولن يتمكن من العودة هذا المساء".

لفت "هويا" وشاحا حول رأسها وانطلقت مسرعة إلى خارج البيت. أصدرت خطواتها على الثلج الهش حفيفا خافتا وهى بطريقها مكتب الحارس لتهاتف "مانا".

* * *

عاد "لين" إلى المستشفى بعد أن تناول إفطاره مع "شويو" و"هويا". ظلت خطواته غير متوازنة من كثرة الشرب فى اليوم السابق. شعرت "مانا" بالراحة والاطمئنان لعودته وظهر هذا عليها واضحا وهى تقول له باهتمام:

-"كان عليك أن تكون أكثر حرصا ولا تكثر من الشرب. فأنت لم تعد شابا".

-"أرجوك المعذرة".

قال هذا وهو يضع على الطاولة كيس القماش الممتلئ بالكستناء والبندق. ردت عليه:

-"كنت فى غاية القلق ولم يغمض لى جفن طوال ليلة أمس إلا لساعتين"

-"لم يكن بنيتى البقاء هناك. وضعت السمك وحزمة الثوم خارج الباب ولكن هويا لحقتنى قبل أن أمضى راجعا".

-"كيف حالهما؟".

-"هما فى أحسن حال ، أفضل مما كانتا عليه فى القرية".

-"هذا شىء مفرح".

أخذ "لين" و"مانا" فى التحضير للعيد. استغلا فرصة نوم الأطفال. سلقت "مانا" أقدام الخنازير والدجاج لتصنع منها "جيلاتين" ، بينما أخذ "لين" غلاية الماء إلى الخارج ليصب الماء المغلى على صنبور المياه ليذوب الجليد. وبينما كان القدر يغلى أخذت "مانا" فى ملْء علبة بالفول السودانى المحمص وأخرى بالفاكهة المجففة لتقدمها للضيوف الذين سيأتون للتهنئة بالعيد فى صباح الغد.

جاءت "هويا" فى ساعة مبكرة من بعد الظهر. كانت فى غاية السعادة والبهجة وبدت الفرحة فى عينيها. وبينما انهمك "لين" و"مانا" فى تنظيف البيت اهتمت "هويا" برعاية الطفلين وأخذت تترنم لهما بأغنية شعبية وتقص عليهما قصة الذئب الرمادى والنعجتين الصغيرتين ، كما لو أنهما يفهمان ما تقول. امتلأت الغرفة بأصوات ثرثرة الطفلين وقهقهتهما. صنعت "هويا" من قصاصات ورقة حمراء ، طائرا وقطة. عرضتهما على الطفلين ، ثم ألصقتهما على شقى زجاج النافذة. سُرت "مانا" من القصاصتين وعلّقت بأنهما تضفيان إلى البيت بهجة الاحتفال بالعيد ، خاصة فى عيون الناظرين من الشارع.

ربط "لين" مقشة إلى عصا من الخيزران وأخذ فى إزاحة العنكبوت عن أسقف الغرف. وبينما كان مارا بالقرب من ابنته ربتت على ركبته ، بعد أن لاحظت أن "مانا" تقف بعيدا أمام الباب الخارجى للبيت تنفض الغبار عن ممسحة الأرضية وقالت له:

-"أمى فى غاية السعادة يا أبى وتود أن تبلغك بأنها ستنتظرك".

تذكر فجأة ما ثرثر به وهو على مائدة الطعام فى الليلة السابقة وهو فاقد للوعى فسألها محرجا:

-"لقد هزأتُ نفسى فى الليلة الماضية ، أليس كذلك؟".

-"كلا ، كلا. سعدنا جدا بوجودك بيننا فى البيت. يجب أن ترى أمى الآن؛ تبدّل حالها وأصبحت شخصا مختلفا. قالت أنها ستأتى لرؤيتهما فى الربيع القادم".

كانت تعنى التوأمين. قالت هذا وهى تشير بإصبعها نحو المهد. غمر "لين" شعورا حزينًا. وفكر بالأمر مليا لبرهة ثم قال:

-"هل تعلمين يا هويا ، أمك كبرت فى السن. هل ستعتنين بها كما يجب؟".

أجابته مبتسمة:

-"نعم ، سأفعل".

-"بلغيها بأن لا تنتظرنى؛ فأنا رجل لا فائدة منى. لست أهلا للانتظار".

-"لا تقسُ على نفسك يا أبى. سننتظرك دائما".

شعر بانقباض فى صدره فاستدار ليستكمل مسح سقف المطبخ محاولا قدر طاقته أن يتحكم فى دموعه. كان فى آن واحد منزعجا ومتأثرا.

فى الخارج كانت "مانا" تعايد بمرح أحد المارة متمنية له:

-"عيد ربيع سعيدا!".

كانت تبدو مبتهجة لدرجة لاحظ معها "لين" أن رنة صوتها ما زالت مليئة بالحياة.

المؤلف فى سطور :

ولد « ها جين » سنة ١٩٥٦ فى مدينة Liaoning فى الصين . أمضى ست سنوات فى الخدمة العسكرية لجيش التحرير الشعبى . غادر الصين سنة ١٩٨٥ إلى الولايات المتحدة حيث حصل على شهادة الدكتوراة من جامعة " Brandy " . نشر كتابين فى الشعر ومجموعتين من القصص القصيرة : الأولى « محيط من الكلمات » التى نالت جائزة "Hemingway" سنة ١٩٧٧ ، والثانية « تحت لواء العلم الأحمر » التى نالت جائزة " Flannery O'Conner " عن القصص القصيرة سنة ١٩٦٦ . كما أصدر رواية طويلة باسم « على الجسر » . نالت رواية " Waiting " جائزة " Faulkner " سنة ١٩٩٩ . يعيش « هاجين » قريبا من أتلانتا حيث يعمل مدرسًا للأدب الإنجليزى فى جامعة " Emory " .

المترجمة فى سطور :

ولدت الكاتبة « منى الدروبى » فى مدينة حمص بسوريا . أمضت طفولتها ما بين سوريا ولبنان . أتمت دراستها الثانوية فى مدرسة راهبات الفلبين الأقدسين . انتقلت للإقامة فى القاهرة وتخرجت من جامعة عين شمس ليسانس أدب إنجليزى . تنشر مقالات أدبية فى صحف عربية ومجلة « نصف الدنيا » . ترجمت للكاتبة الأيرلندية « مايف بينتشى » رواية « الحافلة الليلكية » The Lilae Bus

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١- مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧- مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤- الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	پول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى قطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٧٥–	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦–	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧–	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨–	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩–	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠–	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١–	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢–	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣–	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤–	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥–	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦–	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧–	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨–	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩–	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠–	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١–	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا – بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢–	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣–	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤–	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥–	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦–	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧–	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨–	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩–	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥–١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠–	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١–	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢–	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣–	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤–	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥–	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦–	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧–	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨–	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩–	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠–	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١–	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢–	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى آنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩-	الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	پول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا آديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	ڤاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوربيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مجـ١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مجـ٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣-	العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧-	الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥-	التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٣٧٩–	ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠–	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١–	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢–	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣–	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤–	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥–	مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦–	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧–	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨–	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩–	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠–	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١–	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢–	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣–	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤–	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥–	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦–	السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧–	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨–	أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩–	أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠–	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١–	أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢–	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣–	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤–	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥–	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦–	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧–	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨–	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩–	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠–	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١–	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢–	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣–	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤–	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥–	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦–	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨- الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩- أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- أقدم لك: ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨- بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أروندانى روى	فخرى لبيب
٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥- حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسِّرل: الفلسفة علماً دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديساً (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨- النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦- أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومی بابا	ثائر دیب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتپ الثالث	آنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوچية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن أخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	الكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حائيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: ڤالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد آدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠-	جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى

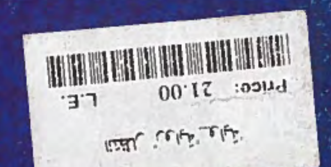
٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	جون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات القوة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣-	الثقافة: منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧-	الاستعارة فى لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروری
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود

٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة ( )	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تيرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	جون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جلال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجي
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٨٣٩ / ٢٠٠٥









تقع مدينة "يوجيا" على بعد ثمانية عشر ميلا غرب قرية "جوس".
على جانبى الطريق . تكومت فى الحقول رزم القمح والشعير بعد
حصادها. وبدت وكأنها آلاف من القبور الصغيرة. كان هناك العديد
من عربات النقل التى تجرها الأحصنة والبغال ، حملها عمال من أعضاء
الحزب الاشتراكى وبدت مغارز مذراتهم لامعة تحت أشعة الشمس
الساطعة. عبر الجرار التل حيث انتشرت العشرات من الأبقار ترعى
بينما انطلقت بعض العجول تركض فى كل اتجاه. فى الشمال امتد نهر
"سونجهوا" واسعا كالبحيرة. زحفت على سطحه باخرة تجارية باتجاه
الشرق تاركة وراءها شرائط سوداء من الدخان. وطار زوجان من البجع
يتمايلان فى الأفق...